شخص المسيح

مُـقـدِّمة

د. ستيفن وِلَم

دراسات قصيرة
في اللاهوت النظاميِّ

المُحرِّران: جراهام كول وأورِن مارتن

شخص المسيح؛ مُقدِّمة
The Person Of Christ: An Introduction

تأليف

د. ستيفِن وِلَم

Authored by

Stephen J. Wellum

ترجمة

صموئيل ناجي نعمان

Translated by

Samuel N. Naaman

Published in Arabic by الناشر في العربيَّة

Equipping Pastors International

جميع حقوق الطبع في النسخة العربيَّة محفوظة للناشر، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أيِّ جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأيِّ شكل من الأشكال، دون إذنٍ خطِّي مسبَّق من الناشر. ومن يخالف ذلك يضع نفسه تحت طائلة القانون.

الكتاب: شخص المسيح؛ مُقدِّمة (الإصدار العربيّ).

Book: The Person of Christ: An Introduction (Arabic Edition).

الكاتب: ستيفِن ولَم.

Author: Stephen J. Wellum.

ترجمة وضبط نهائيّ: صموئيل ناجي نعمان.

Arabic Translation: Samuel N. Naaman.

تدقيق: بيتر عادل ثابت.

Proofreading: Peter Adel Thabet.

الإخراج الفنِّيّ والغلاف: صموئيل ناجي نعمان.

Internal design and Cover: Samuel N. Naaman.

الناشِر في العربيّة: EPI.

Arabic Publisher: Equipping Pastors International.

إداريَّات: كارمن اسطفانوس.

Administrative affairs: Carmen Estaphanous.

رقم الإيداع: ٢٢٤١٩ / ٢٠٢١

ISBN: 978-977-90-9782-4

Originally published in English under the title: *The Person of Christ: An Introduction*

Copyright ©2021 by Stephen J. Wellum

Published by Crossway

a publishing ministry of Good News Publishers

Wheaton, Illinois 60187, U.S.A.

This edition published by arrangement

with Crossway.

All rights reserved.

تمَّت الطباعة بمطبعة سان مارك – ت: ٢٣٣٧٤١٢٨

«انسـجامًا مـع الكتـاب المقـدَّس والتقليـد المسـيحيِّ، قـدَّم لنـا سـتيفن وِلَـم دفاعًـا قويًّـا عـن كريسـتولوجيا راقيـة، كريسـتولوجيا ‹فوقيَّـة›، والـتي نحتـاج إليهـا بشـدَّة في أيامنـا هـذه المليئـة بالارتبـاك والتكهُّنـات الـتي لا أسـاس لهـا حـول هويَّـة المسـيح. يوضِّـح لنـا هـذا العمـل مـن الناحيـة الكتابيَّـة واللاهوتيَّـة لمـاذا يجـب عـلى الكنيسـة أن تؤكِّـد ألوهيَّـة المسـيح الكاملـة وكـذا إنسـانيَّته الكاملـة. إنَّـني أعطـي هـذا الكتـاب أعـلى تقييـم!»

مايـكل هِيكِـن Michael A. G. Haykin، أسـتاذ ورئيـس قسـم تاريـخ الكنيسـة، كليَّـة اللاهـوت المعمدانيَّـة الجنوبيَّـة The Southern Baptist Theological Seminary.

«إنَّ سـؤالَ يسـوع الملـحَّ لتلاميـذه ‹وَأَنْتُـمْ، مَـنْ تَقُولُـونَ إِنِّي أَنَـا؟› لا يـزال ملحًّـا، ولطالمـا كان كذلـك. وعـلى النقيـض مـن النقَّـاد التاريخيِّـين المعاصريـن الذيـن ‹ينحـدرون› في بحثهـم عـن يسـوع التاريخـيِّ، ‹يرتقـي› سـتيفن وِلَـم منخرطًـا في كريسـتولوجيا ‹فوقيَّـة› مـن أجـل تحديـد هويَّـة يسـوع بوصفـه المسـيح. إنَّـه ينظـر عـن حـقٍّ إلى شـخص يسـوع وعملـه في الإطـار التفسـيريِّ لقصَّـة الكتـاب المقـدَّس وتقليـد الأرثوذكسـيا التاريخيَّـة الـتي أنتجتهـا القـراءة الأمينـة للكتـاب المقـدَّس».

كِفِـن فانهـوزر Kevin J. Vanhoozer؛ أسـتاذ باحـث في علـم اللاهـوت النظامـيِّ، مدرسـة ترينيـتي اللاهوتيَّـة الإنجيليَّـة Trinity Evangelical Divinity School.

«إنَّ دراسـة سـتيفن وِلَـم لشـخص المسـيح هـي أوَّل دراسـة أُوصي بهـا حـول هـذا الموضـوع. إذ أنَّ فهمـه للقضايـا التاريخيَّـة واللاهوتيَّـة والتفسـيريَّة

هـو فهـمٌ حاسـم وراسـخ، كمـا أنَّ شرحـه دقيـق، وواضـح، ومعـاصر؛ وهـو بالضبـط مـا تريـده في سـياق اللاهـوت الكريسـتولوجيِّ.»

فـرِد زاسـبل Fred G. Zaspel، محـرِّر تنفيذي لـدى Books at a Glance؛ راعـي الكنيسـة المعمدانيَّـة المُصلَحـة، فرانكونيا، بنسـلفانيا.

«يقـوم سـتيفن وِلَـم بتقطـير سـنوات مـن التفكـير والكتابـة العلميَّـة عـن الكريسـتولوجيا في شـكلٍ سـهل القـراءة. في مسـاحة موجـزة، يقـود القـارئ عـبر الأسـس الكتابيَّـة لعقيـدة شـخص المسـيح وعملـه، ثـمَّ عـبر المناقشـات التاريخيَّـة الـتي تمَّـت فيهـا صياغـة وصقـل لغـة الأرثوذكسـيا الكريسـتولوجيَّة. إنَّنـا بصـدد مـادَّة عميقـة هنـا، لكـنَّ وِلَـم موهـوب في التعبـير حـتَّى عـن أكـثر القضايـا اللاهوتيَّـة حساسـيَّةً بدقَّـةٍ ووضـوح.»

كارل ترومـان Carl R. Trueman، أسـتاذ الدراسـات الكتابيَّـة والدينيَّـة، كليـة Grove City.

«يرسـم هـذا الكتـاب المكتـوب بوضـوح، والمدفـوع كتابيًّـا، والمؤسَّـس تاريخيًّـا، صـورةً ليسـوع تمتـاز بالأمانـة اللاهوتيَّـة. مـا الـذي يمكـن أن يكـون أكـثر أهميَّـة مـن هـذا بالنسـبة للكنيسـة؟»

كريسـتوفر مورغـان Christopher W. Morgan، عميـد مدرسـة الخدمـات المسـيحيَّة وأسـتاذ اللاهـوت، جامعـة كاليفورنيـا المعمدانيَّـة California Baptist University.

«إنَّـني أطلـب مـن طُـلاَّبي في كليَّـة اللاهـوت قـراءة كتـاب سـتيفن وِلَـم

‹God the Son Incarnate› لأنَّه يجيب ببراعة على ادِّعاءات تبدو متناقضة عن يسوع من خلال دمج علم التفسير، واللاهوت الكتابيِّ، واللاهوت التاريخيِّ، واللاهوت النظاميِّ. لكن هذا الكتاب أقصر من ذاك، وأكثر سهولةً وإتاحة، وأقلُّ تعقيدًا؛ وهو نقطة دخول مثاليَّة لمن يريد أن يفهم من هو المسيح بشكل أفضل.»

آندي نازِلِّي Andy Naselli، أستاذ مشارك لعلم اللاهوت النظاميِّ والعهد الجديد بكليَّة لاهوت بيت لحم Bethlehem College & Seminary؛ شيخ بكنيسة بيت لحم المعمدانيَّة.

«بالاعتماد على الشهادة الكتابيَّة وعلى تبصُّرات أعظم عقول عرفتها المسيحيَّة عبر القرون، فإنَّ هذا الكتاب لستيفن وِلَمر، الذي تمَّ وضعه بإحكام في سياق الإيمان الكلاسيكيِّ، يقدِّم إجابة شاملة عن أهمِّ الأسئلة: ‹من هو يسوع المسيح؟›. كونه يمتاز بوضوحٍ دون برود، وسهولةٍ دون ضحالة، فإنَّ هذا الكتاب سيُلهِم المبتدئ وينعش المخضرم.»

دونالد ماكليود Donald MacLeod، أستاذٌ فخريٌّ لعلم اللاهوت النظاميِّ، كليَّة لاهوت إدنبرة Edinburgh Theological Seminary؛ مؤلِّف كتابَي A Faith to Live By وThe Person of Christ.

«ستيفن وِلَمر هو أوَّل مرشد معاصر أتوجَّه إليه من أجل كريستولوجيا أمينة كتابيًّا ومُعترَفة أرثوذكسيًّا. هذا العمل الدسم مع إيجازه لا يغذِّي العقل فحسب، بل هو وليمة غنيَّة للروح كلِّها. سوف تعبد المسيح بقوَّة جديدة مع كلِّ صفحة تقلبها.»

سكوت كرِستِنسِن Scott Christensen، القسُّ المساعد بكنيسة

Kerrville Bible Church، كيرفيل، تكساس؛ مؤلِّف كتابَيَ What about Free Will? و What about Evil?.

«لقد أثبت ستيفن وِلَمر نفسه كمرشد موثوق به عبر الأخطار الكامنة التي تملأ المشهد اللاهوتيّ. إنَّ هذا الكتاب موجز وسهل ومتاح، وقد كُتِب للناس الذين يرغبون في الانخراط في العمق اللاهوتيّ دون أن تغمرهم مـاؤه. وسينتفع منه جيِّدًا أولئك الطلاب ذوو الرغبة الجادَّة في دراسة الأقنوم الثاني من الثالوث، ربِّنا يسوع المسيح.»

أردِل كانـدِاي Ardel B. Caneday، أستاذ متقاعد لدراسات العهد الجديد واللغة اليونانيَّة، جامعة نورث وسترن University of Northwestern، سانت بول، مينيسوتا.

«يقدِّم هذا الكتاب المواد الكتابيَّة والتاريخيَّة والنظاميَّة الأساسيَّة لفهم العقيدة الأرثوذكسيَّة والكتابيَّة عن المسيح. إنَّه مثاليٌّ كأوَّل كتابٍ يقرؤه الطلاَّب عن العقيدة المركزيَّة لشخص المسيح، وهو مراجعة رائعة لتلك العقيدة أيضًا بالنسبة للرعاة والقادة العلمانيِّين.»

كريغ كارتر Craig A. Carter، أستاذ اللاهوت، جامعة تيندال Tyndale University؛ مؤلِّف كتاب Contemplating God with the Great Tradition.

«إنَّها مقدِّمة رائعة لعلم الكريستولوجيا. يساعد ستيفن وِلَمر القرَّاء على التفكير في طبيعة اللاهوت نفسها على المستوى الأكثر عمقًا، والتي تمَّ شرحها للقارئ باستخدام الكريستولوجيا كحالة اختبار لكيفيَّة

الاضطلاع بعلم اللاهوت. مع إعطاء القارئ معالجة غنيَّة لكيفيَّة التفكير في الكريستولوجيا من حيث البنية التحتيَّة الكتابيَّة-اللاهوتيَّة للكتاب المقدَّس نفسه وكيفيَّة مواجهة التحدِّيات المعاصرة. عملٌ ممتاز.»

برادلي غرين Bradley G. Green، أستاذ الدراسات اللاهوتيَّة بجامعة يونيون Union University.

«لا يوجد شيء أكثر أهميَّة من الحصول على الإجابة الصحيحة للسؤال ‹برأيك، من هو يسوع؟› في كتاب ‹شخص المسيح› يجيب ستيفن وِلَم عن السؤال بتأسيس الإجابة على الكتاب المقدَّس، وتوجيه القرَّاء من خلال علم اللاهوت التاريخيِّ، وتلخيص هذه التعاليم والحقائق لاهوتيًّا. وبوصفه ملحمةً عن شخص المسيح وعقيدة الكريستولوجيا، سيخدم هذا العمل أيضًا كنموذج لكيفيَّة انتقال المرء من الكتاب المقدَّس إلى اللاهوت ثمَّ إلى الحياة.»

غريغوري ستراند Gregory C. Strand، المدير التنفيذيُّ لعلم اللاهوت والاعتماد، الكنيسة الإنجيليَّة الحرَّة بأميركا Evangelical Free Church of America؛ أستاذ مساعد للاهوت الرعويِّ، مدرسة ترينيتي اللاهوتيَّة الإنجيليَّة Trinity Evangelical Divinity School.

«ستيفن وِلَم هو عالمُ لاهوتٍ يحبُّ الكنيسة، وفي كتابه ‹شخص المسيح› يأتي ومعه خبرته المخضرمة في علم الكريستولوجيا لتزويد المسيحيِّين المفكِّرين بمقدِّمة موجزة عن الموضوع. في ثلاثة أقسام سهلة الاستيعاب، يقدِّم أساسًا كتابيًّا لهويَّة المسيح، ويستعرض كيف توصَّلت الكنيسة لفهم الأرثوذكسيا الكريستولوجيَّة والتعبير عنها، ويشرح لماذا

تحتـاج الكنائـس إلى إبقـاء المسـيح في مركـز حياتهـا وقلـب خدمـة الإنجيـل. إذا كنـتَ تتطلَّـع إلى فهـم الكريسـتولوجيا بشـكل أكـثر وضوحًـا وإلى عبـادة المسـيح بشـكل أعمـق، فهـذا هـو الكتـاب الـذي تبحـث عنـه.»

ديفيــد شروك David S. Schrock، راعــي الوعــظ واللاهــوت بكنيســة Occoquan Bible Church؛ أســتاذ اللاهــوت بكليَّــة اندياناپولِــس اللاهوتيَّــة Indianapolis Theological Seminary.

إلى أهل زوجتي،

تشارلز ومارغريت هاكنبِري

Charles and Margaret Hackenberry

شاكرًا لأجل أمانتكما في الزواج وكوالدين،

ومُمتنًّا للقدوة التي كُنتماها

في معرفة المسيح يسوع ومحبّته

والمناداة به ربًّا.

المحتويات

تقديم السلسلة ١٣
المُقدِّمة ١٥

الجزء الأوَّل
الأسس الكتابيَّة
فهم هويَّة المسيح

١ مقاربة الكتاب المقدَّس وفقًا لشروطه الخاصَّة ٢٣
٢ هويَّة المسيح من قصَّة الكتاب المقدَّس ٣٩
٣ ماذا يقول يسوع عن نفسه بشأن هويَّته؟ ٥٧
٤ شهادة العهد الجديد للمسيح ٧٣

الجزء الثاني
الصياغة اللاهوتيَّة
تأسيس الأرثوذكسيا الكريستولوجيَّة

٥ الطريق إلى التعريف الخلقيدونيّ للمسيح ٩٧
٦ توضيحات ما بعد خلقيدونية عن المسيح ١٢٣
٧ التحدِّيات الحاليَّة للأرثوذكسيا الكريستولوجيَّة ١٤٥

الجزء الثالث
الخلاصة اللاهوتيَّة
الهويَّة الأرثوذكسيَّة لربِّنا يسوع المسيح

٨ يسوع كونه الله الابن المتجسِّد ١٦٩
٩ استعادة مركزيَّة المسيح ٢٠١

قائمة المُصطلحات ٢٠٧
لمزيد من القراءة ٢١٧
الفهرس العام ٢٢١

تقديم السلسلة

قـال المفكِّـر اليونانـيُّ القديـم هيراقليطـس إنَّ علـى المفكِّـر أن يسـتمع إلـى جوهـر الأشـياء. وتحتـاج سلسـلة مـن الدراسـات اللاهوتيَّـة التـي تتنـاول الموضوعـات التقليديَّـة التـي تشـكِّل علـم اللاهـوت النظامـيِّ إلـى القيـام بذلـك عينـه. وعليـه، فـي هـذه الدراسـات، يتنـاول اللاهوتيُّـون جوهـر العقيـدة. تهـدف هـذه السلسـلة إلـى تقديـم دراسـات قصيـرة فـي علـم اللاهـوت تتوافـق مـع كلٍّ مـن التقليـد المسـيحيِّ واللاهـوت المعاصـر مـن أجـل تجهيـز الكنيسـة لِأَن تفهـم وتحـب وتعلِّـم وتطبِّـق مـا أوحـى بـه الله فـي الكتـاب المقـدَّس حـول مجموعـة متنوِّعـة مـن الموضوعـات. ومـا قـد يُفقـد فـي سـعينا إلـى المعالجـة الشـاملة للمُحتـوى يمكـن أن يُكتَسَـب عبـرَ مـا يُسـمِّيه جـون كالفـن «الإيجـاز الواضـح Lucid brevity»، علـى حـدٍّ وصفـه فـي رسـالة الإهـداء علـى تفسـيره لرسـالة رومية.

بالطبـع، سـتكون الدراسـة الشـاملة لأيَّـة عقيـدة أطـول لا أقصـر، إذ أنَّنـا بصـدد التفاعـل مـع ألفَـي عـامٍ مـن إقـرارات الإيمـان والمناقشـة والجـدال. نتيجـةً لذلـك، يجـب أن تكـون الدراسـة القصيـرة أكثـر انتقائيَّـة ولكنَّهـا يجـب

أن تنتقي ببراعة. وحمدًا لله، فإنَّ المساهمين في هذه السلسلة لديهم القدرة على الإيجاز والدِقَّة. الهدف الرئيسيُّ هو ألاَّ يتحوَّل التبسيط إلى إخلال. والامتحان الحقيقيُّ هو ما إذا كان موضوع الدراسة القصيرة يقتضي التخلِّي عن بعض ما تعلَّمته مَتَى أردتَ الاستزادة من الدراسة المتعمِّقة. إذ يمكن التوسُّع فيما هو بسيط. لكنَّ الإخلال يحتاج إلى تصحيح. بصفتنا محرِّرَين، نعتقد أنَّ أجزاء هذه السلسلة تجتاز ذلك الامتحان.

وبينما يختلف التركيز في كلِّ جزءٍ، إلاَّ أنَّ جميعها (١) يمثِّل مقدِّمةً للعقيدة موضوع الجزء، (٢) يضعها في سياقها، (٣) يصيغها ويطوِّرها بناءً على الكتاب المقدَّس، (٤) يجمع الخيوط المتناثرة معًا، (٥) ويأتي بها إلى حيِّز التأثير على الحياة المسيحيَّة. صلاتنا إذًا أن تساعد هذه السلسلة الكنيسة على أن تتلذَّذ بإلهها الثالوث عن طريق التفكير إِثْرَ أفكاره -التي يعلنها بجزيل نعمته في كلمته المكتوبة، والتي تشهد لكلمته الحيَّة، يسوع المسيح- من خلال العمل القويِّ الذي لروحه القدُّوس.

غراهام كول Graham A. Cole وأورِن مارتن Oren R. Martin

المقدِّمة

برأيك، من هو يسوع؟

إنَّ السؤال الذي طرحه يسوع على تلاميذه منذ سنوات عديدة لا يزال قائمًا اليوم: «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا؟» (مرقس ٨: ٢٧). وكما هو الحال في القرن الأوَّل، هناك الكثير من الالتباس اليوم فيما يتعلَّق بهويَّة يسوع، على الرغم من أنَّه من زاوية تاريخيَّة مجرَّدة، فيسوع هو الشخصيَّة الأكثر شهرة في كلِّ التاريخ.[١] وقد استجاب التلاميذ لسؤال يسوع عن طريق تعديد بعض الإجابات المتنوِّعة المتداولة في زمانهم: «يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ. وَآخَرُونَ: إِيلِيَّا. وَآخَرُونَ: وَاحِدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ.» (مرقس ٨: ٢٨). وما تشترك فيه كلُّ هذه الإجابات هو الاعتراف بأنَّ يسوع هو شخص غير عاديٍّ، لكنَّها جميعًا تبقيه في فئة إنسانيَّة مجرَّدة.

اليوم، على غرار القرن الأوَّل، يواصل الناس الإجابة عن سؤال يسوع بإجابات متنوِّعة ومشوَّشة. في نظر البعض، يبرُز يسوع على أنَّه نبيٌّ

---

١ انظر:

Jaroslav Pelikan, *Jesus through the Centuries*: *His Place in the History of Culture* (New Haven, CT: Yale University Press, 1999), 1.

إذ يكتب بِليكان: «بغضِّ النظر عن رأي أيِّ شخصٍ أو معتقده الشخصيِّ عن يسوع، فقد كان الناصريُّ هو الشخصيَّة المهيمنة في تاريخ الثقافة الغربيَّة لما يقرب من عشرين قرنًا.»

عظيم أو فيلسوف حكيم، أو زعيمٌ دينيٌّ مهمٌّ، أو حتَّى مناضلٌ ثوريٌّ في مجال العدالة الاجتماعيَّة قد أتى ليتحدَّى النظام الاجتماعيَّ. ولكن مرَّة أخرى، ما تشترك فيه الآراء الحالية مع الإجابات القديمة هو أنَّ يسوع مجرَّد رجل جدير بالاهتمام. لذا، كما تُظهر استطلاعات الرأي المختلفة، فإنَّ الناس لديهم وجهات نظر مختلفة عن يسوع ولكنَّ وجهات نظرهم مشوَّشة، وغالبًا ما تكون متناقضة، وللأسف، ليس ما يقوله الكتاب المقدَّس عنه.[٢]

في مفارقة صارخة مع وجهات النظر المتنوِّعة عن يسوع في القرن الأوَّل واليوم، يقدِّم الكتاب المقدَّس، إلى جانب قوانين إيمان الكنيسة، إجابة متَّسقة وواضحة لسؤال يسوع. إنَّ يسوع هو الابن الإلهيُّ، الأقنوم الثاني في الألوهة الثالوثيَّة، ربُّ المجد، الذي اتَّخذ في حيِّز الزمن طبيعةً بشريَّة، لذلك فهو الآن وإلى الأبد «الكلمة الصائر جسدًا» (راجع يوحنَّا ١: ١، ١٤). وقد فعل هذا لأنَّ شخصًا واحدًا فقط -الله الابن المتجسِّد- هو الذي يمكنه تحقيق خطَّة الله الأبديَّة من خلال تأمين فدائنا وتنفيذ الدينونة على الخطيَّة وإنشاء خليقة جديدة من خلال إقرار العهد الجديد بحياته، وموته، وقيامته.

لهذا السبب، فإنَّ يسوع الكتاب المقدَّس، والذي هو يسوع الحقيقيُّ، هو فريد ومنقطع النظير، وهو الربُّ والمخلِّص الوحيد: «وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنَّ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ.» (أعمال الرسل ٤: ١٢). وهذا أيضًا هو السبب في أنَّ اللَّبس بشأن هويَّته هو مسألة حياة أو موت. ليس هناك ما هو أهمُّ من الفهم الصحيح لهويَّة يسوع. إنَّ السؤال عن هويَّة يسوع ليس أكاديميًّا فحسب، يختصُّ اللاهوتيُّون فقط بالتفكير فيه؛ بل إنَّه سؤال

2 George Gallup Jr. and George O'Connell, *Who Do Americans Say That I Am?* (Philadelphia: Westminster, 1986).

حيـويٌّ يجـب علـى جميـع النـاس التفكيـر فيـه؛ ولا سـيَّما الكنيسـة الإنجيليَّـة المعاصـرة.

إنَّنـا نعيـش فـي زمـن يشـعر فيـه النـاس بالتخبُّـط الشـديد بشـأن هويَّـة يسـوع. فنحـن محاطـون برفـض متزايد للاَّهـوت المسـيحيِّ، وعلمانيَّة متشـدِّدة متصاعـدة، وتعدُّديَّـة فلسـفيَّة ودينيَّـة متفشِّـية. وقـد سـاهم كلُّ هـذا فـي إربـاك النـاس بشـأن هويَّـة يسـوع. لكـن للأسـف، هـذا الالتبـاس ليـس فقـط خـارج الكنيسـة الإنجيليَّـة؛ إنَّـه أيضًـا بداخلهـا. فـي عـام ٢٠١٨، أجـرت خدمـات ليجونيـر وLifeWay Research اسـتطلاعًا بيـن مـن عرَّفـوا أنفسـهم علـى أنَّهـم إنجيليُّـون ثـمَّ قامـوا بنشـر النتائـج فـي تقريـر بــ State of Theology.[٣] ومـا انعكـس فـي العديـد مـن الإجابـات هـو الدليـل علـى أنَّ كنائسـنا تعانـي مـن نقـصٍ خطيـر فـي المعرفـة الكتابيَّـة واللاهوتيَّـة، خاصَّـةً فيمـا يتعلَّـق بمـن هـو يسـوع. وكان هنـاك سـؤالان مثيـران للقلـق بشـكلٍ خـاصٍّ. الأوَّل، عندمـا تـمَّ طـرح العبـارة «يسـوع هـو أوَّل وأعظـم كائـن خلقـه الله»، وافـق ٧٨ بالمئـة. ومـع ذلـك، يجـب علـى أيِّ شـخصٍ لديـه معرفـة بدائيَّـة بالكتـاب المقـدَّس والأرثوذكسـيا الكريسـتولوجيَّة[٤] أن يـدرك أنَّ هـذا هـو إنـكار لألوهيَّـة المسـيح واعتنـاق بدعـة الأريوسـية القديمـة (أو النظـرة الحاليَّة لشـهود يهـوه). والثاني، الـذي لـم يكـن مُسـتَغرَبًا، عندمـا تـمَّ طـرح عبـارة «يقبـل الله عبـادة جميـع الأديـان، بمـا فـي ذلـك المسـيحيَّة واليهوديَّـة والإسـلام»، وافـق ٥١ بالمئـة. إذا أُسـيء فهـم هويَّـة يسـوع، فـإنَّ عمـل يسـوع الفريـد هـو أيضًـا سـيكون علـى المحـكِّ.

لا شـكَّ أنَّ اسـتطلاعات الـرأي غالبًـا مـا تكـون خادعـة حتَّـى نحكـم عليهـا، ولكـن بغـضِّ النظـر عـن ذلـك، فإنَّهـا تكشـف عـن الحاجـة الجـادَّة للتعليـم

3 *The State of Theology*, Ligonier, accessed May 7, 2020, https://thestateoftheology.com/.

٤ فـي سـياق هـذا الكتـاب، يسـتخدم الكاتـب كلمـة «أرثوذكسـيا Orthodoxy» وكلمـة «أرثوذكسـيّ Orthodox» بمدلولهمـا اللاهوتـيِّ لا الطائفـيِّ، والـذي يعنـي «العقيـدة القويمـة»؛ (المُترجِـم).

الدقيـق المسـتمرّ وشـرح مـن هـو يسـوع مـن الكتـاب المقـدَّس ومُحـدِّدات الكنيسـة المُعترفـة. يحـثُّ الكتـاب المقـدَّس الكنيسـة مـرارًا وتكـرارًا فـي كلِّ جيـل: «اكْـرِزْ بِالْكَلِمَـةِ» بأمانـة، وكذلـك «وَبِّـخِ، انْتَهِـرْ، عِـظْ بِـكُلِّ أَنَـاةٍ وَتَعْلِيـمٍ» (تيموثـاوس الثانيـة ٤: ٢). وهدفنـا مـن القيـام بذلـك هـو أن نـرى الكنيسـة مبنيَّـة «إِلَـى أَنْ نَنْتَهِـيَ جَمِيعُنَـا إِلَـى وَحْدَانِيَّـةِ الإِيمَـانِ وَمَعْرِفَـةِ ابْـنِ اللهِ» (أفسـس ٤: ١٣). إنَّنـا لا نريـد لأبنـاء الكنيسـة أن يكونـوا «مَحْمُولِيـنَ بِـكُلِّ رِيـحِ تَعْلِيـمٍ» (أفسـس ٤: ١٤)، لا سـيَّما فيمـا يتعلَّـق بمـن هـو يسـوع!

لهـذا السـبب، فـإنَّ دراسـةً فـي علـم الكريسـتولوجيا تتَّسـم بالسـعي إلـى شـرح مـن هـو يسـوع مـن الكتـاب المقـدَّس واللاهـوت التاريخـيّ، ولمـاذا هـو فريـد، وكيـف نفكِّـر لاهوتيًّـا فـي التجسُّـد؛ إنَّهـا دراسـة ضروريَّـة دائمًـا ولكنَّهـا مُلِحَّـة بشـكلٍ خـاصٍّ اليـوم نظـرًا للتشـوُّش الخطيـر القائـم خـارج الكنيسـة وداخلهـا. وعلـى الرغـم مـن كـون هـذا الكتـاب مجـرَّد «دراسـة قصيـرة» فـي علـم الكريسـتولوجيا، فـإنَّ هدفـي هـو تجهيـز الكنيسـة لمعرفـة التعاليـم الكتابيَّـة الأساسـيَّة حـول مـن هـو يسـوع وكيـف اعترفـت الكنيسـة لاهوتيًّـا بهويَّـة يسـوع علـى مـرِّ العصـور.[٥] ولكـن إن احتـاج القـارئ إلـى معالجـة أكثـر تفصيـلاً عـن شـخص المسـيح، فإنِّـي أشـجِّعه علـى مطالعـة عملـي المُفضَّـل عـن نفـس الموضـوع:

God the Son Incarnate: The Doctrine of Christ (Crossway, 2016).

فـي ذلـك العمـل، أضـع الدراسـة المختصَّـة بمـن هـو يسـوع فـي إطـار نقاشـات مختلفـة عبـر التاريـخ الفكـريِّ الغربـيِّ، وفـي كلِّ مرحلـة أعطـي عرضًـا أكثـر تفصيـلاً ودفاعًـا عـن الكريسـتولوجيا الأرثوذكسـيَّة. ومـع ذلـك، تـمَّ تصميـم هـذا العمـل الأقصـر ليكـون فـي متنـاول القـارئ العـاديِّ، وبالتالـي

٥ لمعالجة أكثر تفصيلاً لكلٍّ من الموضوعات المشمولة في هذا العمل القصير، انظر:
Stephen J. Wellum, *God the Son Incarnate: The Doctrine of Christ*, Foundations of Evangelical Theology (Wheaton, IL: Crossway, 2016).

فهـو مثالـيٌّ للرعـاة وقـادة الكنيسـة والمسـيحيِّين الذيـن يريـدون معرفـة مـا يقولـه الكتـاب المقـدَّس عـن ربِّنـا يسـوع وكيـف كـرزت الكنيسـة علـى الـدوام بالمسـيح يسـوع ربًّـا. علـى الرغـم مـن أنَّ بعـض المـواد فـي هـذا الكتـاب مُقتَبَسـة مـن كتابـي God the Son Incarnate، وذلك بسـبب الحجـج المتوازية والترتيـب المتماثـل للموضوعـات والمـواد، فإنَّـه ليـس مجـرَّد اختصـار للعمـل السـابق. إذ لا يطـوِّر هـذا العمـل المـادَّة السـابقة كليًّـا فحسـب، بـل إنَّـه يتوسَّـع أيضًـا فـي عـدد مـن النقـاط التـي ألمـح إليهـا العمـل السـابق فقـط، خاصَّـة فيمـا يتعلَّـق بعلاقـات الأشـخاص/الأقانيم[٦] داخـل الثالـوث وعمـل الـروح القـدس فـي حيـاة الابـن المتجسِّـد.[٧]

لتحقيـق هـدف تجهيـز الكنيسـة لمعرفـة التعاليـم الكتابيَّـة الأساسـيَّة حـول مـن هـو يسـوع وكـذا التقليـد الإيمانـيِّ للكنيسـة، كتبـتُ الكتـاب فـي ثلاثـة أجـزاء. يوضِّـح الجـزء الأوَّل المعطيـات الكتابيَّـة الأساسـيَّة المتعلِّقـة بهويَّـة يسـوع كمـا قُدِّمـت عبـر قصَّـة الكتـاب المقـدَّس، بعـد مناقشـة وجيـزة لبعـض النقـاط المنهجيَّـة المهمَّـة حـول كيفية بنـاء كريسـتولوجيا أمينـة كتابيًّا، وأرثوذكسـيَّة لاهوتيًّـا. ينتقـل الجـزء الثاني إلـى علـم اللاهـوت التاريخـيِّ متأمِّلاً فـي كيفيَّـة قيـام الكنيسـة بـ «تجميـع» المعطيـات الكتابيَّـة بأمانـة وإصـدار أحـكام لاهوتيَّـة عـن المسـيح متَّسـقة مـع الكتـاب المقـدَّس. ففـي ضـوء مختلَـف طـرق التفكيـر الخاطئـة حـول مـن هـو يسـوع -ومنهـا هرطقـات مـا زالـت معنـا حتَّـى اليـوم- اعترفـت الكنيسـة بهويَّـة يسـوع بشـكل يعكـس أمانـةً تجـاه الكتـاب المقـدَّس وبدقَّـة لاهوتيَّـة، وهـو اعتـراف وعقيـدة يجـب أن نتبعهمـا اليـوم. أمَّـا الجـزء الثالـث فيقـدِّم ملخَّصًـا لاهوتيًّـا منهجيًّـا لمـن هـو يسـوع باعتبـاره الله الابـن المتجسِّـد مـن الكتـاب المقـدَّس وفـي ضـوء

٦ لغويًّا، ليـس هنـاك تمييـز بيـن كلمتَـي «شـخص» و«أقنـوم». لشـرح أكثـر تفصيـلاً عـن هـذا الموضـوع راجـع الكتـاب السـابق عـن الثالـوث مـن نفـس هـذه السلسـلة؛ (المُتَرجِـم).

٧ تمَّ استئذان Crossway بشأن أيَّة مادَّة مستخدمة من *God the Son Incarnate* في هذا العمل.

الأرثوذكسيا المُعترِفة. باختصار، يحاول الكتاب الإجابة عن الأسئلة التي كثيرًا ما تُطرح حول هويَّة المسيح وطبيعة التجسُّد.

في النهاية، هدفي من كتابة هذا الكتاب هو مساعدة الكنيسة على معرفة الربِّ يسوع وفقًا للكتاب المقدَّس، وبالتالي في كلِّ مجده وعظمته، لقيادة الكنيسة إلى الوثوق به أكثر باعتباره ربَّنا الوحيد ومخلِّصنا، وتجهيز الكنيسة لصوغ أرثوذُكسيا كريستولوجيَّة مُتِّصلة مع «الإِيمَانِ الْمُسَلَّمِ مَرَّةً لِلْقِدِّيسِينَ» (يهوذا ٣).

الجزء الأوَّل

الأسس الكتابيَّة

فهم هويَّة المسيح

١

مقاربة الكتاب المقدَّس وفقًا لشروطه الخاصَّة للتعرُّف على المسيح

لقد اعترفت الكنيسة باستمرار عبر العصور أنَّ يسوع الناصريَّ هو الله الابن المتجسِّد، وبالتالي فهو الربُّ والمخلِّص الوحيد. ولكن على أيَّة أسسٍ معرفيَّة أسَّست الكنيسة هذا الاعتراف؟ على أساس إعلان كلمة الله السلطانيِّ الذي يسوِّغ وحده لمثل هذا الاعتراف اللاهوتيِّ عن يسوع. وهكذا، لكي تعرف الكنيسة من هو يسوع وتتحدَّث عنه بشكل صحيح، فإنَّ الكنيسة، منذ أيامها الأولى، قد صاغت كريستولوجيا فوقيَّة، أي من وجهة نظر الكتاب المقدَّس. فالكتاب المقدَّس -العهد القديم أوَّلاً ثمَّ

الجديد- لم يقدِّم فقط «الحقائق» عن يسوع، بل قدَّم أيضًا الإطار التفسيريَّ لفهم هويَّة يسوع. إذ تعرف الكنيسة أنَّها لا تستطيع تحديد هويَّة يسوع بشكل صحيح إلاَّ من خلال وضعها في سياق قصَّة الكتاب المقدَّس، وتعليمه، ورؤيته الكونيَّة.[١] في الواقع، لن تؤدِّي أيَّة محاولة لصياغة كريستولوجيا بوسائل أخرى إلاَّ إلى يسوع من نسْج مخيِّلتنا.

لكن بشكلٍ تدريجيٍّ منذ ظهور التنوير، ابتداءً من القرن السابع عشر، لم يعد يُنظَر إلى هذه القناعات اللاهوتيَّة والمنهجيَّة على أنَّها ذات مصداقيَّة. فخلال هذه الحقبة، تمَّت صياغة كريستولوجيا على أسس لاهوتيَّة أخرى نتج عنها يسوع القائد الدينيُّ البارع، ولكن ليس الكلمة المتجسِّد. لماذا حدث هذا؟ على الرغم من أنَّ الإجابة معقَّدة، فإنَّ هذا كان في الأساس بسبب التحوُّلات الكليَّة في الرؤية الكونيَّة. فعلى مدى الأربعمئة عام الماضية، شهدنا حقيقة القول المأثور القديم «للأفكار عواقب». إذ بعد عصر الإصلاح، ظهرت «أفكار» معيَّنة تحدَّت الطريقة التي فكَّرت بها الكنيسة ثمَّ رفضتها، ومعظم الناس في الغرب أعادوا التفكير في الله وعلاقته بالعالم. وبشكل أكثر تحديدًا، أدَّت تلك الأفكار حول قوَّة العقل البشريِّ، وطبيعة الواقع، ومعرفتنا بهذا الواقع إلى تحوُّلات حاسمة في «هياكل المعقوليَّة». فبدءًا من عصر التنوير واستمرارًا خلال عصر الحداثة وما بعد الحداثة الآن، عانت القواعد الفكريَّة التي تحدِّد كيف يفسِّر الناس العالم وما هو ممكن من تحوُّلٍ إلى البعد عن المسيحيَّة التاريخيَّة لإنكار قناعاتها اللاهوتيَّة الأساسيَّة. وهذا هو السبب في أنَّ الكثيرين في الغرب يتعثَّرون بشأن اعتراف الكنيسة بمن هو يسوع. فبالنسبة للكثيرين، لا يبدو ذلك معقولاً أو متماسكًا من الناحية المنطقيَّة.[٢]

١ الرؤية الكونيَّة Worldview؛ هو الأفق المَعْرفيُّ الذي يرى الإنسانُ العالمَ من خلاله، وبه يكتسب كُلُّ شيءٍ مفهومًا وقيمةً بالنسبةِ له. يقوم المفهوم أساسًا على دراسة الأفكار التي يعتنقها أحد أفراد المجتمع عن ذاته والآخرين والعالم الذي يعيش فيه؛ (المُتَرجِم).

2 Colin Brown, *Jesus in European Protestant Thought, 1778–1860* (Grand Rapids, MI: Baker, 1985).

في عمله الرائع عن تأثير العَلْمنة على تفكيرنا، يتتبَّع تشارلز تيلور Charles Taylor هذه التغييرات المعرفيَّة على مدى ثلاث فترات زمنيَّة متميِّزة، تتمحور حول عصر التنوير. ومن خلال القيام بذلك، يشرح لماذا يجد عصرنا أنَّه من غير المعقول أن نبدأ بالحقائق الأساسيَّة للأَهوت المسيحيِّ ولماذا تغيَّرت القواعد التي تسوِّغ الإيمان. فقبل عصر التنوير، وجد الناس أنَّه من المستحيل عدم تصديق الرؤية الكونيَّة المسيحيَّة. وبدءًا من عصر التنوير، أصبح من الممكن عدم الإيمان بالحقائق الأساسيَّة للمسيحيَّة؛ ثمَّ بعد ثلاثمئة عام من عصر التنوير، يجد معظم الناس أنَّه من المستحيل الإيمان بالحقائق الموضوعيَّة للأَهوت المسيحيِّ.[٣] يشير ديفيد وِلز David Wells إلى نفس النقطة. وهو يؤكِّد أنَّ علم اللاهوت اليوم يصاغ ضمن واقع مزدوج: أوَّلاً، «تفكُّك عالم التنوير واستبداله بأخلاقيَّات ما بعد الحداثة»، وثانيًا، زيادة التعدديَّة الدينيَّة.[٤]

ما هو تأثير هذه التغييرات على الكريستولوجيا؟ هو كبير، ولكنَّ الأهمَّ من ذلك، قادت تلك التغييرات الناس إلى الاعتقاد بأنَّ اعتراف الكنيسة بالمسيح يفتقر إلى المعقوليَّة. إذ يفترض الناس إمَّا أنَّ يسوع الكتاب المقدَّس لا يمكن أن يوجد، أو أنَّه لا يستطيع أن يفعل ما يقول الكتاب المقدَّس أنَّه فعله. وعلى هذا النحو، شكَّك الناس في اعتراف الكنيسة بتفرُّد المسيح وباعتباره الله الابن المتجسِّد. إنَّ سؤال غوتهولد لِسِنغ Gotthold Lessing الذي طُرح منذ سنوات عديدة لا يزال قائمًا وجديرًا: «كيف يمكن لرجل عاش ومات منذ سنوات أن يكون له أهميَّة كونيَّة جامعة لدى جميع الناس؟» اليوم، يعتقد معظم الناس أنَّ يسوع هو أحد القادة الدينيِّين من

3 Charles Taylor, *A Secular Age* (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2007).

4 David F. Wells, *Above All Earthly Pow'rs: Christ in a Postmodern World* (Grand Rapids, MI: Eedrmans, 2005), 5.

بين كثيرين؛ وهو اعتقاد، للأسف، يبدو أنَّه تسلَّل إلى الكنيسة الإنجيليَّة.[٥]

كيف ينبغي أن نتجاوب؟ تتطلَّب الاستجابة الكاملة الدفاع عن الرؤية الكونيَّة المسيحيَّة كليًّا، وهذا ليس الغرض من هذا الكتاب. بدلاً من ذلك، ينصبُّ تركيزي على المنهج اللاهوتيِّ الذي يدعم مثل هذا الدفاع، خاصَّةً فيما يتعلَّق بصوغ الكريستولوجيا. وأطروحتي هي كالتالي: بالاتِّساق مع ما فعلته الكنيسة في الماضي، فإنَّ المطلوب ليس كريستولوجيا دونيَّة، بل كريستولوجيا فوقيَّة. قبل أن أشرح سبب ذلك، اسمحوا لي أوَّلاً أن أحدِّد كيف أستخدم المصطلحات.

كريستولوجيا دونيَّة مقابل كريستولوجيا فوقيَّة

أحيانًا يتمُّ تعريف كلمات «دونيَّة» و«فوقيَّة» بطرق مختلفة. بالدونيَّة، أقصد محاولة صوغ الكريستولوجيا من وجهة نظر البحث التاريخيِّ النقديِّ، بغضِّ النظر عن الالتزام بالسلطة الكاملة للكتاب المقدَّس والرؤية الكونيَّة المسيحيَّة المؤمنة بالله. مثل هذا النهج ينتقد الكتاب المقدَّس ويفترض أنَّ «يسوع التاريخ» ليس هو «يسوع الكتاب المقدَّس». على العكس من ذلك، تبدأ الكريستولوجيا الفوقيَّة بالثالوث إله الكتاب المقدَّس وكلمته، وتسعى إلى تحديد شخص يسوع وعمله من داخل حقِّ الكتاب المقدَّس.

إنَّ كلَّ تفسير وصياغة لهويَّة المسيح يعتمد ويُشتَقُّ من وشيجة (رابطة) افتراضيَّة من الالتزامات الفلسفيَّة واللاهوتيَّة. إذ أنَّ أيَّة محاولة لقول من هو يسوع أو لتحديد أهميَّته تقف خلفها وجهات نظر مكتملة بشأن هويَّة وماهيَّة الله، والبشريَّة، وما إلى ذلك، بالإضافة إلى الكيفيَّة

5 statement nos. 3 and 6 of *The State of Theology*, Ligonier, accessed May 7, 2020, https://thestateoftheology.com/.

التي نسوِّغ بها لهذه المعتقدات. منذ البداية، جادلت الكنيسة أنَّه من أجل صياغة كريستولوجيا بشكل صحيح، يجب أن نفعل ذلك بموجب الكتاب المقدَّس. لكي نعرف المسيح، يجب أن نفعل ذلك من خلال نهجٍ معرفيٍّ مبنيٍّ على الإعلان الموحى به، وعلى الرؤية الكونيَّة الكتابيَّة.

من ناحية أخرى، تحاول الكريستولوجيا الدونيَّة إعادة بناء يسوع التاريخيِّ بأساليب نقديَّة لتحديد ما يمكننا معرفته من الكتاب المقدَّس. وبالرغم من أنَّ المشاكل في هذا النهج متعدِّدة، فإنَّ مشكلته المركزيَّة هي أنَّه قبل أن يتمكَّن المرء من بناءِ لاهوتٍ عن المسيح، يجب على الناقد أوَّلاً أن يحدِّد ما هو دقيق وما هو غير دقيق فيما قدَّمه الكتاب المقدَّس عن المسيح، والذي غالبًا ما تحكمه الافتراضات اللاهوتيَّة والفلسفيَّة غير المسيحيَّة، بالأخصِّ افتراضات تقتضيها إحدى أشكال الطبيعانيَّة المنهجيَّة Methodological naturalism.[٦] ليس من المستغرَب أن يكون يسوع الكريستولوجيا الدونيَّة ليس هو يسوع الكتاب المقدَّس ولكنَّه غالبًا ما يكون انعكاسًا للشخص الذي يقوم هو نفسه بالتحقُّق. لهذا السبب، جادلت الكنيسة بأنَّ المطلوب هو كريستولوجيا فوقيَّة.

لماذا يجب أن تكون الكريستولوجيا فوقيَّة؟

أوَّلاً، يجب أن تكون الكريستولوجيا فوقيَّة لأنَّه إذا لم يكن الكتاب المقدَّس هو الشرط الضروريُّ والكافي لتسويغ استنتاجاتنا الكريستولوجيَّة، فلن نتمكَّن في النهاية من قول أيِّ شيءٍ حقيقيٍّ لاهوتيٍّ وموضوعيٍّ حول هويَّة المسيح. ترى الكريستولوجيا الدونيَّة أنَّها أوَّلاً يجب أن تقرِّر أيَّ

٦ مذهب الطبيعانيَّة المنهجيَّة Methodological naturalism، هو الرأي القائل بأنَّه لكي تكون أيَّة دراسة للعالم مشروعة، بما في ذلك دراسة التاريخ واللاهوت، يجب شرح جميع العلاقات بين السبب والنتيجة بطريقة طبيعيَّة ودون الرجوع إلى عمل الله الفريد والاستثنائيِّ في العالم. على هذا النحو، فإنَّ هذا الرأي يرفض إمكانيَّة عمل الله العجائبيِّ في العالم منذ البداية.

الحقائق التاريخيَّة عن يسوع في الكتاب المقدَّس صحيحة، والأهمُّ من ذلك، متى (إن وجد) يكون التفسير اللاهوتيُّ لكاتب الوحي عن يسوع دقيقًا. إذا لم يكن يسوع التاريخيُّ مطابقًا ليسوع الكتاب المقدَّس، فيجب على النقَّاد أن يضعوا معايير خارج الكتاب المقدَّس لتسويغ ما هو حقيقيٌّ وما هو مرتبط باللاهوت المتعلِّق بالمسيح. لكن ما هي بالضبط تلك المعايير؟ العقلانيَّة البشريَّة؟ الخبرة الدينيَّة؟ النتائج «المؤكَّدة» للعلم الكتابيِّ؟ ومن الذي يقرِّر تلك المعايير؟ يفترض هذا النوع من النهج منذ البداية أنَّ الثالوث لم يكلِّمنا بسلطان.

منذ عصر التنوير، تمَّت تجربة هذا النهج من خلال العديد من «مساعي البحث عن يسوع التاريخيِّ»؛ وهي مَسَاعٍ لا تزال تؤثِّر علينا حتَّى اليوم.[٧] كان الهدف منها هو استعادة «يسوع التاريخيِّ»، الذي هو ليس مطابقًا لـ «يسوع الكتاب المقدَّس»، من خلال تقشير طبقات الكتاب المقدَّس الأسطوريَّة والخرافيَّة باستخدام الأسلوب التاريخيِّ-النقديِّ. من المهمِّ أن نلاحظ أنَّ نقطة البداية وخاتمة هذه المساعي تمثِّل تحوُّلاً حادًّا بعيدًا عن الكريستولوجيا الأرثوذكسيَّة، لأنَّها تعمل على أساس افتراضاتٍ نابعة من رؤية كونيَّة لا تنتمي للكتاب المقدَّس.

رفض المسعى القديم، أو الأوَّل (١٧٧٨-١٩٠٦)،[٨] تفسير النصِّ الكتابيِّ في ضوء ادعاءاته ومحتواه وإطاره التفسيريِّ الخاصِّ به. وافترض هؤلاء اللاهوتيُّون أنَّ الكتاب المقدَّس غير موثوق به تمامًا وشرعوا في إعادة بناء يسوع «التاريخيِّ» دون الاعتماد على الطرح الكتابيِّ وتقريبًا بدون الرجوع

٧ للمزيد عن المساعي، انظر:
Brown, *Jesus in European Protestant Thought*; N. T. Wright, *Jesus and the Victory of God*, vol. 2 in *Christian Origins and the Question of God* (Minneapolis: Fortress, 1997), 1–124; Alister E. McGrath, *The Making of Modern German Christology,* 1750–1990, 2nd ed. (Eugene, OR: Wipf and Stock, 2005).

٨ تأتي تسمية المسعى القديم، أو الأوَّل، من العنوان الإنجليزي لـ
Albert Schweitzer's *The Quest of the Historical Jesus*: *A Critical Study of Its Progress from Reimarus to Wrede*, trans. William Montgomery (New York: Macmillan, 1968).

إليه. ثمَّ أتى النصف الأوَّل من القرن العشرين بفترة انتقاليَّة (١٩٠٦-١٩٥٣)؛ تسمَّى «اللامَسعى»؛[٩] إذ قرَّر فيها بعض اللاهوتيِّين أنَّ الحقائق التاريخيَّة ليست ضروريَّة للإيمان المسيحيِّ. وأدَّت صعوبة تأسيس أيَّة معرفة تاريخيَّة تتماشى مع الإبستمولوجيا التنويريَّة وأدوات المنهج التاريخيِّ-النقديِّ إلى تحويل المشكلة مؤقَّتًا من الموثوقيَّة التاريخيَّة للكتاب المقدَّس إلى ما به من ميثولوجيا مُفتَرَضة. على سبيل المثال، استبدل رودولف بولتمان Rudolf Bultmann ببساطة ما يسمَّى بالإطار الميثولوجي للعهد الجديد بإطارٍ وجوديٍّ، لكنَّه رفض الإطار اللاهوتيِّ للكتاب المقدَّس ومفهوم رؤيته الكونيَّة.[١٠]

يركِّز المسعى الجديد أو الثاني (من ١٩٥٣ إلى الوقت الحاضر) على الـ kerygma («المناداة») عن يسوع في الكتاب المقدَّس، كون هذا المسعى غير راضٍ عن شكوك المسعى القديم والتشكيك الراديكاليِّ الذي يتَّسم به اللامسعي.[١١] يتَّفق هؤلاء اللاهوتيُّون مع المساعي الأخرى أنَّ **تقاليد تواتر الإنجيل** هي تفسيرات للكنيسة الباكرة، لكنَّهم يعتقدون أنَّ الأناجيل تحتوي على حقائق تاريخيَّة حقيقيَّة، والتي يسعون إلى استردادها. ومع ذلك، يظلُّ المسعى الجديد ملتزمًا بشدَّة بالطبيعانيَّة المنهجيَّة، والقواعد التي يستخدمونها لاكتشاف يسوع التاريخيِّ هي مستقلَّة عن اللاهوت المسيحيِّ التاريخيِّ.

في الوقت نفسه، يتبع المسعى الثالث (منذ أوائل الثمانينيَّات

9 W. Barnes Tatum, *In Quest of Jesus: A Guidebook* (Atlanta: John Knox, 1982), 71.

10 Rudolf Bultmann, New Testament and Mythology and Other Basic Writings, ed. and trans. Schubert M. Ogden (Philadelphia: Fortress, 1984), 5–6.

١١ كمثال، انظر:

Ernst Käsemann, "The Problem of the Historical Jesus," in *Essays on New Testament Themes*, trans. W. J. Montague (1964; repr., London: SCM, 2012), 15–47; James M. Robinson, *A New Quest of the Historical Jesus and Other Essays* (Minneapolis: Fortress, 1983).

حتى الوقت الحاضر)[١٢] نسخته المعدَّلة من المعايير التاريخيَّة-النقديَّة. بشكلٍ عامٍّ، يطبِّق هذا المسعى قواعد الأصالة بشكل أكثر سخاءً في محاولة لأخذ نصوص العهد الجديد على محمل الجدِّ كمستندات أدبيَّة ذات مصداقيَّة غير كاملة ولكنَّها أساسيَّة. يأخذ هؤلاء اللاهوتيُّون أيضًا على محمل الجدِّ السياقَ اليهوديَّ للمسيحيَّة الباكرة؛ وهو سياق غالبًا ما تتجاهله المساعي الأخرى. لكن بالنسبة للكثيرين في هذه الحركة، فإنَّ هذه الجهود التصالحيَّة ما زالت لا تعني عودةً إلى السلطة الكاملة للكتاب المقدَّس، ممَّا يؤدِّي إلى مشكلة عدم قول أيِّ شيءٍ لاهوتيٍّ ومهمٍّ بشكلٍ كونيٍّ جامع عن يسوع.

في النهاية، يجاهد كلُّ مسعى لوضع المعايير والمسوِّغات. فإذا كان الكتاب المقدَّس غير موثوق به لأنَّه مزيج من الحقيقة والخيال، فلا يمكن أن يكون بمفرده بمثابة مُسوِّغٍ لاهوتيٍّ لما لدينا من كريستولوجيا. إنَّ سلطة الكتاب المقدَّس وموثوقيَّته هما الشرط المسبَّق لإمكانيَّة صَوْغ كريستولوجيا بطريقة موضوعيَّة ومعياريَّة. فبدون الكلام الإلهيِّ الذي يكشف الحقائق الصحيحة عن يسوع وكذا التفسير السلطانيِّ لهويَّته، ستفقد الكريستولوجيا مصداقيَّتها، وسيضيع تفرُّد المسيح في بحر التعدُّديَّة. كما يلاحظ فرانسيس واطسون Francis Watson بجدارة: «من غير المرجَّح أن تؤكِّد الأبحاث التاريخيَّة التجسُّد أو ربَّا مُقامًا من بين الأموات.»[١٣] وحتَّى إذا كان يسوع المُعاد بناؤه شخصيَّة ذات أهميَّة ما، «فلا يمكن مطابقته مع مسيح الإيمان الذي تعترف به الكنيسة.»[١٤] إنَّ جلَّ ما

١٢ للمزيد عن المسعى الثالث، انظر:

Ben Witherington, III, *The Jesus Quest*: *The Third Search for the Jew of Nazareth*, 2nd ed. (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1997).

13 Francis Watson, "*Veritas Christi*: How to Get from the Jesus of History to the Christ of Faith without Losing One's Way," in *Seeking the Identity of Jesus: A Pilgrimage*, ed. Beverly Roberts Gaventa and Richard B. Hays (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2008), 104.

14 Watson, "*Veritas Christi*," 105.

يفعله ورثة التنوير هو أنَّهم يفاقمون مشكلة إعادة بناء الماضي من خلال افتراض أنَّ الأحداث التاريخيَّة تفسِّر نفسها بنفسها وتظهر شفَّافةً لعين التحقيق التاريخيِّ. لا يمكن للبحث التاريخيِّ وحده أن يسفر عن تفسيرٍ موضوعيٍّ وصحيح بشكل معصوم لهويَّة يسوع وأهميَّته.

إذًا، فإنَّ التعرُّف على يسوع بشكل صحيح يتطلَّب من الله نفسه أن يكشف الحقائق التاريخيَّة والأهميَّة اللاهوتيَّة لتلك الحقائق. إنَّ الكريستولوجيا الدونيَّة تقوِّض الأسس الإبستمولوجيَّة للإيمان الأرثوذكسيِّ مخلِّفةً وراءها كريستولوجيا معياريَّة إشكاليَّة. وحدها الكريستولوجيا الفوقيَّة توفِّر مسوِّغًا للاعتراف اللاهوتيِّ للكتاب المقدَّس والكنيسة بالمسيح.

ثانيًا، تفشل الكريستولوجيا الدونيَّة في تأسيس التفرُّد والأهميَّة الكونيَّة الجامعة ليسوع لأنَّها تنتزعه من قصَّة الكتاب المقدَّس وإطاره التفسيريِّ. تتطلَّب الكريستولوجيا الأرثوذكسيَّة تربة معيَّنة تنمو فيها، والكريستولوجيا الدونيَّة تنتزع يسوع من تربة الكتاب المقدَّس الواهبة للحياة. فنحن لا يمكننا أن نفهم تفرُّد يسوع وأهميَّته الكونيَّة الجامعة إلاَّ من خلال تركه مغروسًا بقوَّة في خطَّة الله الأبديَّة الواردة في الكتاب المقدَّس. إذا تمَّ إبعاد المسيح عن الكتاب المقدَّس، فسوف يفقد هويَّته الحقيقيَّة بصفته الابنَ الإلهيَّ الذي أصبح بشرًا من أجلنا ومن أجل خلاصنا (يوحنَّا ١: ١-١٨)؛ سيصبح أحجيةً بالنسبة لنا، وعرضة لمختلف الهياكل التخيُّليَّة والاعتباطيَّة. هذه هي المشكلة بالنسبة لأولئك الذين يعتقدون أنَّ الحقائق التاريخيَّة عن يسوع، وتحديدًا قيامته الجسديَّة، تحمل معناها الخاصَّ بصرف النظر عن وضع يسوع وقيامته ضمن خطَّة الله الشاملة التي قدَّمها الكتاب المقدَّس.

على سبيل المثال، يمثل وولفهارت بانِنبِرغ Wolfhart Pannenberg

كريستولوجيا دونيَّة بكلِّ ما تستتبعه من مشاكل.[١٥] يجادل بانبرغ أوَّلاً أنَّ الحقائق التاريخيَّة، التي تمَّ تمييزها من خلال البحث التاريخيِّ، تحمل معناها الخاصَّ، وبالتالي تسمح لنا بقول شيءٍ لاهوتيٍّ عن المسيح. ومع ذلك، فهو يتخبَّط قليلاً لأنَّه يعرف أيضًا أنَّه لكي نقول شيئًا لاهوتيًّا حقًّا (حقيقيًّا موضوعيًّا لدى الجميع)، يجب أن توضع قيامة المسيح ضمن «الإطار الرؤيويِّ» لليهوديَّة المتأخِّرة.[١٦] لماذا؟ لأنَّه بمعزل عن وضع قيامة المسيح في هذا الإطار «الكونيِّ الجامع»، لن نتمكَّن من استنتاج أنَّ يسوع فريد، وبالتالي لن نتمكَّن من قول أيِّ شيءٍ لاهوتيٍّ عنه. وهكذا، بالنسبة إلى بانبرغ، فإنَّ البحث التاريخيَّ، المحدَّد في إطارٍ «كونيٍّ جامع»، يسمح لنا بعمل كريستولوجيا دونيَّة.

يُعتبَر بانبرغ محقًّا في نقطة واحدة. إذ لكي نقول أيَّ شيءٍ لاهوتيٍّ عن يسوع، يجب أن نضعه ضمن شبكة تفسيريَّة كونيَّة جامعة. ومع ذلك، يواجه بانبرغ مشكلة خطيرة: الإطار الكونيُّ الجامع الذي يعتمد عليه يأتي من الكتاب المقدَّس، ولكن بالنسبة له، فإنَّ الكتاب المقدَّس ليس ذا سلطة وصحيحًا تمامًا. فكيف يمكنه إذًا أن يلجأ إلى الكتاب المقدَّس إذا كان غير دقيق في كثير من الأحيان؟ ماذا لو كان الإطار الرؤيويُّ الذي يستخدمه هو ببساطةٍ البناء الميثولوجيُّ لليهوديَّة والكنيسة الباكرة؟ إذا كان الأمر كذلك، فإنَّه لا يحمل أيَّة سلطة على علم الكريستولوجيا.

يسأل كولِن غانتِن Colin Gunton أسئلة بانبرغ ذاتها. حتى لو سلَّمنا، كما يؤكِّد غانتِن، أنَّ كريستولوجيا بانبرغ تؤكِّد الأهميَّة الإلهيَّة ليسوع،

15 Wolfhart Pannenberg, *Jesus: God and Man*, trans. Lewis L. Wilkins and Duane A. Priebe, 2nd ed. (Philadelphia: Westminster, 1977); Pannenberg, *Systematic Theology*, trans. Geoffrey W. Bromiley, 3 vols. (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1992), 1:277–396.

16 Pannenberg, *Jesus: God and Man*, 98.

فمن الصعب أن نرى كيف فعل ذلك بطريقة تتّفق مع طريقته. كما يجادل غانتِن، فإنَّ وضع الحقائق التاريخيَّة ضمن الإطار التفسيريِّ للكتاب المقدَّس دون تسويغ ذلك، فهذا يستلزم أنَّه «إمَّا يفترض مسبَّقًا بعض القناعات العقائديَّة («قرينة المعنى») وبالتالي فهو لا يجادل دونيًّا بصدق على الإطلاق؛ أو أنَّه يفشل في إثبات ما هو مطلوب، أي ألوهيَّة يسوع.»[١٧] علاوةً على ذلك، يتَّهم غانتِن بانبرغ بالخلط بين سؤالين منفصلين: «الأوَّل يتعلَّق بأهميَّة يسوع في سياق التفسير؛ أي ما كان يقصده لمعاصريه. والثاني يتعلَّق بأهميَّته الآن.»[١٨] ما يجب تسويغه، كما يصرُّ غانتِن، هو قبول إطار المعنى الذي يقدِّمه الكتاب المقدَّس بالنسبة لنا اليوم، ولكن بالنظر إلى رفض بانبرغ لسلطة الكتاب المقدَّس الكاملة، كيف يمكنه أن يفعل ذلك إذًا؟

في الحقيقة، الطريقة الوحيدة التي يمكننا من خلالها تسويغ الادِّعاء اللاهوتيِّ بأنَّ يسوع هو الابن الإلهيُّ وأنَّ تجسُّده وعمله لهما أهميَّة جامعة هي من خلال وضع شخص المسيح وعمله بالكليَّة ضمن خطَّة الله الثالوث كما هي واردة في الكتاب المقدَّس عند النظر إليه كمصدر ذي سلطة. وحدها الكريستولوجيا الفوقيَّة هي التي سينتج عنها لاهوت عن يسوع الكتاب المقدَّس.

تتجذَّر الكريستولوجيا الأرثوذكسيَّة في مفهومٍ محدَّدٍ عن الله، والكتاب المقدَّس، والبشر، وما إلى ذلك، وبعيدًا عن تلك الرؤية الكونيَّة، لا يمكن لها الصمود. لصَوْغ كريستولوجيا أمينة اليوم، يجب علينا أن نعبِّر عن النظام اللاهوتيِّ الذي يقوم عليه هذا النظام ونداف ع عنه. يجب أن ندافع عن الإيمان الثالوثيِّ بالله، والكتاب

17 Colin E. Gunton, *Yesterday and Today: A Study of Continuities in Christology*, 2nd ed. (London: SPCK, 1997), 21.

18 Gunton, *Yesterday and Today*, 21.

المقـدَّس باعتبـاره أكثـر مـن مجـرَّد كونـه موثوقًـا. تعتمـد الكريسـتولوجيا الأرثوذكسـيَّة فـي ترابطهـا علـى حقائـق محـدَّدة؛ تلـك الحقائـق التـي يسـوِّغها الكتـاب المقـدَّس وحـده. يعطينـا الكتـاب المقـدَّس سـردًا حقيقيًّـا للتاريـخ ووجهـة نظـر بعيـن الله. الكتـاب المقـدَّس هـو كلمـة الله الثالـوث وفيـه يتكلَّـم فـي ومـن خـلال الكُتَّـاب البشـر (تيموثـاوس الثانيـة ٣: ١٥-١٧؛ بطـرس الثانيـة ١: ٢١)، وعلـى هـذا النحـو، يقـدِّم لنـا الكتـاب المقـدَّس تفسـير الله الخـاصَّ لخطَّتـه، التـي تتمحـور حـول المسـيح. أمَّـا بمعـزل عـن تحديـد مـن هـو يسـوع فـي الكتـاب المقـدَّس، فـإنَّ الكريسـتولوجيا الأرثوذكسـيَّة لـن تكـون غيـر معقولـة فقـط، بـل مسـتحيلة أيضًـا.

ثالثًـا، الكريسـتولوجيا الدونيَّـة لا يمكنهـا أن تدعـم الإيمـان المسـيحيَّ. وكمـا يلاحـظ ديفيـد وِلـز بـذكاء، فـإنَّ «الكريسـتولوجيات المبنيَّـة مـن «أسـفل» [أي دونيًّـا] تنتـج فقـط شـخصيَّة دينيَّـة ‹ذات حيـاة كبـرى›، أي مـا يختبـره العديـد مـن الآخريـن بالفعـل لكـن بصـورة كاملـة ومثاليَّـة.»[١٩] إنَّ صـوغ كريسـتولوجيا دونيَّـة لا يقودنـا أبـدًا إلـى الإيمـان بـالله الابـن، مَـن جـاء مـن فـوق لنـا ولخلاصنـا. ببسـاطة، مـن غيـر الممكـن بنـاء كريسـتولوجيا كتابيَّـة وأرثوذكسـيَّة مـن نسـيج الخبـرة الإنسـانيَّة عـن طريـق إعـادة البنـاء التاريخيِّ-النقـديِّ. لـن يكـون المسـيح الناتـج مسـتحقًّا لعبادتنـا أبـدًا.

لهـذه الأسـباب، مـن الضـروريِّ صـوغ كريسـتولوجيا فوقيَّـة. وبفعلنـا ذلـك، نقـف أيضًـا فـي اتِّصاليَّـة إيمانيَّـة مـع الكنيسـة. فلطالمـا قامـت الكنيسـة بصـوغ كريسـتولوجيا فوقيَّـة. فـي الواقـع، إنَّ الكريسـتولوجيا الفوقيَّـة هـي وحدهـا التـي يمكـن أن تسـاعدنا علـى معرفـة سـبب احتياجنـا إلـى يسـوع باعتبـاره ربَّنـا ومخلِّصنـا الوحيـد. عندمـا نقـرأ الكتـاب المقـدَّس، نكتشـف مـدى خطـورة خطايانـا أمـام الله ولمـاذا وحـده الله

19 David F. Wells, *The Person of Christ: A Biblical and Historical Analysis of the Incarnation* (Westchester, IL: Crossway, 1984), 172.

الابـن المتجسِّـد هـو الـذي يسـتطيع أن يخلِّصنـا. لكـي نقـف مبرَّريـن أمـام الله، نحتـاج إلـى يسـوع هـذا وحـده فـي عملـه النيابـيِّ والبدلـيِّ عنَّـا. هـذا النهـج هـو أبعـد مـا يكـون عـن التقليـل مـن قيمـة ناسـوت يسـوع، بـل إنَّـه يعزِّزهـا، لأنَّنـا نعلـم أنَّ نـوع المخلِّـص الـذي نحتاجـه يجـب أن يكـون إلهًـا كامـلاً وإنسـانًا كامـلاً؛ المسـيح يسـوع ربّنـا.

صَوْغ الكريستولوجيا الفوقيَّة واستخدام الكتاب المقدَّس

يمنحنـا الله الثالـوث وكلمتـه المسـوِّغ الإبسـتمولوجيَّ والرؤيـة الكونيَّـة اللازمـة لتعريـف يسـوع علـى أنَّـه الله الابـن المتجسِّـد ومـن ثـمَّ التكلُّـم عنـه لاهوتيًّـا. إذًا، يجـب علـى الكريسـتولوجيا الكتابيَّـة أن تصـوغ هويَّـة يسـوع وطبيعـة التجسُّـد مـن خـلال الاهتمـام بعنايـة بالطـرح القانونـيِّ عنـه فـي الكتـاب المقـدَّس.

تتطلَّـب هـذه المهمَّـة نهجًـا مـن داخـل نـصِّ الكتـاب المقـدَّس، أي قـراءة الكتـاب المقـدَّس وفقًـا لطرحـه وادِّعاءاتـه الخاصَّـة، وفقًـا لتصانيـف الكتـاب المقـدَّس وبنيتـه. لكـي نفهـم يسـوع بشـكل صحيـح، يجـب أن يوضـع ضمـنَ الإطـار التفسـيريِّ للكتـاب المقـدَّس وتعاليمـه السـلطانيَّة وألاَّ يُنتـزع منـه. يُعتبَـر بولـس مثـالاً جيِّـدًا علـى هـذا النهـج. عندمـا ذهـب بولـس إلـى أثينـا (أعمـال الرسـل ١٧: ١٦-٣٢)، ونظـرًا لأنَّ الأثينيِّيـن يجهلـون حتَّـى أكثـر الحقائـق البدائيَّـة التـي يحتـاج إلـى إيصالهـا، نـراه يبشِّـر بالمسـيح مـن خـلال رسـم مخطَّـط الرؤيـة الكونيَّـة للكتـاب المقـدَّس للعالـم أوَّلاً، وذلـك لإعطـاء معنـى منطقـيٍّ لهويَّـة المسـيح بشـروط الكتـاب المقـدَّس. مُبتَدِئًـا بإلـه الخليقـة، ومن هـم البشـر، وطبيعـة مشـكلتنا، يمهِّـد بولـس المسـرح للمنـاداة بالمسـيح. عندئـذٍ، يُظهـر بولـس المعقوليَّـة اللاهوتيَّـة التـي ليسـوع، ويوضِّـح سـبب

كونه وحده هو الربُّ والمخلِّص من خلال وضعه في إطار وتصنيف الرؤية الكونيَّة المسيحيَّة.[٢٠]

علاوةً على ذلك، يفترض النهج النابع من داخل النصِّ حقائق معينة عن الكتاب المقدَّس: الكتاب المقدَّس هو كلمة الله مكتوبة من خلال العامِليَّة الحُرَّة (Free agency) للكُتَّاب البشر. وباعتباره كلمة الله، فإنَّه يعطينا تفسيرًا سلطانيًّا لهويَّة يسوع. وعلى الرغم من أنَّ الكتاب المقدَّس لا يتناول كلَّ التفاصيل، حتَّى عن يسوع (يوحنَّا ٢١: ٢٥)، فإنَّ كلَّ ما يقوله يقوله بدقَّة وبلا أخطاء. لذلك، لا يوجد تمييز بين «يسوع التاريخ» و«مسيح الإيمان»؛ إذ هو تمييز يفترض أنَّ الكتاب المقدَّس لا يمكن الاعتماد عليه في سرد الأحداث التاريخيَّة وتفسيرها.

في الواقع، إنَّ الاعتراف بأنَّ الكتاب المقدَّس هو من الله هو شرط مسبَّق لكريستولوجيا معياريَّة. إذ أنَّ الكتاب المقدَّس وحده هو الذي يصلح كمعيارٍ لفهم هويَّة المسيح. إنَّ انتزاع يسوع من قصَّة الكتاب المقدَّس أو قبول بعض الأجزاء دون الأخرى لن يؤدِّي إلاَّ إلى بناء أحاديٍّ واعتباطيٍّ وخاطئ في نهاية المطاف لهويَّة يسوع. إذا لم «نفسِّر نصوص الكتاب المقدَّس ‹وفق شروطها الخاصَّة›»،[٢١] بإصدار أحكامٍ لاهوتيَّة وفقًا لتعاليم الكتاب المقدَّس الخاصَّة، فإنَّ يسوع الناتج لن يكون هو يسوع الكتاب المقدَّس. إنَّ قراءة الكتاب المقدس «وفقَ شروطه الخاصَّة» يستلزم أن نقرأ القانون [الأسفار القانونيَّة] بأكمله ونأخذ بجدِّيَّة ما يقوله عن أعمال الله الجبَّارة وكيف تفسِّرها الأسفارُ، خاصَّةً فيما يتعلَّق بالمسيح. هذا يعني أنَّ الكتاب المقدَّس يصف حقائق التاريخ بدقَّة ويشرح تلك الحقائق حتى نتمكَّن من معرفة المسيح

٢٠ للمزيد عن هذه النقطة، انظر:

D. A. Carson, "Athens Revisited," in Telling the Truth: Evangelizing Postmoderns, ed. D. A. Carson (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2000), 384–98.

21 Kevin J. Vanhoozer, "Exegesis and Hermeneutics," in *New Dictionary of Biblical Theology*, ed. T. Desmond Alexander and Brian S. Rosner (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2000), 52.

بشكل صحيح وصياغة تعاليم صحيحة عنه. بصوغنا للكريستولوجيا، ننتقل بحذر من تعليم الكتاب المقدَّس الخاصَّة (المرتبة الأولى) إلى الصياغة اللاهوتيَّة (المرتبة الثانية).[٢٢]

عندما ننتقل من الكتاب المقدَّس (القانون) إلى الصياغة اللاهوتيَّة (المفهوم)، يجب أن نأخذ بجديَّة المساعدة التي يقدِّمها التقليد واللاهوت التاريخيُّ. وهذا ينطبق بشكل خاصٍّ على ما يتعلَّق بالكريستولوجيا. تمثِّل قوانين إيمان نيقية (٣٢٥م) وخلقيدونيَّة (٤٥١م) قواعدَ إيمانٍ كاثوليكيَّة،[٢٣] أو جامعة، في الكنيسة؛ وتحدِّد هذه القواعد الأرثوذكسيا الكريستولوجيَّة، وحين نتنازل عنها فنحن نخاطر بتحمُّل العواقب. لا تحظى قوانين الإيمان هذه بتلك المكانة لأنَّها تتساوى مع الكتاب المقدَّس؛ لكن لأنَّها «تجمع معًا» كلَّ التعاليم الكتابيَّة بطريقة أمينة ومتماسكة. إنَّ علم اللاهوت النظاميِّ هو أكثر من مجرَّد تكرارٍ للكتاب المقدَّس. إنَّه الممارسة الكاملة لـ «الإيمان الساعي للفهم»، كما وصفه آنسَلْم Anselm. في الواقع، فإنَّ الاهتمام الكامل بالكتاب المقدَّس يدفعنا إلى فهمه. على سبيل المثال، كيف نفهم أنَّ يسوع هو الابن في علاقته بالآب (يوحنَّا ٥: ١٦-٣٠)؟ كيف نفهم العلاقة بين ألوهيَّة الابن وبشريَّته (يوحنَّا ١: ١، ١٤)؟ كيف نفهم حقيقة أنَّ يسوع بصفته الله الابن يعرف كلَّ الأشياء ومع ذلك يقول أيضًا إنَّه لا يعرف كلَّ الأشياء (مرقس ١٣: ٣٢)؟ تنشأ أسئلة كهذه بشكل مشروع من الكتاب المقدَّس، وإذا كنَّا مخلصين للكتاب المقدَّس، فإنَّها تتطلَّب تفكيرًا لاهوتيًّا بنَّاءً، وهو بالضبط ما يستلزمه صوغ الكريستولوجيا.

مع ذلك، يجب علينا أيضًا أن نظلَّ واضحين بشأن أنَّ اللاهوت

٢٢ انظر:

Richard Lints, *The Fabric of Theology*: *A Prolegomenon to Evangelical Theology* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1993), 259–336.

٢٣ الكلمة هنا تُستَخدَم بمدلولها اللاهوتيِّ لا الطائفيِّ، والذي يعني «عامّ» أو «جامع»؛ (المُتَرجِم).

التاريخيَّ وقوانين الإيمان كقواعد للإيمان يجب أن تخضع دائمًا للكتاب المقدَّس. إنَّ الكتاب المقدَّس هو قاعدة حاكمة norma normans وله سلطة قضائيَّة حاكمة على التقليد. أمَّا التقليد فيعمل باعتباره قاعدة محكومة norma normata بصفته خادمًا للمساعدة في تفسيرنا وتطبيقنا للكتاب المقدَّس. إنَّ ذكر العلاقة بين الكتاب المقدَّس والتقليد بهذه الطريقة لا ينكر أنَّ قراءة الكتاب المقدس تنطوي على «دوَّامة تفسيريَّة».[٢٤] إذ لا أحد يقترب من الكتاب المقدَّس بذهنٍ خالٍ (أو «صفحة بيضاء» بدون أفكار مسبَّقة)؛ فنحن جميعًا نفسِّر الكتاب المقدَّس من خلال وجهات النظر والافتراضات وحتى التحيُّزات. لكنَّ الكتاب المقدَّس قادر على تأكيد أو تصحيح وجهات نظرنا حسب الحاجة، لأنَّ الكتاب المقدَّس هو كلمة الله المكتوبة ذات السلطان الواضحة والكافية لصوغ اللاهوت. في الفصول الثلاثة التالية، ننتقل إلى الأُسس الكتابيَّة لفهم هويَّة يسوع، قبل التفكير في اعتراف الكنيسة بيسوع على أنَّه الابن الإلهيُّ المتجسِّد.

٢٤ انظر مثلاً:
Grant R. Osborne, *The Hermeneutical Spiral: A Comprehensive Introduction to Biblical Interpretation*, 2nd ed. (Downers Grove, IL: IVP Academic, 2010).

٢

هويَّة المسيح من قصَّة الكتاب المقدَّس

من هو يسوع؟ للإجابة عن هذا السؤال، يجب أن نتَّجه إلى الكتاب المقدَّس، ولكن أوَّلاً إلى العهد القديم. لماذا؟ إنَّ فَهْمَنا لمن هو يسوع والسبب الذي أتى من أجله يُعطى لنا من قصَّة الكتاب المقدَّس بأكملها، بدءًا من سفر التكوين. لا يأتي يسوع إلينا في فراغٍ مجرَّد أو بلا سياق مسبَّق. بدلاً من ذلك، يأتي يسوع الكتاب المقدَّس إلينا من الكتاب المقدَّس بأكمله. هناك نصوص بعينها في العهد الجديد ليس لها معنى إلاَّ عندما توضع في سياق العهد القديم. ولإثبات الهويَّة الكتابيَّة

للمسيح، يجب أن نفعل ذلك من الكتاب المقدَّس بكامله.

في الواقع، بينما نتتبَّع قصَّة الكتاب المقدَّس -بدءًا من الخلق، وتفسير السقوط، وتكشُّف وعد الله بفادٍ قادمٍ من خلال العهود الكتابيَّة- نكتشف أنَّ الكتاب المقدَّس يكشف عن التعليم القائل بأنَّ يسوع هو الله الابن المتجسِّد. في الفصول ٣-٤، ننتقل إلى معطيات العهد الجديد المتعلِّقة بالمسيح، ولكن في هذا الفصل، نرسم أربع حقائق، أو لَبِنات بناء، متأصِّلة في قصَّة الكتاب المقدَّس العهديَّة، وهي ضرورية لتمهيد الطريق لمعطيات العهد الجديد، لفهم هويَّة يسوع ولماذا هو وحده الربُّ والمخلِّص.

الله كربِّ العهد الخالق الثالوث[١]

قد يبدو البدء بهويَّة الله للتعرُّف على المسيح غريبًا، لكنَّه ليس كذلك. لا يمكننا أن نعرف من هو يسوع، خاصَّةً بصفته الابن الإلهيَّ، بمعزل عن البدء بإله الكتاب المقدَّس.

في الواقع، كما لاحظنا في الفصل السابق، هكذا بدأ بولس في أثينا (أعمال الرسل ١٧: ١٦-٣٢). وبالنظر إلى أنَّ الأثينيِّين كانوا منغمسين في عبادة الأصنام، ولرؤيتهم التعدُّديَّة، ولجهلهم بالرؤية الكونيَّة الكتابيَّة، فإنَّ بولس أوَّلاً يبني إطارًا كتابيًّا لاهوتيًّا حتَّى تكون مناداته بيسوع منطقيَّة وفقًا لشروط الكتاب المقدَّس الخاصَّة. وبعد أن فعل هذا، حينئذٍ فقط شرع بولس في تحديد من هو يسوع من واقع الرؤية الكونيَّة الكتابيَّة من أجل تأسيس تفرُّده وحصريَّته باعتباره ربًّا ومخلِّصًا.

---

١ هذا الجزء مُقتبَس من:
Stephen J. Wellum, "*Solus Christus*: What the Reformers Taught and Why It Still Matters," *Southern Baptist Journal of Theology* 19, no. 4 (2015): 79–107. Used by permission of *The Southern Baptist Journal of Theology*.

وحتَّى في العظة المختَصَرة المسجَّلة في أعمال الرسل ١٧، يبدأ بولس طرحه بالعقيدة عن الله والخلق ثمَّ ينتقل عبر التاريخ الافتدائيّ إلى مجيء المسيح. ومن خلال القيام بذلك، يشرح بولس من هو يسوع في إطار الكتاب المقدَّس ووفق تصانيفه. في الواقع، كما يذكِّرنا دونالد كارسون D.A. Carson، «إنَّ الأخبار السارَّة عن يسوع المسيح -أي من هو وما أتمَّه بموته وقيامته وصعوده للمجد- لن تبدو متماسكة ما لم تكن هناك أُطر هيكليَّة معيَّنة قد تأسَّست بالفعل. ... لا يمكن للمرء أن يفهم تصوير الكتاب المقدَّس لشخصيَّة يسوع بدون وجود مثل هذه الأطُر الهيكليَّة.»[٢] مع وضع ذلك في الاعتبار، دعونا نبدأ في تحديد هويَّة يسوع من خلال تحديد هويَّة الله أوَّلاً.

إنَّ الله هو ربُّ العهد، الخالقُ الثالوثُ.[٣] ومنذ الآيات الافتتاحيَّة للكتاب المقدَّس، يُقدَّم الله على أنَّه خالق الكون غير المخلوق والمستقلُّ والمكتفي ذاتيًّا والذي يخلق ويحكم كلَّ الأشياء بكلمته (التكوين ١-٢؛ المزامير ٥٠: ١٢-١٤؛ أعمال الرسل ١٧: ٢٤-٢٥؛ راجع يوحنَّا ١: ١). تؤسِّس هذه الحقيقة التمييز المركزيَّ للاَّهوت بأكمله: التمييز بين الخالق والمخلوق، والذي يلغي أيَّة وجهات نظر واحديَّة (Pantheistic) أو احتوائيَّة (Panentheistic) عن العلاقة بين الله والعالم. فالله وحده هو الله. وكلُّ شيءٍ آخر هو الخلق ويعتمد عليه تمامًا لاستمداد الحياة وكلِّ شيء. إنَّ سيادة الله الفائقة (ملوك الأول ٨: ٢٧؛ المزامير ٧: ١٧؛ ٩: ٢؛ ٢١: ٧؛ ٩٧: ٩؛ إشعياء ٦: ١؛ الرؤيا ٤: ٣) تلغي أيضًا أيَّة فكرة عن الربوبيَّة، والتي ترفض فكرة العامِليَّة النشِطة لله في تاريخ البشريَّة. الله هنا متسامٍ ولكن حاضر بشكل دائم مع خليقته. وبصفته الخالق، فإنَّ الله هو ربُّ

2 D. A. Carson, "Athens Revisited," in *Telling the Truth: Evangelizing Postmoderns*, ed. D. A. Carson (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2000), 386.

3 John M. Frame, *The Doctrine of God*, Theology of Lordship (Phillipsburg, NJ: P&R, 2002), 1–115.

العهد الذي هو حاضر تمامًا ومرتبط بمخلوقاته: فهو يحفظ ويحكم كلَّ الأشياء بحريَّة، وسيادة، ووفقًا لمقاصده، فهو يحكم كلَّ شيءٍ لتحقيق غايته المنشودة (المزامير ١٣٩: ١-١٠؛ أعمال الرسل ١٧: ٢٨؛ أفسس ١: ١١؛ ٤: ٦)، لكنَّه ليس جزءًا من عالمه ولا ينمو مع خليقته.

بصفته الخالق وربَّ العهد، يتحكَّم الله شخصيًّا بسيادةٍ على خليقته. إنَّه يحكم بقوَّة كاملة ومعرفة وبرٍّ (المزامير ٩: ٨؛ ٣٣: ٥؛ ١٣٩: ١-٤، ١٦؛ إشعياء ٤٦: ٩-١١؛ أعمال الرسل ٤: ٢٧-٢٨؛ رومية ١١: ٣٣-٣٦) باعتباره الكائن الوحيد المستقلَّ والمكتفي ذاتيًّا. وبصفته ربًّا، يعمل الله في مخلوقاته وبها ومن خلالها لتحقيق خطَّته ومقاصده (أفسس ١: ١١). وشخصيًّا، يأمر الله، ويحبُّ، ويعزِّي، ويدين بطريقة تتَّفق مع ذاته ووفقًا لعلاقات العهد التي يقيمها مع مخلوقاته. في الواقع، بينما نتحرَّك عبر تاريخ الفداء، لا يكشف الله عن نفسه على أنَّه ذو وحدانيَّة مجرَّدة فحسب، بل مثلَّث في أشخاصه/أقانيمه، كائن في علاقة، وحدةٌ في ثلاثة أقانيم: الآب والابن والروح (مثلاً، متَّى ٢٨: ١٨-٢٠؛ يوحنَّا ١: ١-٤، ١٤-١٨؛ ٥: ١٦-٣٠؛ ١٧: ١-٥؛ كورنثوس الأولى ٨: ٥-٦؛ كورنثوس الثانية ١٣: ١٤؛ أفسس ١: ٣-١٤).

الله هو القدُّوس أيضًا (التكوين ٢: ١-٣؛ الخروج ٣: ٢-٥؛ اللاويِّين ١١: ٤٤؛ إشعياء ٦: ١-٣؛ راجع رومية ١: ١٨-٢٣). إنَّ قداسة الله تعني ما هو أكثر من كونه «مكرَّسًا». إذ ترتبط قداسة الله بشكل خاصٍّ باستقلاليَّته وسيادته وجلاله المجيد.[4] فالله، ولكونه الله، مكتفٍ ذاتيًّا أخلاقيًّا بشكلٍ فوقطبيعيٍّ، ومن ثمَّ فهو مختلفٌ عن خليقته بشكلٍ قاطع وجوهريٍّ في طبيعته ووجوده؛ وهو لا يشارك مجده الشخصيَّ مع أحد (إشعياء ٤٠-٤٨). أيضًا، تستلزم قداسة الله كماله الشخصيَّ والأخلاقيَّ. إنَّه من قبل

4 Willem VanGemeren, *New International Dictionary of Old Testament Theology and Exegesis*, 3 vols. (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1997), 3:879; Richard A. Muller, *The Divine Essence and Attributes*, vol. 3 of *Post-Reformation Reformed Dogmatics* (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2003), 497–503.

عنه: «عَيْنَاكَ أَطْهَرُ مِنْ أَنْ تَنْظُرَا الشَّرَّ، وَلاَ تَسْتَطِيعُ النَّظَرَ إِلَى الْجَوْرِ.» (حبقُّوق ١: ١٣؛ قارن إشعياء ١: ٤-٢٠؛ ٣٥: ٨). يجب أن يتصرَّف الله بالعدالة المقدَّسة عندما يتمرَّد شعبه ضدَّه، ومع ذلك فهو الله الذي يحبُّ شعبه بمحبَّة عهديَّة مقدَّسة (هوشع ١١: ٩). لا تتعارض قداسة الله ومحبَّته أبدًا (يوحنَّا الأولى ٤: ٨؛ الرؤيا ٤: ٨). ومع ذلك، عندما دخلت الخطيَّة إلى العالم ووعد الله بفدائنا بمقتضى نعمته، طُرح سؤالٌ حول الكيفيَّة التي سيفعل بها ذلك بينما يظلُّ أمينًا تجاه ذاته؛ ولكن المزيد حول هذا أدناه.

هذا الملخَّص لهويَّة الله هو الحقيقة الأولى، أو لبنة البناء، التي تساعدنا على فهم هويَّة المسيح. إذ تعطي طبيعة الله بصفته ربَّ العهد الثالوث الخالق شكلاً إيمانيًّا محدَّدًا للإطار التفسيريِّ للكتاب المقدَّس، والذي بدوره يعطي شكلاً إيمانيًّا محدَّدًا لهويَّة المسيح. للمساعدة في توضيح هذه النقطة، دعونا نفكِّر في ثلاثة أمثلة محدَّدة.

أوَّلاً، طبيعة الله الثالوثيَّة تشكِّل هويَّة المسيح. كما سنرى في الفصل الثالث، يرى يسوع نفسه على أنَّه الابن الإلهيُّ الذي يستمرُّ في الارتباط بالآب والروح حتى عندما يتجسَّد لأنَّهم يشتركون بشكل كامل ومتساوٍ في الطبيعة الإلهيَّة الواحدة في محبَّةٍ وشركةٍ كاملتين (يوحنَّا ١: ١، ١٨؛ ١٧: ٥). في الواقع، لأنَّ يسوع هو الابن فهو الله، وهذا بدوره يؤسِّس تفرُّده ويشرح سبب الأهميَّة الجامعة التي لحياته وموته. أيضًا، لا يمكن فهم أفعال يسوع وعمله بمعزل عن علاقات الأقانيم داخل الثالوث. ففي نهاية المطاف، الابن هو من صار جسدًا (يوحنَّا ١: ١٤)، وليس الآب أو الروح، ومع ذلك فإنَّ الأشخاص/الأقانيم الثلاث يتصرَّفون بشكلٍ لا ينفصل في التجسُّد وفي جميع أعمال يسوع. إنَّ يسوع، باعتباره الابن، يعمل من الآب وبواسطة الروح (يوحنَّا ١: ٣٢-٣٤؛ ٥: ١٩-٢٣). ويرسل الآب

الابـنَ (يوحنَّـا ٣: ١٦)، والـروح القـدس يحقِّـق اتِّحـاده بالطبيعـة البشـريَّة (لوقـا ١: ٣٥-٣٧)، ويفـدي الابـنُ شـعبَه بالـروح (العبرانيِّيـن ٩: ١٤). فـي كلِّ مـا عمـل وتصـرَّف، عـاش يسـوع، بصفتـه الابـن المتجسِّـد، ومـات فـي وحـدة غيـر منقطعـة مـع الآب والـروح. إنَّ المسـيح ليـس طرفًـا ثالثًـا يتصـرَّف بشـكلٍ مسـتقلٍّ عـن الله. حتَّـى علـى الصليـب، لا نـرى ثلاثـة أطـراف بـل طرفيـن فقط: الله الثالـوث فـي ومـن خـلال الابـن المتجسِّـد، والبشـريَّة. إنَّ الصليـب هـو دليـل علـى محبَّـة الآب ببذلـه لابنـه (يوحنَّـا ٣: ١٦).[٥]

ثانيًـا، إنَّ الطابـع العهـديَّ لله الثالـوث يشـكِّل أيضًـا هويَّـة المسـيح. وبقولـي «الطابـعُ العهـديُّ»، أشـير أوَّلاً إلـى مـا أطلَـقَ عليـه اللاهـوت المُصلَـح «عهـدَ الفـداء»، وليـس العهـود الكتابيَّـة فـي التاريـخ. يعلِّـم الكتـاب المقدَّس أنَّ الله لديـه خطَّـة أبديَّـة (مثـلاً، المزاميـر ١٣٩: ١٦؛ إشـعياء ٢٢: ١١؛ أفسـس ١: ٤؛ ٣: ١١؛ تيموثـاوس الثانيـة ١: ٩؛ بطـرس الأولـى ١: ٢٠). فـي هـذه الخطَّـة، يُعيَّـن الابـنُ الإلهـيُّ وسـيطًا لشـعبه، وفقًـا لعلاقـات الأشـخاص/الأقانيم داخـل الثالـوث. ويقبـل الابـن بفـرح وطواعيـة هـذا التعييـن مصحوبًـا بشـروط العهـد والوعـود التـي تُمِّمَـت فـي تجسُّـده وحياتـه وعملـه علـى الصليـب (لوقـا ٢٤: ٢٥-٢٧؛ أفسـس ١: ٩-١٠؛ العبرانيِّيـن ١٠: ٥-٧؛ الرؤيـا ١٣: ٨). تحـدِّد خطَّـة الله السـبب وراء التجسُّـد (العبرانيِّيـن ٢: ٥-١٨) وأنَّ دور الابـن فـي تلـك الخطَّة هـو أن يكـون وسـيطًا، ممَّـا يعطـي معنًـى وأهميَّـة لشـخص المسـيح وعملـه مـن أجلنـا. إذ لا يمكننـا أن نفهـم مجـيء يسـوع وعملـه فـي الأناجيـل بمعـزل عـن كونـه تحقيقًـا لخطَّـة الله الأبديَّـة وبالتالـي يصبـح عمـلاً إلهيًّـا. حتَّـى فـي طاعتـه البشـريَّة، فـإنَّ يسـوع، باعتبـاره الابـن، يقـوم بالعمـل الـذي يمكـن لله وحـده أن يقـوم بـه مـن خـلال تدشـين ملكـوت الله بواسـطة عمـل عهـده

٥ عن هذه النقطة، انظر:
John R. W. Stott, *The Cross of Christ*, 20th anniversary ed. (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2006), 133–62.

الجديـد (العبرانيِّـين ٩: ١٥ - ١٠: ١٨).

ثالثًا، إنَّ الطابـع العهـديَّ لله الثالـوث يشـكِّل أيضًـا هويَّـة المسـيح. لقـد التقـط اللاهوتيُّـون المعنـى المهيـب لربَّانيِّـة الله فـي صوغهـم لمصطلـح «القيُّوميَّـة Aseity»؛ الـذي يعنـي حرفيًّـا: «مـن ذاتـه» [أي أنَّـه قيُّـوم/ قائـم بذاتـه/ واجـب الوجـود مـن ذاتـه]. ولكـن كمـا يذكِّرنـا جـون فريـم John Frame، فـإنَّ قيُّوميَّـة الله هـي أكثـر مـن مجـرَّد مفهـوم فوقطبيعـيٍّ. كمـا أنَّ لـه أيضًـا آثـارًا معرفيَّـة وأخلاقيَّـة.[٦] فـالله ليـس موجـودًا بذاتـه فحسـب؛ بـل إنَّـه يصـادق علـى ذاتـه بذاتـه (أي أنَّ علمـه المطلـق هـو فقـط مـن ذاتـه) ويبـرِّر ذاتـه (أي أنَّ إرادتـه وطبيعتـه همـا المعيـار الأخلاقـيُّ المطلـق).

لمـاذا يُعتَبَـر هـذا مهمًّـا لفهـم مـن هـو المسـيح؟ أوَّلاً، كمـا سـأناقش فـي الفصـل الرابـع، يقـدِّم العهـد الجديـد يسـوعَ مـرارًا وتكـرارًا علـى أنَّـه يهـوه مـن خـلال تلقيبـه بالـ «الـربِّ»، وبالتالـي مطابقتـه بـالله الحقيقـيِّ والحـيِّ الواحـد (مثـلاً، رومية ١٠: ٩؛ كورنثـوس الأولـى ١٢: ٣، فيلبِّـي ٢: ١١). وفقًـا للفكـر الكتابـيِّ، لا يمكـن لأيِّ مخلـوق أن يشـترك فـي صفـات الله (كولوسـي ٢: ٩)، أو أن يقـوم بأعمـال الله (كولوسـي ١: ١٥-٢٠؛ العبرانيِّيـن ١: ١-٣)، أو أن يقبـل عبـادة الله (يوحنَّـا ٥: ٢٢-٢٣؛ فيلبـي ٢: ٩-١١؛ العبرانيِّيـن ١: ٦؛ الرؤيـا ٥: ١١-١٢)، أو أن يحمـل ألقـاب واسـم الله (يوحنَّـا ١: ١، ١٨؛ ٨: ٥٨؛ ٢٠: ٢٨؛ رومية ٩: ٥؛ فيلبِّـي ٢: ٩-١١؛ العبرانيِّيـن ١: ٨-٩) إلاَّ إذا كان مسـاويًا لله، وبالتالـي يشـترك فـي نفـس الطبيعـة الإلهيَّـة.[٧]

ثانيًـا، نظـرًا لأنَّ إرادة الله وطبيعتـه همـا المعيـار الأخلاقـيُّ، فـإنَّ الخطيَّـة قـدَّام هـذا الإلـه هـي مشـكلة خطيـرة. وبصفتـه القـدُّوس، فـإنَّ الله هـو

6 Frame, *Doctrine of God*, 602.

٧ عن هذه النقطة، انظر:

Richard Bauckham, *Jesus and the God of Israel*: "*God Crucified*" *and Other Studies on the New Testament's Christology of Divine Identity* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2008).

«دَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ» الـذي يفعـل الصـواب دائمًـا (التكويـن ١٨: ٢٥). ولكنَّـه وإن وعـد بتبريرنـا قدَّامـه (التكويـن ١٥: ٦؛ رومية ٤: ٥)، فهـو لا يمكـن أن يتغاضـى عـن خطايانـا؛ إذ يجـب أن يظـلَّ أمينًـا لمُطالَباتـه البـارَّة ضـدَّ الخطيَّـة. ولكـن كيـف يمكـن أن يبقـى الله بـارًّا ومبـرِّرًا للأشـرار فـي آنٍ معًـا؟ فـي الكتـاب المقـدَّس، هـذا هـو السـؤال الرئيسـيُّ الـذي يقـود قصَّـة الكتـاب المقـدَّس الافتدائيَّـة بأكملهـا. فـي نهايـة المطـاف، وبينمـا تتكشَّـف خطَّـة الله، تأتـي الإجابـة عـن هـذا السـؤال فـي شـخص محـدَّد، أي المسـيح يسـوع، الـذي يمكنـه وحـده أن يفدينـا علـى وجـه التحديـد لأنَّـه الابـن الإلهـيُّ، الـذي صـار أنسـانًا ليكـون ممثِّـلاً لنـا ويحـلُّ محلَّنـا (رومية ٣: ٢١-٢٦). كإلـهٍ، فهـو قـادر علـى تلبيـة مُطالَباتـه البـارَّة ضدَّنـا، وكإنسـان، فهـو قـادر علـى تلبيـة مُطالَبـات حيـاة العهـد بالنسـبة لنـا كـرأسٍ للعهـد الجديـد.

بهـذه الأمثلـة الثلاثـة فقـط، نـرى كيـف تخـدم هويَّـة الله فهمَنـا لهويَّـة المسـيح، ولمـاذا يجـب علـى الابـن الإلهـيِّ أن يصبـح بشـرًا ليفديَنـا. سـنطوِّر هـذه الروابـط فـي الفصـول اللاحقـة، ولكـنَّ النقطـة الرئيسـيَّة لدينـا الآن هـي هـذه: لمعرفـة مـن هـو المسـيح، يجـب أن نفكِّـر أوَّلاً بشـكل صحيـح فـي هويَّـة الله.

مَطلَب طاعة العهد

إنَّ فهـم التجسُّـد ولمـاذا أصبـح الله الابـن إنسـانًا ليخلِّصنـا مـن خطايانـا (متَّـى ١: ٢١) يتطلَّـب لبنَـة ثانيـة: طبيعـة البشـر كأبنـاء علـى صـورة الله (أي حاملـي صـورة الله الذيـن هـم «أبنـاء» لـه، ومـن ثـمَّ يمثِّلونـه) وكمخلوقـات العهـد. لفهـم هـذه النقطـة أيضًـا، يتطلَّـب منَّـا ذلـك أن نعـود إلـى آدم والخلـق ثـمَّ نتتبَّـع الرابـط الـذي يضعـه الكتـاب المقـدَّس بيـن الوصيـة واللعنـة فـي آدم الأوَّل، وتجسُّـد وعمـل الابـن الإلهـيِّ باعتبـاره آدم الأخيـر،

والـذي هـو العـلاج الوحيـد لآدم الأوَّل.

يقسِّـم الكتـاب المقـدس الجنـس البشـريَّ علـى أنَّـه مصنَّـف تحـت رأسـين مُمَثِّلَيـن لـه: آدم الأول وآدم الأخيـر (رومية ٥: ١٢-٢١؛ كورنثـوس الأولـى ١٥: ١٢-٢٨). فـي خطَّـة الله، آدم هـو رمـز للمسـيح والـذي يوحـي بمجـيء المسـيح الـذي هـو آدم الأخيـر. إنَّ آدم ليـس هـو الإنسـان الأوَّل فحسـب، بـل هـو أيضًـا رأس العهـد وممثِّـل البشـريَّة جمعـاء. تحـدِّد رئاسـة آدم مـا يعنيـه أن تكـون إنسـانًا، وللأسـف، مـن خـلال فعـل العصيـان ذي الطبيعـة القانونيَّـة التمثيليَّـة الـذي قـام بـه، أغـرَق كلَّ النـاس فـي الخطيَّـة (رومية ٥: ١٢-٢١؛ راجـع ٣: ٢٣).

تقـع مطالبـة الله بالطاعـة العهديَّـة فـي مركـز علاقتـه بالبشـريَّة. ففـي نهايـة المطـاف، مـاذا عسـى الإلـه الخالـق ربُّ العهـد أن يطلـب منَّـا غيـر ذلـك؟ لقـد دُعـي آدم، بصفتـه مخلوقًـا مـن الله ورأس عهدنـا، إلـى عهـد الـولاء والطاعـة الكاملـة (التكويـن ٢: ١٥-١٧). وكانـت وظيفـة شـجرة معرفـة الخيـر والشـرِّ هـي اختبـار مـا إذا كان آدم سـيكون ابنًا-صـورة مطيعًـا. لكـن للأسـف، عصـى آدم، ونتائـج عملـه لـم تختـصَّ بـه وحـده. فبعـد السـقوط، يولـد كلُّ النـاس «فـي آدم» -مذنبيـن وفاسـدين- وللأسـف، يسـتمرُّون فـي ارتـكاب الخطيَّـة. وتصيـب خطيَّـة آدم الخليقـة كلَّهـا أيضًـا؛ فنحـن نعيـش الآن فـي عالـم ملعـون سـاقط غيـر طبيعـيٍّ لا يمكـن إلاَّ لله أن يعالجـه (رومية ٨: ١٨-٢٥)، بينمـا حملـت شـجرة الحيـاة وعـدًا ضمنيًّـا بالحيـاة. ولكـن بسـبب الخطيَّـة، طُـرد آدم مـن عـدن كإجـراء دينونـةٍ مـن الله. ومـع ذلـك، مـا زال هنـاك بصيـص أمـل نـراه فـي وعـد الله فـي التكويـن ٣: ١٥ والعهـود التـي تكشَّـفت فيمـا بعـد.

لمـاذا يُعتَبَـر هـذا مهمًّـا لفهـم مـن هـو المسـيح؟ تعطـي لِبنـةُ البنـاء هـذه الأسـاسَ المنطقـيَّ لسـببِ وجـوب أن يتجسَّـد الابـن الإلهـيُّ مـن أجلنـا

ولماذا يجب أن يكون أعظم. فلكي تُبطل خطيَّة آدم ويُدفع ثمنها، يجب أن يأتي «نسل» المرأة (التكوين ٣: ١٥). بعبارة أخرى، لكي يحدث الفداء، كان يجب على إنسانٍ أن يفعل ذلك. يجب عليه، كآدم الأعظم، أن يقدِّم الطاعة العهديَّة المطلوبة التي يطلبها الله منَّا. ومع ذلك، فإنَّ إبطال خطيَّة آدم وكلِّ آثارها الكارثيَّة يتطلَّب أكثر من مجرَّد إنسان. فهو يتطلَّب أيضًا الابن الإلهيَّ، الصورة الحقيقيَّة لله (كولوسي ١: ١٥؛ العبرانيِّين ١: ٣)، للقيام بعمل الله، أي إزالة اللعنة، ودفع ثمن خطايانا، وتدشين الخليقة الجديدة. وللتأكيد على السبب في أنَّ إبطال خطيَّة آدم يتطلَّب أكثر من مجرَّد إنسان، نحتاج إلى الانتقال إلى اللبنة التالية لهويَّة المسيح.

طبيعة مشكلة الإنسان

إنَّ محور العهد والغرض من خلقِنا هو أنَّ الله الثالوث قد خلق البشر ليعرفوه ولكي يكونوا أبناءً-صُوَرًا لاستعراض مجده ولتوسيع حدود عدن إلى أقصى أرجاء المسكونة.[٨] ولكن ماذا حدث عندما تمرَّد البشر على الله، وشوَّهوا الصورة، ولم يتصرَّفوا كأبناء؟ هل لا يزال من الممكن تحقيق الغرض الإلهيِّ؟ كيف يكون سلام العهد ممكنًا بدون طاعة العهد؟ كيف يغفر الله لمن يخطئ ضده؟

تكشف القصَّة من التكوين ٣ فصاعدًا أنَّ عصيان آدم جلبَ الخطيَّة إلى العالم، وأتي بالبشر تحتَ غضب الله. في التكوين ١: ٣١ نقرأ: «وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا.» وفي التكوين ٣، طرد الله آدم وحوَّاء من محضره بسبب الخطيَّة، وأصبحت وراثة الخطيَّة أمرًا شاملاً جامعًا. ثمَّ في التكوين ٦، تضاعفت الخطيَّة البشريَّة لدرجة أنَّها أدَّت

8 G. K. Beale and Mitchell Kim, *God Dwells among Us: Expanding Eden to the Ends of the Earth* (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2014).

إلى الدينونة بالطوفان. وبالنظر إلى الوراء في مسار التاريخ البشريِّ، يؤكِّد بولس سقوطنا الشامل: «لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ. ... إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ.» (رومية ٣: ١٠، ٢٣). لقد قلبت خطيَّة آدم نظام الخليقة رأسًا على عقب وجلبت علينا حكم الموت (رومية ٦: ٢٣). لقد خلقنا لنعرف الله ونحبَّه ونخدمه. لكنَّنا الآن نعيش تحت دينونته البارَّة كأعداء له وكموضوع لغضبه (أفسس ٢: ١-٣).

كيف يستجيب الله تجاه خطايانا؟ بالدينونة والغضب، مع وعد الله بالفداء، لذا يوجد الآن ما يسمِّيه جون ستُوتْ John Stott «مشكلة الغفران».[٩] ما هي هذه المشكلة؟ بالنظر إلى الاستجابة الإلهيَّة لخطيَّة البشر، يظهر أنَّ الله يجب أن يفعل شيئين يبدو أنَّهما متعارضان: معاقبة خطايانا وغفرانها. من ناحية، يجب أن يعاقب الله الخطيَّة لأنَّه قدُّوس وعادل. ومن ناحية أخرى، خلقنا الله وعاهدنا أن يمجِّد نفسه في الحكم البارِّ للبشر على الخليقة، وليس في تدميرنا. لكنَّ المشكلة تتعمَّق أكثر في طبيعة الله نفسه.

كما أشرنا سابقًا، الله قدُّوس وعادل، والخطيَّة موجَّهة ضده، والخطيَّة يجب أن تُعاقَب.[١٠] لماذا؟ ذلك بسبب هويَّة الله وكونه المعيار الأخلاقيَّ المطلق لكلِّ الكون. إنَّ كلَّ صفات الله جوهريَّة بالنسبة له، بما في ذلك قداسته وبرُّه وعدله. وبالنظر إلى عدالته، فالله ليس كقضاة البشر الذين يحكمون بمقتضى قوانين خارجة عنهم؛ بل الله هو نفسه القانون. إنَّ خطيَّتنا ليست ضدَّ مبدأ مجرَّد أو قانون غير مُشَخصَن، بل هي دائمًا ضدَّ الله (المزامير ٥١: ٤). لذلك لكي يغفر الله لنا، يجب أن يظلَّ أمينًا تجاه نفسه، وهذا أمر رائع بشكل عجيب! هذا هو السبب في أنَّ مسامحتنا ممكنة فقط

9 Stott, *Cross of Christ*, 90–91.

١٠ هذه الفقرة مستوحاة من:

Stephen J. Wellum, "Answering 4 Common Objections to Penal Substitutionary Atonement," 9Marks, https://www.9marks.org/article/answering-4-common-objections-to-psa/. Used by permission of 9Marks.

إذا تمَّت تلبية مطالَباته الأخلاقيَّة تلبيةً كاملة. لكنَّ هذا يثير سؤالاً حاسمًا: من يقدر أن يرضي مطالَبات الله البارَّة سوى الله نفسه؟

إنَّ ضرورة أن يدين الله خطيَّة الإنسان، مع وعده بالفداء هو بالضبط ما يخلق توتُّرًا في قصَّة الكتاب المقدَّس وفي العلاقات العهديَّة. إذ قد وعد الله بأن يكون إلهنا، لكنَّنا تحت حكم الموت. ولا يمكننا أن ننقذ أنفسنا. بل يجب أن يأتي الخلاص من الله (يونان ٢: ٩). لكن كيف وبواسطة من؟ يعلِّمنا الكتاب المقدَّس أنَّنا بحاجة إلى بديلٍ يمثِّلنا ولكن ليس مجرَّد بديل بشريٍّ. ما نحتاجه هو أن يصير الابنُ الإلهيُّ إنسانًا وأن يفعل لنا ما لا نستطيع أن نفعله لأنفسنا: أن يطيع نيابةً عنَّا وكذا يُرضي مطالَباته البارَّة ضدَّنا.

في ظلِّ وجود هذه اللبنات الأساسيَّة الثلاثة، يمكننا أن نفهم بشكل أفضل هويَّة المسيح وسبب مجيئه. أوَّلاً، بمقتضى هويَّته، يجب على الله أن يقدِّم حلَّه الخاصَّ لمشكلة غفران الخطيَّة. ثانيًا، لأنَّ الله خلق البشر ليتسلَّطوا على الخليقة، يجب أن يأتي الخلاص من خلال الإنسان. ثالثًا، بسبب الفساد الشامل للخطيَّة، يجب أن يكون آدم الأخير هذا أعظم من الأوَّل ومتطابقًا في النهاية مع الله. وهكذا، من قصَّة الكتاب المقدَّس، يجب على الفادي القادم أن يتطابق مع الله في طبيعته ومع البشريَّة في طبيعتنا. لتأكيد هذه النقطة من الكتاب المقدَّس، دعنا ننتقل إلى لبنة البناء الرابعة.

الله الثالوث مُخلِّصًا من خلال طاعة الله الابن[١١]

بالضبط كما أنَّ خطيَّة البشر ووعد الله بالفداء يسبِّبان توتُّرًا في قصَّة الكتاب المقدَّس، فإنَّ حلَّ هذا التوتُّر يطرح سؤالاً حول من هو

١١ هذا المقطع مستوحى من:
Stephen J. Wellum, "*Solus Christus*: What the Reformers Taught and Why It Still Matters," *Southern Baptist Journal of Theology* 19, no. 4 (2015): 79–107. Used by permission of *The Southern Baptist Journal of Theology*.

المؤهَّل لتأسيس ملكوت الله على الأرض وخلاصنا من خطايانا. لقد خلق الله البشر كأبناء-صورٍ ليتسلَّطوا على العالم (التكوين ١: ٢٦-٣١؛ المزامير ٨). لكن لا أحد يستطيع أن يفعل ذلك «في آدم». مَن إذًا يقدر على تأسيس حكم الله، وإبطال ما فعله آدم من خلال تقديم طاعة عهديَّة كاملة، ودفع ثمن خطايانا أمام الله؟ الجواب: يسوع وحده بصفته الله الابن المتجسِّد.

يعلِّمنا الكتاب المقدَّس هذه الحقيقة من خلال الكشف عن خطَّة الله من خلال العهود الكتابيَّة.[١٢] فبعد خطيَّة آدم، لم يتركنا الله لأنفسنا. بدلاً من ذلك، تصرَّف الله بنعمة مطلقة ووعدَ بإبطال آثار الخطيَّة المتعدِّدة من خلال تدبيره لـ «نسلِ» المرأة (التكوين ٣: ١٥)؛ وهو وعد اكتسب وضوحًا أكبر بمرور الوقت. وعلى الرغم من أنَّ الوعد كان في شكل بدائيٍّ حينها، لكنَّنا نتعلَّم أنَّ هذا الفادي القادم سوف يدمِّر أعمال الشيطان ويعيد الخير إلى هذا العالم. يخلق هذا الوعد توقُّعًا أنَّه عندما يتحقَّق أخيرًا، سيتمُّ تدمير الخطيَّة والموت، وسيأتي ملءُ مُلكِ اللهِ الخلاصيِّ. وإذ تتكشَّف خطَّة الله، نكتشف من هو هذا الفادي وكيف سيخلِّصنا. يمكننا تطوير هذه النقطة الأخيرة في ثلاث خطوات.

أوَّلاً، يتكشَّف وعد الله من خلال العهود مع نوح وإبراهيم وإسرائيل وداود. فخطوة بخطوة، يعدُّ اللهُ شعبه لتوقُّع مجيء «النسل»؛ شخص سيكون إنسانًا ولكن أعظم من إنسان أيضًا. كيف؟ يعلِّمنا الكتاب المقدَّس أنَّ تحقيق وعود الله سيكون من خلال إنسانٍ ما، والذي يتطلَّع إليه العديدُ من الشخصيَّات المميَّزة مثل آدم، ونوح، وموسى، وإسرائيل، وداود. لكنَّ الكتاب المقدَّس يطابق هذا «الممسوح» (المسيح) مع الله.

١٢ لمعالجة مفصَّلة عن العهود، انظر:
Peter J. Gentry and Stephen J. Wellum, *Kingdom through Covenant: A Biblical-Theological Understanding of the Covenants*, 2nd ed. (Wheaton, IL: Crossway, 2018).

كيف هذا؟ يسجِّل الكتاب المقدَّس ما يفعله هذا الملك المنتظر: فهو يدشِّن ملكوت الله، ويتشارك عرشَ الله، ويفعل ما يمكن أن يفعله الله وحده (مثلاً، المزامير ٢؛ ٤٥؛ ١١٠؛ إشعياء ٩: ٦-٧؛ حزقيال ٣٤).

ثانيًا، كيف يأتي ملكوت الله في مفهومه الافتدائيِّ؛ بمعنى الخلق الجديد (إشعياء ٦٥: ١٧)؟ بمرور الوقت، ينكشف ملكوت الله الخلاصيُّ، على الأقلِّ في شكلٍ استباقيٍّ، ويأتي إلى هذا العالم من خلال وسطاء العهد؛ آدم ونوح وإبراهيم ونسله وإسرائيل، والأهمُّ من ذلك، داود وأبناؤه. ومع ذلك، يذكِّرنا العهد القديم مرارًا وتكرارًا أنَّه لا رأس من رؤوس العهد هؤلاء هو الواحد المُنتظَر. تمَّ التأكيد على هذا بشكل خاصٍّ مع الملوك الداوديِّين، الذين هم «أبناء» ليهوه، وممثِّلو إسرائيل، والذين سيحضرون حكم الله إلى هذا العالم (صموئيل الثاني ٧: ١٤، ١٩؛ المزامير ٢؛ ٧٢؛ ١١٠؛ إشعياء ١١؛ ٥٢: ١٣ - ٥٥: ١٣). ومع ذلك، يشير داود وأبناؤه في نهاية المطاف إلى مجيء الابن الأعظم لداود، الذي سيطيع طاعةً حَقَّة ويدشِّن مُلك الله الخلاصيَّ من خلال إقرار عهدٍ جديدٍ وكل ما ينطوي عليه هذا العهد.

في هذا الصدد، من المحتمل أن يكون إرميا ٣١ هو أشهر نصوص العهد الجديد في العهد القديم، على الرغم من أنَّ التعليم عن العهد الجديد موجود في جميع الأنبياء. عندما توقَّع الأنبياء العهد الجديد، فقد ربطوه بمجيء ابن داود الأعظم، وعمل الروح (إشعياء ١١؛ حزقيال ٣٦: ٢٥-٢٧؛ يوئيل ٢: ٢٨-٣٢)، والخليقة الجديدة (إشعياء ٦٥: ١٧)، وعمل الله الخلاصيِّ بين الأمم.[١٣] لكنَّ إرميا يركِّز على ما هو حقًّا مركزيٌّ بالنسبة للعهد الجديد، أي الوعد بالمغفرة الكاملة للخطيَّة (إرميا ٣١: ٣٤). بموجب العهد الموسويِّ، يُمنح غفران الخطيَّة عادةً عن طريق نظام الذبائح. ومع ذلك، لم يقصد

١٣ عن هذه النقطة، انظر:

Gentry and Wellum, *Kingdom through Covenant*, 487–765.

الله أبـدًا أن يكـون النظـام القديـم غايـةً فـي حـدِّ ذاته. لهـذا يعلـن الله أنَّه في العهـد الجديـد، لـن تُذكَـر الخطيَّـة «فيمـا بعـد» (إرميـا ٣١: ٣٤)، ممـا يسـتلزم سـدادها بالكامـل. وهكـذا، فـي ظـلِّ العهـد الجديـد، فـإنَّ مـا هـو متوقَّـع هـو الشـركة الكاملـة بيـن الله وشـعبه وسـكنى الله معنـا فـي خليقـة جديـدة؛ وفـي النهايـة تحقيـق مـا جاء فـي التكويـن ٣: ١٥.

ثالثًـا، يمكننـا الآن أن نأخـذ قصَّـة العهـد فـي الكتـاب المقـدَّس ونـرى كيـف تحـدِّد هويَّـة المسـيح. إذا رجعنـا إلـى الـوراء وتسـاءَلنا، مـن هـو القـادر علـى الوفـاء بجميـع وعـود الله، وتدشـين ملكـه الخلاصـيِّ فـي هـذا العالـم، وتحقيـق الغفـران الكامـل للخطيَّـة؟ الجـواب: الله وحـده.

أليـس هـذا مـا يعلِّمـه العهـد القديـم؟ وبينمـا يتتبَّـع الكتـاب المقـدَّس تاريـخ إسـرائيل، يصبـح مـن الواضـح أنَّ الله وحـده يجـب أن يعمـل مـن جانـب واحـد للوفـاء بوعـوده بالفـداء. ففـي نهايـة المطـاف، مـن ذا يسـتطيع أن يدشِّـن خليقـة جديـدة، ويأتـي بالدينونـة النهائيَّـة، والخـلاص؟ مـن يقـدر أن يغفـر الخطيَّـة إلاَّ الله وحـده؟ بالتأكيـد، لـم تتحقَّـق وعـود الله مـن قِبَـل وسـطاء العهـد السـابقين، ولا مـن قِبَـل أمَّـة إسـرائيل، لأنَّهـم جميعًـا عصـوا ووقعـوا تحـت الدينونـة بطـرقٍ مختلفـة. إذا كان هنـاك أيُّ خـلاصٍ علـى الإطـلاق، فيجـب أن يفعلـه الله. ولكـن كمـا تُعلِّـم العهـود، فقـد وعـد الله أن يخلِّـص مـن خـلال داود آخـر -إنسـان- لكنَّـه أيضًـا شـخص يُعـرَّف كيهـوه.

هـذه القصَّـة الأساسـيَّة هـي بمثابـة الدعامـة لأطروحـة العهـد الجديـد عـن يسـوع.[١٤] مـن هـو يسـوع؟ وفقًـا للكتـاب المقـدَّس، هـو الـذي دشَّـن ملكـوت الله وعصـر العهـد الجديـد، ممَّـا أدَّى إلـى الغفـران

١٤ هذه الفقرة والتي تليها مستوحاتان من:
Stephen J. Wellum, "Christological Reflections in Light of Scripture's Covenants," *Southern Baptist Journal of Theology* 16, no. 2 (2012): 79–107. Used by permission of *The Southern Baptist Journal of Theology*.

الكامل للخطيَّة. وفيه ينسكب الروح الأخرويُّ وتشرق الخليقة الجديدة وتتحقَّق كلُّ وعود الله. لكن في ضوء العهد القديم، من يستطيع أن يفعل مثل هذا الشيء؟ يجيب الكتاب المقدَّس: الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يفعل ذلك هو الابن-الصورة-المطيع-الكاهن-الملك-آدم الأعظم؛ الذي يُعرَّف أيضًا على أنَّه الربُّ.

وريثما يصل يسوع إلى المشهد، فهذه هي بالضبط الكيفيَّة التي يقدِّمه العهد الجديد بها. في المسيح يسوع، تحقَّق كلُّ الناموس والأنبياء (متَّى ٥: ١٧). وفيه، نرى قرار الله أن يأخذ على نفسه خطايانا وذنوبنا من أجل إبطال الآثار الرهيبة للسقوط ولتلبية مُطالباته البارَّة، وليردَّ هذا العالم إلى جادَّة الصواب، ويدشِّن عهدًا جديدًا بدمه (رومية ٣: ٢١-٢٦؛ ٥: ١ - ٨: ٣٩؛ كورنثوس الأولى ١٥: ١-٣٤؛ أفسس ١: ٧-١٠؛ العبرانيِّين ٨). في يسوع المسيح، نرى الابن المطيع طاعةً كاملة، وهو الربُّ أيضًا، الذي يأخذ زمام المبادرة للوفاء بوعوده في العهد من خلال أن يصير إنسانًا، ويخفي مجده، ويضمن فدائنا (فيلبِّي ٢: ٦-١١؛ العبرانيِّين ٢: ٥-١٨؛ ٩: ١١ - ١٠: ١٨). في المسيح، تتَّحد التوقُّعات الأخرويَّة للعهد القديم: هو الربُّ الذي يخلِّص وابن داود الأعظم (إشعياء ٩: ٦-٧؛ ١١؛ إرميا ٢٣: ١-٦؛ حزقيال ٣٤). وبهذه الطريقة، فإنَّ قصَّة الكتاب المقدَّس من خلال العهود لا تتوقَّع مجيء يسوع فحسب، بل تعرِّفه أيضًا على أنَّه الله الابن المتجسِّد، الله الكامل والإنسان الكامل.

هذا تذكير جيِّد بأنَّه لكي نعرف من هو يسوع، يجب أن نعرفه من الكتاب المقدَّس بأكمله. مرَّة أخرى، لا يأتي يسوع إلينا في فراغٍ مجرَّد، ولكن ضمن قصَّة الكتاب المقدَّس وإطاره وتصانيفه. في هذا الفصل، سعينا إلى إنشاء بعض تلك اللبِنات الأساسيَّة لفهم من هو يسوع، ولماذا أتى، ولماذا هو فريد ومتفرِّد. في الفصلين التاليين،

ننتقـل إلـى العهـد الجديـد لنثبـت كذلـك أنَّ كلَّ الأسـفار المقدَّسـة تعلِّـم باسـتمرار مـا تعتـرف بـه الكنيسـة: يسـوع هـو الله الابـن المتجسِّـد.

٣

ماذا يقول يسوع عن نفسه بشأن هويَّته؟

تعمل قصَّة العهد في الكتاب المقدَّس كسرديَّة كبرى لتحديد هويَّة يسوع وكخلفيَّة لأطروحة العهد الجديد عنه.[١] من هو يسوع؟ وفقًا للكتاب المقدَّس، هو الذي دشَّن ملكوت الله وزمن العهد الجديد. وفيه يتحقَّق الغفران الكامل للخطيَّة، وينسكب الروح الأخرويُّ، وتشرق

١ هذا الجزء مُقتَبَس من:
Stephen J. Wellum, "Christological Reflections in Light of Scripture's Covenants," *Southern Baptist Journal of Theology* 16, no. 2 (2012): 79–107. Used by permission of *The Southern Baptist Journal of Theology*.

الخليقة الجديدة، وتتحقَّق كلُّ وعود الله. لكنَّ هذا يثير سؤالاً حاسمًا: من يستطيع فعل هذا؟ يجيب الكتاب المقدَّس: الشخص الوحيد القادر على فعل ذلك هو يهوه (الربُّ) والابن البشريُّ المطيع كلاهما، ويقدِّم العهد الجديد يسوع بهذه الطريقة بالضبط.

لكن هل عَرَف يسوع نفسه أنَّه الله الابن المتجسِّد؟ هل عرَّف يسوع نفسه على أنَّه الابن الأزليُّ للآب، المسيَّا البشريُّ الموعود، الذي جاء ليعلن الآب، ويقوم بأعمال الله، وبهذا يبرهن على أنَّه الله الابن؟ هذه ليست بأسئلة يسهل إجابتها. فمن ناحية، يعلِّمنا الكتاب المقدَّس أنَّ يسوع وُلِد وكان «يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ» (لوقا ٢: ٥٢)، ولم يعرف أشياء معيَّنة (متَّى ٢٤: ٣٦). يكشف هذا الواقع أنَّ يسوع هو إنسان كامل، «نسل» المرأة الموعود (التكوين ٣: ١٥)، وبالتالي قادر على أن يكون بمثابة رأس العهد والفادي. ومن ناحية أخرى، فإنَّ فهم يسوع لذاته هو أنَّه أكثر من مجرَّد ابنٍ-صورةٍ بشريٍّ. وهو أيضًا الابن الإلهيُّ. في هذا الفصل، ينصبُّ تركيزنا على النقطة الأخيرة، دون التقليل من الأولى. فنحن ننظر إلى شهادة يسوع الضمنيَّة والصريحة عن هويته، الواردة في قصَّة الكتاب المقدَّس والإطار التفسيريِّ. في الجزء الثاني، نتناول كيف أنَّ لاهوت الكنيسة عن المسيح حافَظ بعناية على كِلتا الحقيقتين.

الشهادة الضمنيَّة للمسيح

شهدت حياة يسوع بأكملها عمَّن كان يعتقد عن نفسه أنَّه هو. لكن تركيزنا ينصبُّ على خمسة جوانب مهمَّة من حياته الأرضيَّة تكشف عن هويَّته الذاتيَّة ليكون الابن الإلهيَّ: معموديَّته، حياته وخدمته، موته وقيامته، العبادة التي قَبِلها، وتدشينه للملكوت.

المعموديَّة

لقد جاء يسوع إلى يوحنَّا المعمدان والأردن ليس عن طريق الصدفة بل بقصدِ «أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ» (متَّى ٣: ١٥). وعند معموديَّته، ينزل عليه الروح القدس، ويخاطبه الآب باعتباره ابنه الحبيب (متَّى ٣: ١٦-١٧). من واقع قصَّة الكتاب المقدَّس، يعرِف يسوع أنَّ نزول الروح عليه من الآب يشير إلى أنَّه المسيَّا الموعود الذي دشَّن ملكوت الله (إشعياء ٦١: ١-٢؛ لوقا ٤: ١٦-٢١؛ راجع حزقيال ٣٤).[٢] لكن حتَّى يكون هو المسيَّا الممسوح بالروح الذي يحقِّق التوقُّعات النبويَّة بالفداء والاسترداد والخليقة الجديدة يجب أيضًا أن يكون هو الربَّ، لأنَّ الله وحده هو الذي يمكنه القيام بهذا العمل (المزامير ١١٠؛ إشعياء ٩: ٦-٧).

تأكَّدت هذه الحقيقة في قول الآب: «هذَا هُوَ ابْني الْحَبِيبُ» (متَّى ٣: ١٧، المزامير ٢: ٧ مع إشعياء ٤٢: ١). تؤكِّد هذه النصوص أنَّ يسوع هو الابن-الملك الذي دشَّن مُلك الله الخلاصيَّ.[٣] كيف؟ في إطار العهد القديم، لا يعني خطاب الآب ببساطة أنَّ يسوع هو الكاهن-الابن-الملك الداوديُّ الموعود به (على الرغم من أنَّه كذلك!) ولكن أيضًا أنَّه الابن الإلهيُّ للآب وأنَّه وحده يستطيع أن يعمل أعمال الله.

الحياة والخدمة

طوال حياته وخدمته، يفهم يسوع نفسه على أنَّه الابن في علاقة فريدة مع أبيه والإنسان الوحيد الذي يشترك في سلطان وقوَّة الله

٢ عن هذه النقطة، انظر:

Thomas R. Schreiner, *New Testament Theology*: *Magnifying God in Christ* (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2008), 172–73; D. A. Carson, *Matthew*, in vol. 8 of *The Expositor's Bible Commentary* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1984), 106–10.

3 Carson, *Matthew*, 106–10; Schreiner, *New Testament Theology*, 172–73.

نفسه. متى عرف يسوع هذا؟ لا تقول لنا الأناجيل، لأنَّها تسجِّل القليل عن السنوات الثلاثين الأولى ليسوع، ومع ذلك يبدو أنَّه يعرف ذلك منذ أن كان عمره اثني عشر عامًا (لوقا ٢: ٤٩-٥٠). أمَّا بالنسبة لخدمة يسوع العامَّة، فإنَّ متَّى يجسِّدها من حيث تعاليم يسوع ومعجزاته. في الواقع، قيل لنا في مناسبتين إنَّ يسوع ذهب «يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ.» (متَّى ٤: ٢٣؛ انظر ٩: ٣٥). في إطار السرديَّة، تعمل هاتان الآيتان كدفَّتي كتاب لتلخيص خدمة يسوع حتَّى موته.[4]

لماذا هذا مهمٌّ؟ إنَّ تعاليم يسوع (متَّى ٥-٧) والمعجزات (متَّى ٨-٩) ليست فقط مثل تلك الخاصَّة بموسى أو إيليَّا، اللذين وُهِبا الروح القدس بشكل خاصٍّ. فلا شكَّ أنَّ موهبة يسوع بالروح تفي بنموذج الأنبياء والكهنة والملوك السابقين، لكنَّها أكثر من ذلك. إذ يتمُّ وضع خدمة يسوع في سياق تدشين ملكوت الله، ممَّا يعني أنَّ يسوع يشارك في سلطان الله. لم يقم أيُّ زعيم سابق بتدشين ملكوت الله الموعود. إنَّ يسوع ببساطة يندرج تحت تصنيفٍ مختلف، وهو يعرف ذلك.

تأمَّل كيف ينظر يسوع إلى سلطته التعليميَّة ومعجزاته كدليل على أنَّه دشَّن مُلك الله الفوقطبيعيَّ. يدَّعي المسيح أنَّ كلَّ كتب الناموس والأنبياء قد تحقَّقت فيه (متَّى ٥: ١٧-٢٠؛ ١١: ١١-١٥). وهذا التأكيد مذهل. إذ يرى يسوع نفسه على أنَّه الهدف الأخرويُّ لإعلان الله بأكمله ومفسِّره الوحيد ذو السلطة.[5] وهذا ليس أقلَّ من ادِّعاء مشاركة الله في سلطانه باعتباره الابن الإلهيَّ.

أو تأمَّل معجزات يسوع التي تشهد على علاقته الفريدة بالآب. في

4 Murray J. Harris, *Three Crucial Questions about Jesus* (Grand Rapids, MI: Baker, 1994), 82–83.

5 Carson, *Matthew*, 140–47.

الواقـع، تُظهـر معجـزات الشـفاء وإخضـاع الطبيعـة سـلطانَ الله وقوَّتـه. إذ تعلـن معجـزات الشـفاء التـي قـام بهـا يسـوع عـن قـدوم ملكـوت الله الموعـود ومجـيء زمـن المسـيح (لوقـا ٧: ٢٢-٢٣؛ راجـع إشـعياء ٢٩: ١٨-١٩؛ ٣٥: ٥-٦؛ ٦١: ١). كمـا أنَّ سـلطة يسـوع وقوَّتـه علـى الطبيعـة -علـى سـبيل المثـال، تهدئـة البحـر العاصـف بأمـره (متَّـى ٨: ٢٦) والمشـي علـى المـاء (متَّـى ١٤: ٢٥، ٢٨-٣٠)- لهـا أهميَّـة خاصَّـة عنـد وضعهـا فـي إطـار قصَّـة الكتـاب المقـدَّس بـدلاً مـن النظـر إليهـا بمعـزل عـن غيرهـا. إذ يكشـف الـربُّ فـي العهـد القديـم أنَّـه ينتصـر وحـدَه علـى البحـر العاصـف (انظـر المزاميـر ٦٥: ٧؛ ١٠٧: ٢٣-٣١) وسـيطأ مياهـه (أيُّـوب ٩: ٨ السـبعينيَّة؛ انظـر المزاميـر ٧٧: ١٩؛ إشـعياء ٥١: ٩-١٠).[٦] بطريقـة مماثلـة، يقـدِّم العهـد الجديـد معجـزات يسـوع وطـرد الأرواح الشـريرة (متَّـى ٤: ٢٣؛ ٩: ٣٥؛ ١٠: ٧-٨؛ لوقـا ٩: ١١؛ ١٠: ٩، ١٧؛ ١١: ٢٠) كدليـلٍ علـى أنَّ يسـوع لـه سـلطان وقـوَّة الله. هـذا هـو السـبب فـي أنَّ معجـزات يسـوع تعرِّفـه ضمنيًّـا علـى أنَّـه الـربُّ مـن خـلال فعـلِ مـا يسـتطيع الله وحـده أن يفعلـه.[٧]

عـلاوةً علـى ذلـك، يمـارس يسـوع سـلطان الله وقوَّتـه مـن خـلال غفـران الخطايـا والدينونـة والقيامـة. ففـي ظـلِّ السـقوط، أكبـر مشـكلة تواجـه البشـريَّة هـي الخطيَّـة أمـام الله القـدُّوس البـارِّ. وفـي نهايـة المطـاف، الله هـو الوحيـد الـذي لديـه السـلطان لمغفـرة الخطيَّـة، لأنَّ الخطيَّـة هـي ضـدَّه أوَّلاً وقبـل كلِّ شـيء. فـي الواقـع، يأتـي الوعـد بالغفـران الكامـل للخطيَّـة فـي

٦ عن هذه النقطة، انظر:

Simon J. Gathercole, *The Preexistent Son*: *Recovering the Christologies of Matthew, Mark, and Luke* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2006), 64.

٧ بعكـس جيرالـد هوثـورن وآخـرون، الذيـن يعلِّمـون بـأنَّ يسـوع فعـل معظـم أو كلَّ معجزاتـه بقـوَّة الـروح وأنَّ معجـزات يسـوع ليسـت دليـلاً علـى ألوهيَّتـه. انظـر:

Gerald F. Hawthorne, *The Presence and the Power*: *The Significance of the Holy Spirit in the Life and Ministry of Jesus* (repr., Eugene, OR: Wipf and Stock, 2003); Fred Sanders and Klaus D. Issler, eds., *Jesus in Trinitarian Perspective* (Nashville: B&H Academic, 2007), 114–53; 189–225.

صميـم «جـدَّة» العهـد الجديـد (إرميـا ٣١: ٣٤). فـي إحـدى تصريحاتـه ذات الأهميَّـة المذهلـة، قـال يسـوع إنَّ لـه سـلطان الله على مغفـرة الخطايـا عندما قـال للمفلـوج: «يَـا بُنَـيَّ، مَغْفُـورَةٌ لَـكَ خَطَايَـاكَ» (مرقـس ٢: ٥؛ راجـع ٢: ١٠). بالإضافـة إلـى ذلـك، تنبَّـأ الأنبيـاء بـأنَّ ملكـوت الله والزمـن الآتـي سـينطويان علـى رجـاء القيامـة (حزقيـال ٣٧: ١-٢٣؛ دانيـال ١٢: ٢)؛ وهـي كلُّهـا أعمـال خاصَّـة بـالله وحـدَه. يعلـن يسـوع أنَّ الآب قـد عيَّنـه، باعتبـاره الابـن، لإجـراء الدينونـة الإلهيَّـة وإعطـاء الحيـاة للقيامـة (متَّـى ٧: ٢٢-٢٣؛ يوحنَّـا ٥: ١٩-٣٠؛ ١١: ٢٥-٢٦)؛ وهكـذا هـو يعـرِّف نفسـه بأنَّـه الله فـي سـلطانه وعملـه.

الموت والقيامة

يعـرِّف المسـيح نفسـه كذلـك على أنَّـه الابـن الإلهـيُّ المتجسِّـد فـي موتـه وقيامتـه. بينمـا كان يسـوع يقتـرب مـن موتـه، لـم يعتبِـر ذلـك استشـهادًا، بـل أمـرًا مركزيًّـا لإرسـاليَّته المسـيانيَّة المخطَّطـة إلهيًّـا (متَّـى ١٦: ٢١-٢٣). وهـو يشـرح مـرارًا وتكـرارًا أنَّـه يجـب أن يمـوت ثـمَّ يقـوم. يعـرف يسـوع أنَّـه سـيموت، وهـو يعانـق موتـه فـي محبَّـةٍ لأبيـه وكعمـلٍ طوعـي فـي طاعـةٍ لتحقيـق خطَّـة الله الأبديَّـة (مرقـس ١٠: ٤٥؛ لوقـا ١٨: ٣١؛ يوحنَّـا ١٠: ١٧-١٨).

فـي ضـوء العهـد القديم، يعرف يسـوع أنَّ موته سـيجلب الدينونـة الإلهيَّة على العالـم لأنَّـه الابـن (يوحنَّـا ١٢: ٣٠-٣٣) كذلـك سـيصالح الله والإنسـان لأنَّه يمتلـك سـلطانًا على الأرض لمغفـرة الخطايـا (مرقـس ٢: ٥-١٢). يلخـص ديفيد وِلـز قـوَّة التعريـف بالهويَّـة، الكامنـة فـي موت يسـوع وقيامتـه، بسـؤالٍ بلاغيٍّ: «إنَّ أفعالـه، فـي هـذا الصدد، لهـا مغزًى كريسـتولوجيٌّ ضمنيٌّ، فمـن يقدر أن يغفـر الخطيَّـة إلاَّ الله وحـده؟ (مرقـس ٢: ٧ / لوقـا ٥: ٢١)».[٨]

8 David F. Wells, *The Person of Christ: A Biblical and Historical Analysis of the Incarnation* (Westchester, IL: Crossway, 1984), 41.

التسبيح والعبادة

بمقتضى الرؤية الكونيَّة الكتابيَّة، فإنَّ الله وحده يستحقُّ العبادة، وهو لا يشارك مجده مع أحد، وهو، عن حقٍّ، يطلب العبادة والإخلاص التامَّ من مخلوقاته. إنَّ عبادة أيِّ شيءٍ مخلوق بدلاً من الله هي عبادة أصنام (راجع أعمال الرسل ١٤: ١٤-١٥؛ رومية ١: ١٨-٢٣؛ الرؤيا ٥: ٩-١٤؛ ١٩: ١٠).

مع ذلك، من المهمِّ ملاحظة أنَّ يسوع يتلقَّى عبادةً بشريَّة ولا يوبِّخ الناس أبدًا على تقديمها له (متَّى ١٤: ٣٣؛ ٢١: ١٥-١٦؛ ٢٨: ٩، ١٧؛ يوحنَّا ٢٠: ٢٨).[٩] بل هو بالأحرى ينبِّر على أهميَّة تقديم مثل ذلك الإجلال له. مع العلم أنَّ أباه قد دفع إليه كلَّ سلطان، يشرح يسوع سبب قيامه بذلك: «لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ.» (يوحنَّا ٥: ٢٣). يسوع، إذًا، يتلقَّى العبادة التي يقبلها الله وحده بل ويطلبها أيضًا، تحديدًا لأنَّه يطابق نفسه بالله على أنَّه ابنه.

تدشين ملكوت الله

نعود الآن من حيث بدأنا. تنظر الأناجيل، ولا سيَّما الإزائيَّة، إلى حياة المسيح وخدمته بأكملها من حيث تدشينه لملكوت الله. سواء كان ذلك في معموديَّة يسوع أو تعاليمه أو معجزاته أو موته وقيامته، كلُّ هذا دليل على أنَّ «الدَّهْر الآتِي» المُتَنَبَّأ عنه قد أتي فيه الآن. لكن في فكر العهد القديم، لا يقع مجيء ملكوت الله فقط من خلال الملك الداوديِّ -الابن الملك للربِّ أو الآب (صموئيل ٧: ١٤)- ولكنَّه أيضًا عمل من أعمال الله

٩ عن هذه النقطة، انظر:
Larry W. Hurtado, *Lord Jesus Christ*: *Devotion to Jesus in Earliest Christianity* (Grand Rapid, MI: Eerdmans, 2003).

لاسترداد شعبه، لمغفرة الخطيَّة والدخول في الخليقة الجديدة. وبهذه الطريقة، يُعرَّف الابن-الملك البشريُّ أيضًا على أنَّه الله. وبشكل ملحوظ، ادَّعى يسوع أنَّه دشَّن هذه المملكة.

في الواقع، تعتمد شهادة يسوع الضمنيَّة عن نفسه في معظمها على هذا الاستنتاج الذي لا مفرَّ منه: إذا كانت الأعمال التي يقوم بها يسوع لا يمكن أن ينجزها إلاَّ الله، فعند أداء هذه الأعمال، يشير الإنسان يسوع إلى أنَّه، بصفته الابن، يشترك في نفس السلطة كالله أبيه. وهكذا، في كلِّ جانب من جوانب حياته، وفي كلِّ كلمة يتكلَّم بها، وفي كلِّ عمل يقوم به، يعتبر يسوع نفسه ابن الآب، محقِّقًا خطَّة الخالق-ربِّ العهد ليفدي الناس لنفسه ويملك على خليقته في برٍّ كامل.[١٠]

على الرغم من أنَّ يسوع لم يقل أبدًا: «أنا الله الابن المتجسِّد»، فإنَّه يعرِّف نفسه ضمنيًّا على هذا النحو. لا يمكننا التفكير في كلمات يسوع وأعماله بمعزل عن مكانها في قصَّة الكتاب المقدَّس وإطاره التفسيريِّ. إنَّ يسوع يعرف أنَّه الشخص الذي يتمِّم خطَّة الله، ويعمل أعماله، ويقبل عبادة الله. على هذا النحو، يعرِف يسوع نفسه أنَّه الله الابن المتجسِّد.

الشهادة الصريحة للمسيح

بالإضافة إلى شهادة يسوع الضمنيَّة عن نفسه، لدينا أيضًا تصريحات صريحة تكشف عن هويَّته بصفته الابن الإلهيَّ لأبيه، وهو أيضًا الابن البشريُّ.

استخدام أبا Abba

يخاطب يسوع الله من خلال المصطلح الآراميِّ أبا، الذي يكشف

10 Wells, *Person of Christ*, 38.

كيف يدرك علاقته بالآب: إنَّها فريدة من نوعها ومنقطعة النظير (متَّى ٦: ٩؛ ١١: ٢٥-٢٦).[11] عندما يعلِّم يسوع تلاميذه كيفيَّة مخاطبة الله، يعلِّمهم أن يصلُّوا «أبانا» (متَّي ٦: ٩؛ يوحنَّا ٢٠: ١٧) لكن يسوع يرى أنَّ علاقته بأبيه فريدة من نوعها. إنَّنا ننادي الله «أبا» كأبناء بالتبنِّي بسبب عمل يسوع واتِّحادنا معه في العهد (رومية ٨: ١٥؛ غلاطية ٤: ٦). ومع ذلك، فإنَّ استخدام يسوع لهذا المصطلح يرجع إلى علاقته الفريدة بأبيه؛ فهو الابن الأزليُّ (يوحنَّا ١: ١؛ ٥: ١٩-٣٠؛ ١٧: ٥).

ابن الله[12]

إنَّ لقب «ابن الله» يعزِّز كون يسوع الابن الأبديَّ، وهو في الواقع اسمٌ أكثر من كونه لقبًا. يظهر هذا اللقب في الأناجيل الإزائيَّة ويحتلُّ مكانة مركزيَّة في إنجيل يوحنَّا (يوحنَّا ٣: ١٦؛ ٥: ١٩-٢٣). ويُطلَق على يسوع في معموديَّته (مرقس ١: ١١)، وفي التجربة (لوقا ٤: ٩)، والتجلِّي (مرقس ٩: ٧). في بشارة يوحنَّا، يُعتبَر هذا اللقب مركزيًّا جدًّا لهويَّة المسيح لدرجة أنَّ يوحنَّا يكتب الإنجيل «لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ» (يوحنَّا ٢٠: ٣١).

مرَّة أخرى، يجب أن نفكِّر بلغة العهد القديم حتَّى نفهم أهميَّة ما يعنيه يسوع بتعريفه عن نفسه على أنَّه ابن الله. أوَّلاً، يرتبط الابن ارتباطًا وثيقًا بصورة الله، وعلى هذا النحو، يُطلَق الاسم على الشخصيَّات التمثيليَّة (التي تمثِّل الله والمسيح) الرئيسيَّة: آدم (لوقا ٣: ٣٨)، وإسرائيل (الخروج ٤: ٢٢-٢٣)، والملك الداوديُّ (صموئيل الثاني ٧: ١٤)، الذين

11 Joachim Jeremias, *The Prayers of Jesus* (Philadelphia: Fortress, 1989).

١٢ لمعالجة مفصَّلة عن لقب «ابن»، انظر:

D. A. Carson, *Jesus the Son of God: A Christological Title Often Overlooked, Sometimes Misunderstood, and Currently Disputed* (Wheaton, IL: Crossway, 2012); Graeme Goldsworthy, *The Son of God and the New Creation*, Short Studies in Biblical Theology (Wheaton, IL: Crossway, 2015).

سيمثِّلون الله. بناءً على هذا النمط، فإنَّ يسوع هو الابن الحقيقيُّ، أي الابن البشريُّ، الذي يقوم بدور الأبناء السابقين ولكنَّه أعظم (رومية ١: ٣-٤؛ فيلبِّي ٢: ٦-١١).

لكن مع ذلك، بنوَّة يسوع المتجسِّدة ليست هي القصَّة الكاملة. إنَّنا نتعلَّم بالفعل في العهد القديم أنَّ ابن داود الأعظم يتَّخذ هويَّة يهوه. من هذا نكتشف أنَّ بنوَّة يسوع هي أكثر من كونه مجرَّد إنسان. إنَّه أيضًا الابن الأبديُّ، الصورة الحقيقيَّة والتمثيل الدقيق للآب (كولوسي ١: ١٥-١٧؛ العبرانيِّين ١: ٢-٣)، وبالتالي فهو متَّحد بالآب كواحد معه ويكشف في إطار الزمن شيئًا عن حياة الله السرمديَّة داخل الثالوث.

هذه الحقيقة أكَّدها يسوع بنفسه. كما لاحظنا، يخاطب يسوع الله بانتظام بـ «أبا» (متَّى ١١: ٢٥؛ ١٦: ١٧؛ لوقا ٢٣: ٤٦). هذه التعبيرات تتجاوز علاقةً إنسانيَّة مجرَّدة. عندما كان يسوع طفلاً، أخبر أبويه الأرضيَّين عن علاقته الفريدة بينه وبين أبيه (لوقا ٢: ٤٩). وقبل موته تكلَّم يسوع عن بنوَّته الأبديَّة: «الآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ.» (يوحنَّا ١٧: ٥). لا يعرف يسوع فقط أنَّه تعيَّن ليكون الابن في حياته المتجسِّدة، بل إنَّه يعلم أيضًا أنَّه كان الابنَ الأبديَّ على الدوام. يوحنَّا ٥: ١٦-٢٠ ومتَّى ١١: ٢٥-٢٧ يثبتان هذه النقطة.

في يوحنَّا ٥، بعد شفاء رجل مُقعَد، استجاب يسوع لمن ينتقدونه بسبب عمله في يوم السبت قائلاً: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ». (يوحنَّا ٥: ١٧). وبذلك، لا يدعو يسوع الله كأبيه الشخصيِّ فحسب، بل يجعل نفسه أيضًا متساويًا مع الله من خلال المطالبة بنفس سلطة الله للعمل في يوم السبت. وفي الآيات التالية، يوضِّح يسوع أنَّ صلاحيَّة عمله في السبت تستند إلى الطبيعة الإلهيَّة التي لجميع أعماله (الدينونة والقيامة تحديدًا)، والعبادة الإلهيَّة التي تسوِّغها هذه الأعمال (يوحنَّا ٥:

٢٢-٢٣)، والقيُّوميَّة الإلهيَّة (يوحنَّا ٥: ٢٦) لمن يقوم بهذه الأعمال. ماذا يعتقد يسوع عن نفسه أنَّه هو؟ إنَّه يعتبر نفسه الابن الأبديَّ الذي يشارك الآب الطبيعة الإلهيَّة، وبالتالي لديه الحقُّ والسلطة لفعل كلِّ ما يفعله الله.

يتكلَّم يسوع أيضًا عن بنوَّته الإلهيَّة في متَّى ١١: ٢٥-٢٧، هذه المرَّة من حيث المعرفة المتبادلة والسيادة المشتركة مع الآب؛ وهو ادِّعاء صريح بالألوهيَّة. ومع ذلك، فإنَّ هويَّة يسوع الإلهيَّة لا تتعارض مع هويَّته الذاتيَّة باعتباره الابن البشريَّ. كلاهما يجب تأكيده.

ابن الإنسان

يشهد يسوع أيضًا على هويَّته باعتباره الله الابن المتجسِّد من خلال أكثر التسميات التي استخدمها عن نفسه، وهي ابن الإنسان. هذا اللقب مستخدم في الأناجيل، ودائمًا من قِبَل يسوع نفسه. مرَّةً أخرى، حتَّى نفهم ما يعنيه يسوع بهذا اللقب من الضروريِّ فهمه في خلفيَّة العهد القديم.[١٣]

ليس هناك شكٌّ أنَّ اللقب يشير إلى إنسانيَّة يسوع. في العهد القديم، تستخدم كلمة «ابن الإنسان» كمرادف للبشر في سياق دورنا في الخليقة (المزامير ٨: ٤). لكن في دانيال ٧، تكتسب كلمة «ابن الإنسان» أهميَّة شخصيَّة فوقَ-بشريَّةٍ تعمل جنبًا إلى جنب مع «قديم الأيَّام»، أي الربِّ. في رؤيا دانيال، أعطى الله مملكته لـ «مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ» (دانيال ٧: ١٣-١٤). لكنَّ ابن الإنسان هذا يختلف عن الآخرين: إنَّه يأتي على «سُحُبِ السَّمَاءِ»، وملكه يدوم إلى الأبد، وملكُه يَمنحُ شعبَ مملكتِه السيادةَ

13 Schreiner, *New Testament Theology*, 213–31; C. F. D. Moule, *The Origin of Christology* (Cambridge: Cambridge University Press, 1977), 11–22.

على الأرضِ كلِّها (دانيال ٧: ١٣-١٤، ١٨، ٢٢، ٢٧)، وهو بذلك يطابق نفسه مع الله. لذلك، فإنَّ ابن الإنسان هذا هو الابن-الملك الموعود، والذي، لأنَّه إله وإنسان معًا في الوقت ذاته، سيحقِّق المصالحة بين الله والبشر ويعيد لنا حكمنا النيابيَّ البارَّ بالوصاية على خليقة الله.

عندما يخطو يسوع إلى هذه القصَّة الكتابيَّة باعتباره ابن الإنسان كما يطلق على نفسه، فإنَّه يقدِّم ادِّعاءً مذهلاً بشأن هويَّته. فبصفته ابن الإنسان، يُعرَّف يسوع بأنَّه الله والإنسان معًا. يستخدم يسوع اللقب في إخلائه لنفسه كإنسان ليخلِّص الضالين (متَّى ٨: ٢٠؛ مرقس ١٠: ٤٥)، وبسلطته الإلهيَّة على مغفرة الخطايا (مرقس ٢: ١٠)، وفي قدرته الإلهيَّة على إقامة الموتى (متَّى ١٧: ٩). ويشير يسوع أيضًا إلى نفسه على أنَّه ابن الإنسان في صعوده بعد قيامته بالجسد إلى عرش السماء (متَّى ١٩: ٢٨) وفي تنبُّئه بعودته المستقبليَّة كملك السماء «آتِيًا عَلَى سَحَاب السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ.» (متَّى ٢٤: ٣٠).

الغرض والعمل الإلهيَّان

يُعرَّف يسوع أيضًا بأنَّه الله الابن المتجسِّد بشأن هدف مجيئه. في مناسبات عديدة، يقدِّم يسوع عبارات تبدأ بـ «أتيت لـ»، والتي يكشف فيها سبب مجيئه.

على سبيل المثال، يعلن يسوع أنَّه جاء ليكرز ببشارة الملكوت (مرقس ١: ٣٨)، وليتمِّم الناموس والأنبياء (متَّى ٥: ١٧)، ويدعو الخطاة لنفسه (متَّى ٩: ١٣)، وما إلى ذلك. في كلِّ حالة من هذه، يفهم يسوع هويَّته من خلال مصطلحات إلهيَّة.[١٤] والأكثر وضوحًا هو هويَّة يسوع

١٤ عن هذه النقطة، انظر:

Gathercole, *Preexistent Son*, 83–189.

الذاتيَّة باعتباره الشخص الذي يغفر الخطايا (مرقس ٢: ١-١٢). وقد كان القادة الدينيُّون محقِّين حين أكَّدوا أنَّ الله وحده يغفر الذنوب. لكنَّهم فشلوا في رؤية أنَّ يسوع هو الابن الإلهيُّ وأنَّ غفران الخطيَّة الموعود والمصالحة بين الله والبشر قد تحقَّقا في يسوع. ففيه، يأتي عمانوئيل، «اللهُ مَعَنا» (متَّى ١: ٢١-٢٣؛ راجع إرميا ٣١: ٣٤).[١٥] لقد لعب الهيكل والكهنوت والنظام الذبائحيُّ أدوارًا تمثيليَّة لتهيئة الساحة لله نفسه ليأتي كإنسان هو يسوع ليحقِّق فداءَنا الأبديَّ.

«أَنَا هُوَ»

إلى جانب عبارات الغرض في الأناجيل الإزائيَّة، يعطينا إنجيل يوحنَّا عبارات «أَنَا هُوَ» الشهيرة (باليونانيَّة: egō eimi) التي من خلالها يطابق يسوع نفسه بالله. عندما يشير يسوع إلى نفسه على أنَّه «أَنَا هو» بدون باقي أجزاء الجملة (يوحنَّا ٦: ٢٠؛ ٨: ٢٤، ٢٨، ٥٨؛ ١٨: ٥، ٦، ٨)، فهو يربط هويَّته الشخصيَّة بالاسم الشخصيِّ الفريد ليهوه، الخالق-ربِّ العهد (الخروج ٣: ٦، ١٤). يبدو الأمر كما لو أنَّ يسوع قد دخل في قصَّة العهد القديم وأطلق على نفسه صراحةً اسم الله.

على سبيل المثال، في يوحنَّا ٨، اختتم يسوع جدلاً آخر مع اليهود بشأن أصله وهويَّته بقوله: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ». (يوحنَّا ٨: ٥٨). فالقادة اليهود يتشبَّثون بنسبهم من إبراهيم. لكنَّ يسوع يشير صراحةً إلى نفسه على أنَّه «أَنَا هُوَ» ليعلن عن نفسه على أنَّه إله إبراهيم. مثال آخر هو يوحنَّا ١٣: ١٩. كما يلاحظ توماس شراينر Thomas Schreiner بجدارة، فإنَّ «استخدام ‹أَنَا هُوَ› يوضِّح أنَّ مثل هذه النبوَّات ليست مجرَّد نبوَّات لنبيٍّ عاديٍّ. فيسوع

15 Carson, *Matthew*, 222.

يوضِّح ألوهيَّته بإعلان ما سيحدث قبل أن يحدث.»[16] علاوةً على ذلك، يعرف يسوع أنَّه كان موجودًا بصفته الابن في علاقة أبديَّة مع أبيه عندما يصلِّي: «وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ.» (يوحنَّا ١٧: ٥). تشير كلُّ هذه المعطيات إلى حقيقة أنَّ يسوع يعرف أنَّه كان واحدًا مع الآب منذ الأزل وبالتالي هو الابن الإلهيُّ.

بالإضافة إلى ذلك، يتطابق يسوع أيضًا مع يهوه بالإشارة إلى نفسه على أنَّه التحقيق التمثيليُّ للأشخاص والأحداث والأنظمة المختلفة في العهد القديم. على سبيل المثال، في يوحنَّا ١٠: ١١، يقول يسوع: «أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ». من خلال استخدام هذا الإسناد في المسار السرديِّ للكتاب المقدَّس، فيسوع لا يدَّعي فقط أنَّه يتمِّم دور ملوك إسرائيل في رعاية الشعب بينما فشل كلُّ هؤلاء الملوك (حزقيال ٣٤: ١-٩)، بل إنَّه أيضًا يطابق نفسه مع الله (المزامير ٢٣؛ حزقيال ٣٤: ١١-١٣). وهكذا، في كلِّ أقوال يسوع «أَنَا هُوَ»، فهو يعرِّف نفسه صراحةً على أنَّه الله الابن المتجسِّد.

موضوع إيماننا

أخيرًا، يجعل يسوع نفسه بشكل صريح موضوعًا لإيمان الخلاص، المخصَّص لله وحده. يعلِّم العهد القديم مرارًا وتكرارًا أنَّ «لِلرَّبِّ الْخَلاَصُ!» (يونان ٢: ٩). ولا يناقض العهد الجديد هذه الحقيقة، لكنَّه الآن يجعل من يسوع موضوعًا لإيمان الخلاص (انظر يوحنَّا ١٢: ٤٤؛ ١٤: ١؛ أعمال الرسل ١٦: ٣٤؛ رومية ٤: ٣، ٥، ١٧، ٢٤؛ غلاطية ٣: ٦؛ تسالونيكي

16 Schreiner, *New Testament Theology*, 253.

الأولى ١: ٨؛ تيطس ٣: ٨؛ العبرانيِّين ٦: ١؛ بطرس الأولى ١: ٢١).[١٧]

هذا الانتقال إلى شخص يسوع لا يعني أنَّه موضوعُ إيمانٍ منافس. بل، يستلزم أن يكون يسوع، بصفته الابن، إلهًا ولكنَّه يختلف عن الآب. فضمن قصَّة الكتاب المقدَّس العهديَّة، التي يعرفها يسوع جيِّدًا، يمكنه بثقة أن يُمَركِز إيمان تلاميذه حوله على وجه التحديد لأنَّه يعلم أنَّه الابن الإلهيُّ. لا شكَّ أنَّ العهد الجديد يقدِّم يسوع كنموذج للإيمان بالنسبة لنا، ولكن قبل أن نتمكَّن من صياغة إيماننا على مثال يسوع، يأمرنا الكتاب المقدَّس أن نثق به باعتباره موضوع إيماننا، باعتباره إله خلاصنا. كما يشهد الرسل في ضوء مجيء المسيح أنَّه «لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ» (أعمال الرسل ٤: ١٢؛ انظر أيضًا أعمال الرسل ١٠: ٤٣؛ ١٦: ٣١؛ رومية ١٠: ٩-١١؛ كورنثوس الأولى ١: ٢؛ يوحنَّا الأولى ٣: ٢٣؛ ٥: ١٣).

هل عَرَف يسوع نفسه أنَّه الله الابن المتجسِّد؟ الجواب عن هذا السؤال هو نعم.[١٨] وهذا لا يقلِّل بأيِّ حال من الأحوال الناسوت (الطبيعة البشريَّة) الحقيقيَّ للمسيح وحقيقة أنَّه كان «يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ» (لوقا ٢: ٥٢). ومع ذلك، يعلِّمنا الكتاب المقدَّس أنَّ يسوع هو أكثر من مجرَّد إنسان. وهو أيضًا الابن الأزليُّ للآب، الذي صار إنسانًا. من خلال التحقيق في كلمات يسوع وأعماله الضمنيَّة والصريحة، اكتشفنا أنَّ يسوع

17 Harris, *Three Crucial Questions*, 77.

١٨ يختلف استنتاجنا بأنَّ يسوع يعرِّف نفسه على أنَّه الله الابن المتجسِّد عمَّا يقوله نيكولاس رايت. لقد دحضَ رايت شكوكًا غير مبرَّرة بين علماء الكتاب المقدَّس بشأن يسوع التاريخيِّ، لكنَّه ينكر أنَّ يسوع كان يعرف أنَّه الله الابن؛ انظر:

N. T. Wright, *The Challenge of Jesus*: *Rediscovering Who Jesus Was and Is* (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1999), 96–125.

يؤكِّد رايت أنَّ يسوع رأى نفسه على أنَّه يحمل دعوة يهوه، ومع ذلك فإنَّ إدراك الدعوة ليس هو نفسه معرفة يسوع أنَّه هو الله الابن. غالبًا ما يكون رايت محقًّا، لكنَّ استنتاجه هذا لا يأخذ في الحسبان هويَّة يسوع الذاتيَّة في التصريحات الكتابيَّة التي فحصناها، ناهيك عن قصَّة الكتاب المقدَّس بأكملها. إنَّ يسوع يرى نفسه على أنَّه «الابن» المسيَّانيُّ والابن الأبديُّ الذي جاء ليكمِّل إرادة أبيه ويفدي شعب الله.

كان يعـرف أنَّـه الابـن الـذي جـاء مـن السـماء ليعمـل كإنسـان علـى الأرض مـا يمكـن أن يعملـه الله وحـده. ومـن خلال تقديم الادِّعـاءات المحـدَّدة التي أدلى بهـا، والقيـام بالأعمـال الخاصَّـة التـي قام بهـا في اللحظـة المحـدَّدة التي جاء فيهـا فـي قصَّـة الكتـاب المقـدَّس، قـدَّم يسـوع ادعـاءً واضحًـا: إنَّـه الله الابـن المتجسِّـد. لهـذا السـبب، تعتـرف الكنيسـة عـن حـقٍّ أنَّ يسـوع هـو الـربُّ، وأنَّ الكلمـة تجسَّـد لخلاصنـا، وبالتالـي فهو يسـتحقُّ بعـدلٍ إيمانَنا ومحبَّتنـا وطاعتنا وعبادتنا.

٤

شهادة العهد الجديد للمسيح

نستمرُّ في هذا الفصل في تلخيص المعطيات الكتابيَّة المتعلِّقة بمن هو يسوع باعتباره الله الابن المتجسِّد من خلال الرجوع إلى الشهادة الرسوليَّة عن المسيح. لا يختلف فهم الرسل لهويَّة يسوع عن تعريف يسوع لنفسه؛ فهُمْ في الواقع قد عرفوا هويَّته منه.

لا يمكننا إجراء مسح شامل للمعطيات الكتابيَّة.[١] بدلاً من ذلك، ينصبُّ تركيزنا على النصوص الرئيسيَّة التي لا تلخِّص شهادة العهد الجديد للمسيح فحسب، بل تُعلِّم أيضًا حقائق مهمَّة أساسيَّة بالنسبة للصياغة الكريستولوجيَّة اللاحقة التي قامت بها الكنيسة. من المهمِّ أن نرى الاتِّصاليَّة بين ما يعلِّمه الكتاب المقدَّس وما تعترف به الكنيسة. إذ لا يختلف يسوع الكتاب المقدَّس عن يسوع المعترَف به في الأرثوذكسيا الخلقيدونيَّة والنيقويَّة، على الرغم من استخدام مفردات لاهوتيَّة مختلفة لتوصيل التعاليم الكتابيَّة بأمانة.[٢]

من المهمِّ أيضًا أن نرى أنَّ الرسل يقدِّمون يسوع في إطار قصَّة الكتاب المقدَّس. فيسوع هو أوَّلاً المسيَّا الموعود به، ابن داود الأعظم، الذي دشَّن حُكم الله الخلاصيَّ ومُلكه. من الواضح أنَّ يسوع هو الابن-الملك البشريُّ الموعود به في عدن رأسًا (التكوين ٣: ١٥)، والذي تمَّ التعريف به من خلال العهود، والمُمَثَّل بصورة مصغَّرة في الملك الداوديِّ (على سبيل المثال، إشعياء ٧: ١٤؛ ٩: ٦-٧، ١١؛ ٥٢: ١٣ - ٥٣: ١٢؛ حزقيال ٣٤)؛ والشخص الذي يتمِّم دور الأبناء السابقين (على سبيل المثال، آدم وإسرائيل وداود). ومع ذلك، فإنَّ الابن-الملك البشريَّ هذا

---

١ انظر:

Richard Bauckham, *Jesus and the God of Israel*: "*God Crucified*" *and Other Studies on the New Testament's Christology of Divine Identity* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2008); Robert Bowman Jr. and J. Ed Komoszewski, *Putting Jesus in His Place*: *The Case for the Deity of Christ* (Grand Rapids, MI: Kregel, 2007); Gordon D. Fee, *Pauline Christology*: *An Exegetical-Theological Study* (Peabody, MA: Hendrickson, 2007); Thomas R. Schreiner, *New Testament Theology*: *Magnifying God in Christ* (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2008), 305–38, 380–430.

٢ لماذا كانت هذه المفردات اللاهوتيَّة ضروريَّة؟ كان على الكنيسة استخدام لغة من خارج الكتاب المقدَّس لتوصِّل بدقَّة وإخلاص ما علَّمه الكتاب المقدَّس عن يسوع، لا سيَّما في ضوء الطرق الخاطئة المختلفة (أي الهرطقات) لجمع المعطيات الكتابيَّة عن المسيح. غالبًا ما كانت طرق التفكير الخاطئة عن المسيح تكرِّر فقط الكتاب المقدَّس كما لو أنَّ النصوص الكتابية لا تتطلَّب تفسيرًا، ولكن ما كان محلَّ الخلاف هو معنى تلك النصوص في ضوء أطروحة الكتاب المقدَّس الكاملة عن المسيح. إذًا، كان على الكنيسة أن تعمل بعناية انطلاقًا من التفسير الكتابيِّ إلى الفهم اللاهوتيِّ لتفسير وشرح كلِّ التعاليم الكتابيَّة بالطريقة التي يعلِّمها بها الكتاب المقدَّس. لمزيد من المعلومات حول هذه النقطة، انظر الفصل الخامس.

ليس مجرَّد إنسان؛ فهو أيضًا الابن الإلهيُّ الذي يفعل وحده ما يمكن أن يفعله الله. هذا التركيز الأخير يطابق المسيح البشريَّ مع يهوه في علاقة فريدة بين الآب والابن تتجاوز الإنسان، وبالتالي يصبح ذلك بمثابة تربة لبذرة الفكر الثالوثيِّ. ليس يسوع المسيح مجرَّد إنسان. وهو أيضًا واحد مع يهوه. إنَّه الله الابن المتجسِّد.

ننتقل الآن إلى بعض النصوص الكريستولوجيَّة الرئيسيَّة التي تلخِّص التعاليم الرسوليَّة المتعلِّقة بالمسيح والتي صاغت على أساسها الكنيسة الأرثوذكسيا الكريستولوجيَّة بأمانة.

يوحنَّا ١: ١-١٨

لا يسعني مهما بالغت أن أوفي افتتاحيَّة يوحنَّا حقَّ أهميَّتها لكلٍّ الإنجيل والعهد الجديد. فهي تذكِّرنا أنَّ يسوع هو الكلمة الإلهيَّة، الابن الأزليُّ للآب، الذي صار بشرًا. في الواقع، تلخِّص هذه الآيات، كما يذكِّرنا كارسون:

> كيف دخل «الكلمة» الذي كان عند الله في البداية إلى مجال الزمن والتاريخ والملموس؛ بعبارة أخرى، كيف أُرسِل ابن الله إلى العالم ليصبح يسوع التاريخ، حتَّى يستعلن مجد الله ونعمته بشكل فريد وكامل. وما تبقَّى من هذا الكتاب ليس سوى تمديد لهذا الموضوع.[٣]

في الواقع، فإنَّ العهد الجديد بأكمله هو بالمثل مجرَّد تمديد لهذا الموضوع.

3 D. A. Carson, *The Gospel according to John*, Pillar New Testament Commentary (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1992), 111.

كيف تُعرِّف افتتاحيَّة يوحنَّا ربَّنا يسوع المسيح على أنَّه الابن الإلهيُّ الذي صار بشرًا؟ إنَّها تفعل ذلك باستخدامها لـ «الكلمة» (باليونانيَّة: Logos) و«الله» (باليونانيَّة: theos). يوحنَّا هو البشير الوحيد الذي يعرِّف المسيح بلقب «الكلمة». ولتأسيس ما يعنيه لقب «الكلمة»، نحتاج إلى تحديد مكان ذلك المصطلح في العهد القديم، بدلاً من النظر خارج الكتاب المقدَّس، على الرغم من استخدامه على نطاق واسع في الفكر اليونانيِّ.[٤] في العهد القديم، ترتبط «الكلمة» ارتباطًا وثيقًا بالله، الذي يخلق، ويُعلِن، ويفدي؛ كلُّ ذلك بكلمته (التكوين ١: ٣-٢٧؛ ٣: ٨-١٩؛ ١٢: ١؛ المزامير ٣٣: ٦، ٩؛ ١١٩: ٩، ٢٥؛ إشعياء ٥٥: ١١). باستخدام هذا اللقب، يطابق يوحنَّا يسوع، الابن، مع الله. ولكن علاوةً على ذلك، من خلال استخدامه لكلمة «الله»، يعلِّم يوحنا أيضًا أنَّ الكلمة هو الله لكنَّه لا يزال في نفس الوقت متمايزًا عن الله (الآب).

في يوحنَّا ١: ١، يستخدم يوحنَّا بِنْية ثلاثيَّة لتوضيح هذه النقاط. فكلُّ جملة من الجمل الثلاثة لها نفس الفاعل/المبتدأ، «الكلمة»، وفعلٌ دالٌّ على الهويَّة، «كان» (ēn)، وكلُّ عبارة تؤدِّي إلى ما تليها. العبارة الأولى، «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ» (١: ١أ)، تعلِّمنا أنَّ الكلمة أزليٌّ؛ ومن ثمَّ فإنَّ يسوع باعتباره الابن هو أزليٌّ. العبارة الثانية، «وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ (مع) اللهِ» (١: ١ب)، تؤكِّد أنَّه على الرغم من أنَّ الكلمة أزليٌّ، فأنَّه متمايز أيضًا عن الله (الآب)، ومن ثمَّ تؤكِّد العلاقة الأزليَّة بين الآب والابن. تؤكِّد العبارة الأخيرة، «وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ.» (١: ١ج)، أنَّ الكلمة يشترك في ألوهيَّة الله

٤ عن هذه النقطة، انظر:

Carson, *John*, 114–18.

الكاملة.[٥] ونظرًا لوجود إله عهدٍ خالقٍ واحد فقط، فإنَّ هذا يستلزم وجود علاقة أب-ابن داخل الله تشترك في الطبيعة الإلهيَّة الواحدة؛ وبالتالي، فإنَّ يوحنَّا ١: ١ هي الآية التأسيسيَّة في الصياغة الثالوثيَّة لدى الكنيسة. إذًا، يعلن يوحنَّا في هذه الآية الرئيسيَّة أنَّ للكلمة وجودًا أبديًّا في شركة شخصيَّة داخليَّة مع الله وأنَّ كليهما يشتركان في نفس الطبيعة. وكما يشرح يوحنَّا الآن، فالكلمة هذا، تعبير الله عن ذاته -الذي هو الله ذاته- هو الذي صار إنسانًا وهو ربُّنا يسوع المسيح (١: ١٤).

مع ذلك، وقبل أن ننتقل إلى تعليم يوحنَّا عن التجسُّد، من المهمِّ أن نلاحظ أنَّ إسناد الاسم «الله» (باليونانيَّة: theos) إلى المسيح لا يقتصر على يوحنَّا؛ يأتي هذا البناء سبع مرَّات على الأقلِّ في العهد الجديد (يوحنَّا ١: ١، ١٨؛ ٢٠: ٢٨؛ رومية ٩: ٥؛ تيطس ٢: ١٣؛ بطرس الثانية ١: ١؛ العبرانيِّين ١: ٨).[٦] لماذا هذا مهمٌّ؟ يطبِّق الكتاب المقدَّس العديد من الألقاب على المسيح، لكنَّ معظمها يشير إلى ألوهيَّة المسيح وبشريَّته؛ على سبيل المثال، «ابن» و«ابن الإنسان» و«المسيح». لكن theos ينطبق على يسوع كتأكيد صريح على أنَّه الله. لا شكَّ أنَّ «الربَّ» (باليونانيَّة: kyrios) هو لقب مشابه، لكن theos هو لقب أكثر وضوحًا.

لماذا لا تُستخدَم كلمة «الله» في كثير من الأحيان، في ضوء تأكيدها الواضح على ألوهيَّة المسيح؟ يمكن إعطاء ثلاثة أسباب لذلك. أوَّلاً، يجب ألاَّ ننسى أنَّ الكتاب المقدَّس ينصُّ على أنَّ الابن هو «الله» على الأقلِّ

٥ من العصر الآبائيِّ (أريوس) إلى يومنا هذا (شهود يهوه)، جادل البعض بأنَّ يوحنَّا ١: ١ج يجب أن تُترجم: «كان الكلمة إلهًا»، لأنَّ أداة التعريف لا تأتي قبل theos. إذا كان الأمر كذلك، فإنَّ هذا من شأنه أن ينكر أزليَّة الابن، وألوهيَّته الكاملة، ومساواة الابن مع الآب. هذه الترجمة المقترحة غير صحيحة لأسباب متعددة. للمزيد عن هذه النقطة، انظر:

Carson, *John*, 117; Murray J. Harris, *Jesus as God*: *The New Testament Use of* Theos *in Reference to Jesus* (Grand Rapids, MI: Baker, 1992), 51–71.

٦ لمعالجة شاملة لهذه النصوص، انظر:

Harris, *Jesus as God*.

سبع مرَّات وفي مواضع رئيسيَّة. في الواقع، ذكرَ ذلك أربعة كُتَّاب مختلفين (يوحنَّا، وبولس، وبطرس، وكاتب العبرانيِّين)، وهم يفعلون ذلك بشكل منتظم؛ مباشرةً بعد القيامة (يوحنَّا ٢٠: ٢٨)، حتَّى التسعينيَّات بعد الميلاد (يوحنَّا ١: ١، ١٨)، وفي السياقين اليهوديِّ والأمميِّ. ثانيًا، هؤلاء الكتَّاب يسندون اسم «الله» بحذر إلى يسوع حفاظًا على علاقات الأقانيم داخل الثالوث. فعادةً، تشير theos إلى الله الآب، ولكن لأنَّ الابن هو الله، فإنَّ theos يمكن أيضًا أن تُسند إلى المسيح. ولكن من أجل الحفاظ على التمايُز الأقنوميِّ/الشخصيِّ داخل الله، فإنَّ التسمية theos غالبًا ما تدلُّ على الآب وkyrios على الابن. ثالثًا، يسوع هو الله الابن، لكنَّه أيضًا إنسان. وإذا أصبح theos اسمًا شخصيًّا للمسيح، فمن الممكن أن يؤدِّي ذلك إلى التقليل من شأن إنسانيَّة (ناسوت) المسيح. ولكن مع ذلك، دعونا لا ننسى أنَّه عندما تُسنَد theos إلى المسيح، فهذا تعليم صريح بأنَّه هو الله.

نعود الآن إلى التعليم المذهل في يوحنَّا ١: ١٤، حيث نكتشف أنَّ الكلمة الابن الإلهيَّ قد صار جسدًا وبالتالي فهو إنسان كامل.[٧] ولكن من هو الذي صار جسدًا بالضبط؟ من هو موضوع التجسُّد؟ يؤكِّد يوحنَّا: إنَّه الكلمة الذي صار إنسانًا، لا الطبيعة الإلهيَّة، ولا حتَّى الآب ولا الروح. إنَّ الذات القائمة (ما تسمِّيه الكنيسة لاحقًا «شخص/أقنوم» [باليونانيَّة: hypostasis]) في التجسُّد هو الكلمة. إنَّه هو الذي وحَّد نفسه بالطبيعة البشريَّة («الجسد»)، وهو الآن يعيش في طبيعتين. وبصفته الله الابن، فإنَّه يظلُّ كما كان دائمًا في علاقةٍ بالآب والروح، وهو يتشارك الطبيعة

٧ انظر:

Carson, *John*, 117,

حيث يلاحظ مدى قوَّة لغة يوحنَّا. من المحتمل أنَّ يوحنَّا كان يردُّ على شكل مبكِّر من الدوسيتيَّة (من الفعل dokeō، «يظهر»؛ أي أنَّ المسيح ظهر فقط كإنسان). يوحنَّا يؤكِّد: إنكار أصالة التجسُّد هو إنكار ليسوع في الكتاب المقدَّس والإنجيل (انظر يوحنَّا الأولى ١: ١-٤؛ ٤: ١-٣).

الإلهيَّـة بشـكلٍ كامـل ومتسـاوٍ (يوحنَّـا ١: ١). ولكـن الآن، اتَّخـذ الكلمة-الابـن طبيعـةً بشـريَّةً لإعـلان المجـد الإلهـيِّ وتحقيـق فدائنـا. فـي تلـك الطبيعـة البشـريَّة، يسـتطيع الابـن الآن أن يعيـش ويختبـر حيـاةً بشـريَّة كاملـة ولكـن دون أيِّ تغييـر فـي ألوهيَّـة الابـن، لأنَّ هـذا مـن شـأنه أن يمنعـه مـن إظهـار مـلءِ مجـدِ الآب (يوحنَّـا ١: ١٤، ١٨) وتحقيـق إرسـاليَّته الخلاصيَّـة.

يُعـاد توكيـد هـذه النقطـة مـن خـلال الجملـة الختاميَّـة للافتتاحيَّـة، والتـي تعيدنـا إلـى آيتهـا الأولـى: «اَللهُ لَـمْ يَـرَهُ أَحَـدٌ قَـطُّ. اَلابْـنُ الْوَحِيـدُ [الـذي هـو الله monogens theos]، الَّـذِي هُـوَ فِـي حِضْـنِ الآبِ هُـوَ خَبَّـرَ.» (يوحنَّـا ١: ١٨). فـي العهـد القديـم، رأى البعـض رؤى عـن الله (علـى سـبيل المثـال، الخـروج ٣٣-٣٤؛ إشـعياء ٦)، ومـع ذلـك لـم يـروا الله حقًّـا إلاَّ فـي شـكلِ ظهورٍ. ولكـن فـي الابـن المتجسِّـد، أصبـح الإعـلان الكامـل عـن الله مرئيًّـا الآن.[٨] يُعلِّـم يوحنَّـا، جنبًـا إلـى جنـب مـع الكتـاب المقـدَّس بكاملـه، بالهويَّـة الحصريَّـة والفريـدة للمسـيح. مـن هـو يسـوع؟ إنَّـه الله الابـن، واحـد مـع الآب والـروح، الـذي أصبـح الآن فـي تجسُّـده إنسـانًا ليعلـن عـن الله ويفـدي شـعبه.

متَّى ١: ١٨-٢٥ ولوقا ١: ٢٦-٣٨

كيـف تـمَّ التجسُّـد؟ يسـجِّل متَّـى ولوقـا وحدهمـا الوسـيلة التـي تـمَّ بهـا التجسُّـد، أي عمـل الله الثالوثـيُّ السـياديُّ فـي العـذراء مريـم ومـن خلالهـا.

٨ يجـب إبـداء تعليـق حـول معنـى monogenēs. تاريخيًّـا، تُرجمـت (monogenēs monos + gennaō) «المولـود الوحيـد» (KJV) وتسـتخدم لتبريـر «التوالـد الأبـديِّ» للابـن مـن الآب. اليـوم، يعتقـد الكثيـرون أنَّ أصـل كلمـة monogenēs مشـتقٌّ مـن monos + genos لتعنـي «فريـد، وحيـد». انظـر:

Carson, *John*, 111–39.

لكن هناك حجَّة قويَّة أيضًا لصالح «المولود الوحيد» في:

Charles Lee Irons, "A Lexical Defense of the Johannine 'Only Begotten,'" in *Retrieving Eternal Generation*, ed. Fred Sanders and Scott R. Swain (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2017), 98–116.

الحكـم لا يـزال غيـر محسـوم، ولكـن فـي كلتـا الحالتيـن، فـإنَّ المصطلـحَ يقـود التفكيـرَ اللاهوتـيَّ فـي إطـار العلاقـة الأبديَّـة أو ولادة الابـن مـن الآب، وهـو أمـر تسـتلزمه التعاليـم الكتابيَّـة.

تُعتَبَـر هـذه النصـوص مهمَّـة لسـببين علـى الأقـلِّ. أوَّلاً، تكشـف هـذه النصـوص كيـف صـار الكلمـة جسـدًا (يوحنَّـا ١: ١٤). ثانيًـا، تذكِّرنـا أنَّ الله الابـن صـار إنسـانًا حقًّـا. إنَّ التجسُّـد ليـس أنَّ الابـن اتَّخـذ هيئـةً بشـريَّة مؤقَّتـة أو اتَّخـذ نوعًـا مـا مـن الجسـد السـماويِّ، ولكنَّـه أن يضيـف إلـى نفسـه بشـكل دائـم طبيعـةً بشـريَّة بقـوَّة الـروح مـن خـلال مريـم، وفـي هـذه الطبيعـة البشـريَّة، يعيـش ويختبـر حيـاةً إنسـانيَّة كاملـة إلـى الأبـد (لوقـا ٢: ٥٢).

يرفـض الكثيـرون اليـوم تعاليـم الكتـاب المقـدَّس بشـأن الميـلاد العـذرويِّ، بـل أسـوأ مـن ذلـك، يرفضـون الحبَـل العـذرويَّ، لكنَّهـم يرفضـون هـذا مقابـل كُلفـة باهظـة. إذ ليـس أنَّ الكتـاب المقـدَّس يعلِّـم أنَّ تلـك كانـت الوسـيلة التـي تـمَّ بهـا التجسُّـد فحسـب، بـل تؤكِّـد ذلـك الكنيسـة أيضًـا، ومـن الناحيـة اللاهوتيَّـة، فـإنَّ ذلـك الأمـر يأتـي كلُحمـة واحـدة ضمـن أطروحـة الكتـاب المُقـدَّس عـن المسـيح باعتبـاره الابـن الإلهـيَّ، الـذي أصبـح آدم الأخيـر بـلا خطيَّـة (العبرانيِّيـن ٤: ١٤-١٥). فـي الواقـع، بمعـزل عـن الحبَـل العـذراويِّ سـيصبح مـن الصعـب تجنُّـب الوقـوع فـي «بدعـة التبنِّـي Adoptionism»، التـي تعلِّـم أنَّ الابـن اتَّخـذ كيـانَ فـردٍ بشـريٍّ كاملٍ مصنـوع مـن أبٍ وأمٍّ ثـمَّ اقتـرب مـن الابـن أو «تـمَّ تبنِّيـه» مـن قِبَـل الابـن. بالإضافـة إلـى ذلـك، بمعـزل عـن الحبَـل العـذراويِّ، مـن الصعـب تجنُّـب الاسـتنتاج القائـل بـإنَّ الابـن الأزلـيَّ لـه أبَـان -أي أبـوَّة مزدوجـة- أي أبـوه الأزلـيُّ وأبـوه البشـريُّ البيولوجـيُّ. لكـنَّ الكتـاب المقـدَّس يصـرُّ علـى أنَّ يسـوع، بصفتـه الابـن الإلهـيَّ، لـه أب واحـد فقـط؛ إذ أنَّ التجسُّـد هـو أنَّ الابـن اتَّخـذ طبيعـةً بشـريَّة (الجسـد والنفـس أو الـروح) وليـس فـردًا بشـريًّا كاملاً؛ وأنَّ الابـن هـو صاحـب طبيعتـه الإلهيَّـة والبشـريَّة كليهمـا. لاحقًـا، سـتؤكِّد الكنيسـة هـذه الحقائـق عندمـا ترفـض بدعـة التبنِّـي والنسـطوريَّة، وهـي نقطـة سنناقشـها فـي الفصـول اللاحقـة.

عندما نقرأ متَّى ولوقا معًا، تظهر هذه الحقائق المهمَّة بطريقتين. أوَّلاً، لم يتمَّ تقديم الحبَل العذراويِّ على أنَّه حدث غريب أو شاذٌّ في التاريخ. بل هو جزء من تحقيق خطَّة الله الأبديَّة التي تتمحور حول مجيء المسيَّا الموعود به. يبدأ متَّى إنجيله بسلسلة نسبٍ (متَّى ١: ١-١٧) تصف يسوع بأنَّه «ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ» (متَّى ١: ١). في الواقع، تمَّ بناء سلسلة النسب بأكملها حول داود، وسبي إسرائيل، والآن تحقيق وعود الله في ولادة ابن داود الأعظم.[9] بعد ذلك، يضع متَّى (ولوقا) الحبَل بيسوع ضمن خطَّة الله، ممَّا يخلق توقُّعًا أنَّه الآن في المسيح، يفي إله العهد الخالق بوعوده لاسترداد البشريَّة واستعادة خليقته. إذًا، فإنَّ الحبَل من عذراء ليس غريبًا وإن كان خارقًا للطبيعة؛ بل هو البرهان على أنَّ يسوع هو الملك ويهوه؛ قائمًا في مكانةٍ متفرِّدة حقًّا.

ثانيًا، يُقدَّم الحبَل العذراويُّ على أنَّه العمل الفائق السياديُّ لروح الله من خلال مريم. وعند وضع ذلك في إطار قصَّة الكتاب المقدَّس، فإنَّ التشديد على عامِليَّة الروح ينقل معنًى محدَّدًا، مِمَّا يؤكِّد تفرُّد المسيح. على سبيل المثال، يعرف أيُّ شخصٍ متبحِّر في العهد القديم أنَّ لغة الروح مرتبطة بوعد الله بمسيَّا قادم والزمن المسيَّانيِّ بأكمله (انظر إشعياء ١١؛ ٤٢؛ ٦١؛ يوئيل ٢: ٢٨-٣٢). في الواقع، عند قراءة الأنبياء، فإنَّه كما لا يمكن للمرء أن يفكِّر في الملك القادم بعيدًا عن علاقة الآب والابن (صموئيل الثاني ٧: ١٤)، كذلك تمامًا لا يمكن للمرء أن يفكِّر في المسيَّا بمعزل عن الروح، وبالتالي علاقة الابن والروح . إنَّ الحديث إذًا عن عامِليَّة الروح يذكِّرنا بأنَّ الطفل الذي حُبلَ به هو مسيح الله الذي طال انتظاره والشخص الوحيد القادر على تدشين مُلك الله الخلاصيِّ

9 D. A. Carson, *Matthew*, in vol. 8 of *The Expositor's Bible Commentary* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1984), 60–69; R. T. France, *The Gospel of Matthew*, New International Commentary on the New Testament (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2007), 26–33.

وزمـن العهـد الجديـد.

مـن خـلال الاقتبـاس مـن إشـعياء ٧: ١٤.[١٠] يذكِّرنـا ذلـك الاقتبـاس بـأنَّ خطَّة الله قـد تحقَّقـت فـي المسـيح وأنَّ الحبَـل بالمسـيح وولادتـه هـو أنَّ الله نفسـه يأتـي ليكـون مـع شـعبه:

«وَهـذَا كُلُّـهُ كَانَ لِكَـيْ يَتِـمَّ مَـا قِيـلَ مِـنَ الـرَّبِّ بِالنَّبِـيِّ الْقَائِـلِ: «هُـوَذَا الْعَـذْرَاءُ تَحْبَـلُ وَتَلِـدُ ابْنًـا، وَيَدْعُـونَ اسْـمَهُ عِمَّانُوئِيـلَ» الَّـذِي تَفْسِـيرُهُ: اَللهُ مَعَنَـا.» (متَّـى ١: ٢٢-٢٣)

مرَّة أخرى، الطفل الذي وُلِد ليس طفلاً عاديًّا.

إنَّ عـرض لوقـا لقصَّـة الحبَـل مشـابه لعرض متَّـى ولكن مع بعـض الميزات الإضافيَّـة. فـي الواقـع، لوقـا هـو الأقـرب إلـى شـرح الكيفيَّـة المحـدَّدة التـي تـمَّ بهـا هـذا. يشـرح الملاك جبرائيـل لمريـم قائـلاً: «الـرُّوحُ الْقُـدُسُ يَحِـلُّ [episkiasei] عَلَيْـكِ، وَقُـوَّةُ الْعَلِـيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُـدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَـى ابْـنَ اللهِ.» (لوقـا ١: ٣٥) يؤكِّـد هذا الوصف نقطتيـن متجذِّرتين في العهد القديـم. أوَّلاً، يوضـع الحبَـل العـذراويُّ فـي سـياق الخليقة والخليقـة الجديدة الآتيـة. يقـدِّم التكويـن ١: ٢ روح الله مرفرفًـا فـي قـوَّة إلهيَّـة فـوق الميـاه بينمـا يبـدأ الله فـي خلـق العالـم. ويقـدِّم لوقـا الآن روح الله مرفرفًـا فـي قـوَّة خلـقٍ إلهيَّـة علـى مريـم. مـا يحـدث الآن هـو بدايـة الخليقـة الجديـدة باتِّخـاذ الابـن لطبيعـة بشـريَّة سـيجعلها الـروح «قدُّوسـة». مـن الصعـب التفكيـر، كمـا يزعم البعـض، أنَّ الابـن يتَّخـذ لنفسـه طبيعةً بشـريَّة سـاقطة في التجسُّـد. إذ يتكلَّم كلُّ شـيء فـي هـذا النـصِّ عـن عمـل الـروح لأخـذ ما سـقط في مريـم، مُقدِّسًـا

١٠ هنـاك مسـألتان تمَّـت مناقشـتهما بخصـوص اسـتخدام متَّـى لإشـعياء ٧: ١٤؛ (١) هنـاك تسـاؤل حـول اسـتخدام كلمـة «عـذراء» (parthenos) كمقابـل للكلمـة العبريَّـة «almah»؛ (٢) كيـف يـرى متَّـى أنَّ هـذا النـصَّ النبـويَّ قـد تحقَّـق فـي يسـوع. للمزيـد عـن هـذا، انظـر:
Carson, *Matthew*, 77; J. Alec Motyer, *Isaiah*: *An Introduction and Commentary*, Tyndale Old Testament Commentaries 20 (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1999), 77–90.

إيَّاه، جاعلاً إيَّاه «مقدَّسًا»؛ بل «صالحًا» حقًّا. إنَّ الحبَل العذراويَّ بيسوع إذًا ليس تطوُّرًا تدريجيًّا وطبيعيًّا؛ فهو لم ينشأ من إرادة الإنسان. بالأحرى، فإنَّ الحَبَل بالمسيح هو التدخل الإلهيُّ من قِبَل الله الثالوث لولادة آدم الأخير، أوَّل إنسان في الخليقة الجديدة، لينقض في النهاية عمل آدم الأوَّل.

ثانيًا، يعمل أيضًا تأكيدُ لوقا على عمل الروح الذي «يَحِلُّ» على الربط بين الحبَل بالمسيح وتجسُّده وبين حضور الله الفريد في العهد. في الترجمة السبعينيَّة، يأتي الفعل اليونانيُّ episkiaz كترجمة للكلمة العبريَّة المستخدَمة لحلول سحابة مجد الله في ظلِّ العهد القديم (الخروج ٤٠: ٣٥؛ راجع السبعينيَّة؛ راجع المزامير ٩١: ٤؛ راجع ٩٠: ٤ السبعينيَّة). عُرف مجد الله لاحقًا باسم «الشكينة»، وكان يحرس إسرائيل ويوجهها خلال البريَّة، وظهر مرَّة أخرى في السحابة التي تمثِّل حضور الله في الخيمة (الخروج ٤٠: ٣٤-٣٨) وفي الهيكل (إشعياء ٦: ١-٤). ولقد كان من الأهميَّة بمكان، كردٍّ على عبادة إسرائيل الوثنيَّة، أنَّ مجد الشكينة فارق الهيكل (حزقيال ١٠) ولم يعاود الظهور حتَّى مجيء المسيح (يوحنَّا ١: ١٤-١٨)، الذي هو ربُّ المجد وإتمام الهيكل (يوحنَّا ٢: ١٩-٢٢).[11] إذًا، من خلال الحبَل بالمسيح من العذراء، فإنَّ حضور الله المجيد يقتحم العالم حتى يكون هذا الإنسان حقًّا هو عمَّانوئيل.

كولوسي ١: ١٥-٢٠[12]

من النصوص الأخرى المِفتاحيَّة لفهم من هو يسوع وفهم

11 Paul M. Hoskins, *Jesus as the Fulfillment of the Temple in the Gospel of John*, Paternoster Biblical Monographs (Eugene, OR: Wipf and Stock, 2007).

١٢ للمزيد عن هذا النصّ، انظر:

Douglas J. Moo, *The Letters to the Colossians and to Philemon*, Pillar New Testament Commentary (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2008); N. T. Wright, *Colossians and Philemon*, Tyndale New Testament Commentaries 12 (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1986).

النقاشات الكريستولوجيَّة اللاحقة هو كولوسي ١: ١٥-٢٠. في عصر آباء الكنيسة، استخدَم الأريوسيُّون هذا النصَّ ليقولوا إنَّ المسيح هو «البكر»، أي المخلوق الأوَّل وليس الله الابن. ويستمرُّ هذا التفسير حتَّى اليوم بين شهود يهوه، وللأسف، فإنَّ العديد من الإنجيليِّين مشوَّشون أيضًا في هذه النقطة.[١٣] لكن دحضًا للأريوسيِّين، يعلِّم نصُّ كولوسي بشكل لا لبس فيه عن الألوهيَّة الكاملة للابن، ومن الأهميَّة أنَّه حتَّى كابن متجسِّد، يستمرُّ في القيام بعمل العناية الإلهيَّة، بشكل لا ينفصل مع الآب والروح؛ حقيقة صاغتها الكنيسة وسعت عقيدة «التجاوُز extra» لالتقاطها.[١٤] سنشرح «التجاوُز» في الفصل السادس ولكن الآن دعونا نرى كيف يعلِّم ذلك النصُّ هذه النقاط.

ينقسم النصُّ إلى مقطعين رئيسيِّين (كولوسي ١: ١٥-١٦ و١: ١٨ب-٢٠) مع مقطع انتقاليٍّ بين الاثنين (١: ١٧-١٨أ). في المقاطع الرئيسيَّة والانتقاليَّة الأولى، يُقدَّم يسوع على أنَّه الله الابن لأنَّه الصورة الحقيقيَّة لله، ووكيل الخليقة، وحامل الكون. في المقطع الرئيسيِّ الثاني، يُقدَّم يسوع على أنَّه الابن المتجسِّد، الذي، بسبب تجسُّده وعمل صليبه، هو فادينا الوحيد. إذًا، يسوع هو الأسمى على الجميع لأنَّه خالقنا وفادينا. لنلقِ نظرة أعمق على النصِّ في ثلاث خطوات.

أوَّلاً، يُقدَّم التعليم بألوهيَّة الابن الكاملة في كولوسي ١: ١٥-١٦ من خلال ثلاثة تأكيدات مذهلة. يوصف الابن أوَّلاً بأنَّه «صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ»، ممَّا يعني أنَّه يمتلك طبيعة الله ذاتها. والفكر نفسه موجود في العبرانيِّين ١: ٣، حيث يوصف المسيح بأنَّه «رَسْمُ [charaktēr]

13 statement no. 6 of *The State of Theology*, Ligonier, accessed May 7, 2020, https://thestateoftheology.com/.

١٤ يؤكِّد «التجاوُز» أنَّه على الرغم من أنَّ الابن قد اتَّخذ طبيعة بشريَّة ويعمل فيها ومن خلالها، فأنَّه (الابن) يستمرُّ في التصرُّف «خارجًا» (باللاتينيَّة extra) عنها، في طبيعته الإلهيَّة ومن خلالها. يستلزم هذا أنَّه نتيجة للتجسُّد، أصبح الابن الآن قادرًا على التصرُّف من خلال طبيعته الإلهيَّة والبشريَّة.

جَوْهَرِهِ». وعلى الرغم من اختلاف التعبيرين، فكلاهما يعلِّم أنَّ المسيح هو الله الابن. بالإضافة إلى ذلك، تشير «الصورة» أيضًا إلى وجود صدى لخليقتنا على صورة الله. إنَّ الفكرة هي أنَّ الابن هو الصورة الأصليَّة لله في ألوهيَّته الكاملة (القالب الأصليُّ) وأنَّ البشر خُلقوا ليعكسوه (النسخة الأصليَّة). وهذا يضفي معقوليَّة على السبب وراء كون الابن ليس فقط نموذج خليقتنا ولكن أيضًا الشخص الذي يصير بشرًا ليفدينا، وأنَّنا في الخلاص نُصمَّم على نمط بشريَّته الممجَّدة (أفسس ٤: ٢٢-٢٤؛ كولوسي ٣: ٩-١٠).

علاوةً على ذلك، فإنَّ الابن هو «بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ» (كولوسي ١: ١٥). على عكس التفسير الأريوسيِّ، يتكلَّم السياق عن «البكر» من حيث «الأسبقيَّة» في المرتبة والسلطة (انظر المزامير ٨٩: ٢٧)؛ أي «أَعْلَى». تؤكِّد كولوسي ١: ١٦ هذا التفسير؛ «فَإِنَّهُ [hoti] فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ». إنَّ الابن ليس أوَّل كائن مخلوق أو جزء من الخليقة ولكنَّه خالقها. تمَّ تأكيد هذه الحقيقة بشكل أكبر من خلال التأكيد الثالث. إذ يُنسب عمل الخلق الإلهيُّ إلى الآب من خلال الابن (العامِليَّة الثالوثيَّة)، ولكن يُذكر أيضًا مدى سيادة الابن فيما يتعلَّق بالخليقة: فكلُّ الأشياء قد خُلقت «فِيهِ» و«بِهِ وَلَهُ» (كولوسي ١: ١٦). تعلِّم كلُّ هذه التأكيدات مجتمعة أنَّ يسوع هو الله الابن.

ثانيًا، يعلِّم المقطع الاعتراضيُّ (كولوسي ١: ١٧-١٨أ) نفس النقطة بينما ينتقل إلى عمل الابن المتجسِّد. العبارة الافتتاحية، «الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ»، تنظر إلى الوراء نحو ١: ١٥-١٦. يقدِّم السطر الأخير، «وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ.» تركيزًا على عمل المسيح في المصالحة بينما يتصاعد الحديث عنه في ١: ١٨ب-٢٠. وينظر السطر الأوسط، «وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ»، في كلا الاتجاهين لأنَّه يقدِّم يسوع على أنَّه ربٌّ بسبب كينونته الدائمة كالابن الإلهيِّ وبسبب ما يفعله الآن

باعتباره الابن المتجسِّد. وعلى وجه التحديد، تُعلِّم ١: ١٧ عن وجود الابن وتفوُّقه على الكون بأسره بصفته خالقه وربَّه المعتني به. في الواقع، من خلال استخدام الزمن التام (synestēken)، يتمُّ التركيز على استمراريَّة حكم الابن في عنايته بالخليقة: قبل وبعد تجسُّده. يستلزم هذا أنَّه حتَّى بصفته الابن المتجسِّد، يستمرُّ يسوع في حمل الكون وممارسة الوظائف الكونيَّة الإلهيَّة. يبدو أنَّ هذا يتطلَّب أن يكون يسوع قادرًا على التصرُّف في طبيعته الإلهيَّة والبشريَّة ومن خلالهما، وهو أمر يحاول تأكيد الكنيسة على «التجاوُز» أن يصيغه ويعبِّر عنه. ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ هذا يثير بعض الأسئلة اللاهوتيَّة المشروعة؛ أسئلة مركزيَّة في الجدل بين الكريستولوجيا الكلاسيكيَّة ومختلف النسخ الإخلائيَّة Kenotic الأخرى، وهي نقطة نعود إليها في الفصل السابع. هنا ألاحظ ببساطة أنَّه في الصياغة الكريستولوجيَّة، يجب علينا أن نأخذ في الحسبان جميع المعطيات الكتابيَّة، أي أنَّ الابن، حتَّى خلال التجسُّد، يستمرُّ في التصرُّف كما تصرَّف دائمًا مرتبطًا بالآب والروح.

ثالثًا، يبرِز المقطع الرئيسيُّ الثاني (١: ١٨ب-٢٠) عمل يسوع باعتباره الابن المتجسِّد. وذلك الخالق وربُّ العنايَة الإلهيَّة هو أيضًا رأس شعبه، الكنيسة، بسبب عمله على الصليب من أجلنا. فالمسيح هو الربُّ مرَّتين: أوَّلاً كخالقنا وثانيًا كفادينا. لكن بولس لم ينتهِ بعد. في كولوسي ١: ١٩، يؤكِّد مرَّة أخرى على ألوهيَّة يسوع: «لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ.» وهذا ليس مسكنًا مؤقَّتًا أيضًا (انظر كولوسي ٢: ٩). ما ينطبق على الله الابن قبل التجسُّد ينطبق عليه بعد التجسُّد:

فـكلُّ مـلء الإلـه (الطبيعـة والصفـات) يسـكن فيـه.[١٥]

فـي هـذا النـصِّ، كمـا فـي العهـد الجديـد بأكملـه، نـرى التأكيـد المسـتمرَّ علـى الابـن باعتبـاره إلهًـا كامـلاً وإنسـانًا كامـلاً. نتعلَّـم أيضًـا أنَّ الابن قـادر على التصـرُّف فـي كلتـا الطبيعتيـن ومـن خلالهمـا، دون تغييـر أيٍّ مـن الطبيعتيـن. إنَّ التفكيـر فـي هويَّـة يسـوع وفقًـا للكتـاب المقـدَّس هـو ممارسـة للـ «الإيمان السـاعي للفهـم»، وهـو مـا قامـت بـه الكنيسـة أخـذًا وردًّا مـع كلِّ المعطيـات الكتابيَّة.

فيلبي ٢: ٦-١١[١٦]

كانـت فيلبِّـي ٢: ٦-١١ أيضًـا فـي قلـب المناقشـات الكريسـتولوجيَّة الحرجـة. لقـد كانـت بمثابـة نـصِّ إثبـات لـ «النظريـة الإخلائيَّـة Kenotic theory»، وهي عبـارة مأخـوذة مـن الفعـل اليونانـيِّ kenoō، «يُفرِغ/يخلـي» (فيلبـي ٢: ٧). فـي القرنيـن التاسـع عشـر والعشـرين، علَّـم بعـض اللاهوتيِّيـن أنَّ الابـن «تخلَّـى» أو «أفـرغ» نفسـه مـن بعـض صفاتـه الإلهيَّـة حتـى يصبـح إنسـانًا. فـي الفصـل السـابع، نقـدِّم رفضًـا للنظريَّـة الإخلائيَّـة لأسـباب متنوِّعـة ولكـن أوَّلاً وقبـل

١٥ حقيقـة أنَّ الابـن يمتلـك كلَّ الصفـات الإلهيَّـة يتـمُّ التعليـم بهـا فـي جميـع أجـزاء العهـد الجديـد. تأمَّـل صفات الله الأخلاقيَّـة أو القابلـة للتشـارك. يحـدِّد الكتـاب المقـدَّس محبَّـة الله بالارتبـاط بالابـن (رومية ٨: ٣٥-٣٩؛ غلاطيـة ٢: ٢٠؛ يوحنَّـا الأولى ٤: ١٠-١٢)؛ إنَّ يسـوع هـو البـارُّ (أعمـال الرسـل ٣: ١٤؛ ٧: ٥٢؛ ٢٢: ١٤)، وهو حتَّى ذلك الشـخص الـذي غضبـه هـو غضـب الله (الرؤيـا ٦: ١٦). مـن حيـث الحـقِّ، يسـوع مملـوء بالنعمـة والحـقِّ (يوحنَّـا ١: ١٤) -إشـارة إلـى الـربِّ فـي سـفر الخروج ٣٤- وهو الحقُّ نفسـه (يوحنَّـا ١٤: ٦). المسـيح هو إعـلان الله الكامـل (العبرانيِّيـن ١: ١-٣؛ راجـع يوحنَّـا ١: ١٨؛ ١٤: ٨-٩). تأمَّـل أيضًـا صفـات الله غيـر القابلـة للتشـارك. علـى سـبيل المثال، يشـارك الابن الآب فـي أزليَّتـه (يوحنَّـا ١: ١؛ ١٧: ٥؛ العبرانيِّيـن ١: ٢). يمتلك الابن القدرة المطلقة (أفسـس ١: ١٩-٢٠؛ كولوسـي ٢: ١٠)، وهو كلّـيُّ الوجـود (متَّـى ١٨: ٢٠؛ ٢٨: ٢٠؛ أفسـس ٤: ١٠)، وعديـم التغيُّـر (العبرانيِّيـن ١: ١٠-١٢؛ ١٣: ٨) وكلّـيُّ العلـم (يوحنَّـا ١: ٤٨؛ ٢: ٢٥؛ ٦: ٦٤؛ ٢١: ١٧؛ أعمـال الرسـل ١: ٢٤؛ كورنثـوس الأولى ٤: ٥؛ كولوسـي ٢: ٩؛ الرؤيـا ٢: ٢٣). لا شـكَّ أنَّـه فيمـا يتعلَّـق بالعلـم الكلّـيِّ، يؤكِّـد كاتـب الكتـاب المقـدَّس، كما يفعل يسـوع نفسـه، أنَّ الابـن نما في المعرفـة وأنَّه لا يعـرف أشـياء معيَّنـة (مرقـس ١٣: ٣٢؛ لوقـا ٢: ٥٢). كيـف يمكـن للمـرء أن يحـلَّ هـذا التوتُّـر! هـذا هـو جـزء مـن الصياغـة الكريسـتولوجيَّة، ولكـن مـن المهـمِّ أن نـرى أنَّ الكتـاب المقدَّس يسـند كليهما إلى المسـيح.

١٦ للمزيد عن هذا النصِّ، انظر:

Schreiner, *New Testament Theology*, 323–27.

كلِّ شيء لأنَّ هذا النصَّ لا يعلِّم بها؛ وكذلك باقي الكتاب المقدَّس. إنَّ التجسُّد ليس فعل انتقاص. إنَّه فعل إضافة. في التجسُّد، يتصرَّف الله الابن، من الآب بالروح، ليضيف إلى نفسه طبيعة بشريَّة حتَّى يعيش الآن وإلى الأبد في طبيعتين دون أن يفقد أيَّة صفات في أيٍّ من الطبيعتين. أيضًا، بسبب التجسُّد، أصبح الابن قادرًا الآن على أن يعيش حياة بشريَّة كاملة ويحقِّق فداءنا باعتباره رأس العهد الجديد. لنلقِ نظرة على الكيفيَّة التي يعلِّم بها هذا النصُّ هذه الحقائق في خمس خطوات.

أوَّلاً، ينقسم النصُّ إلى قسمين، فيلبِّي ٢: ٦-٨ و٢: ٩-١١. في كلِّ قسم، هناك فعلان يصفان تواضعَ الابن في أخذ طبيعتنا البشريَّة (أي «حالة الاتِّضاع») وتمجيد الآب للمسيح بسبب عمله على الصليب (أي «حالة الترفُّع»). يتحرَّك النصُّ من الابن الموجود مسبَّقًا نحو اتِّضاعه الذي ينتج عنه تمجيده باعتباره الابن في دوره الجديد بسبب طاعته للآب. عندما يُقرأ هذا النصُّ جنبًا إلى جنب مع نصوص أخرى، نرى دليلاً على عامِليَّة الثالوث وعمله غير المنفصل الذي ينتهي على الابن. التجسُّد إذًا هو عمل من أعمال الله الثالوث الذي به يرسل الآب الابن، ويتَّخذ الابن طبيعةً بشريَّة بالروح (لوقا ١: ٢٦-٣٨)، وينتهي العمل بأكمله على الابن وليس الآب أو الروح (يوحنَّا ١: ١٤؛ فيلبِّي ٢: ٦-٨). ثانيًا، يُقدَّم التعليم عن ألوهيَّة الابن من خلال عبارة «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ» (فيلبي ٢: ٦).

نجد هنا تأكيدًا لألوهيَّة الابن الكاملة مع الآب. ويقدِّم النصُّ تباينًا بين شكلين من أشكال وجود الابن: المجد الذي امتلكه منذ الأزل باعتباره الابن الإلهيَّ وما صاره من خلال اتِّخاذ «صُورَةَ عَبْدٍ» (٢: ٧). الابن الذي كان ولا يزال هو الله الكامل أبدًا، صار إنسانًا بشكل كاملٍ وحقيقيٍّ.

ثالثًا، من الأفضل ترجمة العبارة التالية هكذا: «لم يعتقد أنَّ

المساواة مع الله شيءٌ يستخدمه لمصلحته الخاصَّة» [ترجمة الكاتب]. المسألة ليست ما إذا كان المسيح يحصل على مساواة مع الله أو ما إذا كان يحتفظ بها، لأنَّ النصَّ يؤكِّد أنَّ الابن يشترك في «مساواة كاملة مع الله» (٢: ٦). لكن بدلاً من ذلك، فإنَّ المسألة هي موقف يسوع تجاه مكانته الإلهيَّة. لم يستغلَّ الابن مساواته الكاملة مع الله أو يسيء التمسُّك بها لإعفائه من إرساليَّته أن يصبح فادينا. بهذه الطريقة، يصبح يسوع مثالاً لنا (٢: ٥)، بينما يظلُّ قائمًا في مكانة متفرِّدة.

رابعًا، العبارة المثيرة للجدل في ٢: ٧ «أَخْلَى نَفْسَهُ» (أو «جعل نفسه لا شيء» NIV) لا تعني أنَّه في التجسُّد طرح الابن عنه صفاته الإلهيَّة. فمن خلال استخدام عبارتين باسم الفاعل («آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ» و«صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ.»)، تمَّ شرح طبيعة «الإخلاء» بكلِّ وضوح، أي أنَّ «إخلاء» الابن كان بمثابة إضافة طبيعة بشريَّة. أمَّا أولئك الذين يؤيِّدون وجهة النظر الإخلائيَّة يجعلون هذا النصَّ يقول شيئًا لا يقصد أن يقوله.

ومع وضع ذلك في الاعتبار، يجب ألاَّ نفوِّت المغزى المذهل: لقد تواضع الابن الإلهيُّ عندما صار إنسانًا واختار أن يموت على الصليب من أجلنا (٢: ٨)، وهو أمرٌ مذهل بكلِّ بساطة. في الواقع، بدون تواضع الابن في التجسُّد والصليب، لا يوجد خلاص لنا. لكنَّ هذه ليست هي الفكرة هنا. وإن كان مجد الابن في التجسُّد والصليب صار مستترًا بجسده (ما يُدعى غالبًا الإخفاء krypsis)، هذا الإخفاء هو فقط إدراكنا للأمر. لكن لم يكن الله الابن أقلَّ من الله الكامل. وهو إذ ألبس نفسه طبيعتَنا البشريَّة، حمل أيضًا خطايانا في هذه الطبيعة عينها. وفي فعل الطاعة هذا، وبصفته آدم الأخير وممثِّل العهد الجديد ونائبه، حوَّل لحظة ضعفه العظيمة إلى لحظة انتصار أعظم على الخطيَّة والموت والشرِّ.

خامسًا، تعود الخاتمة (فيلبّي ٢: ٩-١١) إلى حيث بدأ هذا النصُّ، بتسامي الابن في السماء. الآن فقط، ستنحني كلُّ ركبة ويعترف كلُّ لسان بأنَّ المسيح هو الربُّ في حالة تمجيده. في ٢: ٦-٨، يأتي المسيح كفاعل لكلِّ الأفعال وأسماء الفاعل، ولكن في ٢: ٩، الآب هو الذي يمجِّد الابن بسبب عمله وطاعته. إذ يبرِّر الآب ابنه ويرفعه إلى أعلى مكانةٍ ويمنحه اسم الربّ/يهوه من إشعياء ٤٥: ٢١-٢٣.[١٧]

في هذا النصِّ الرائع، يجسِّد بولس بشكل جميل من هو يسوع ولماذا تمَّ التجسُّد. يسوع بوصفه الله الابن، مع الآب والروح، هو ربُّ الجميع. ولكن لكي يفدينا، كان على الابن الإلهيِّ أن يصير إنسانًا ويموت من أجلنا. في الواقع، بدون كونه آدم الأخير وطاعته لنا في حياته وموته، فلا خلاص لنا. ولكن نتيجة تجسُّده وعمله، رفع الآب ابنَه عاليًا حتَّى أصبح يسوع الآن ربًّا مرَّتين: أوَّلاً، باعتباره الابن الإلهيَّ، وثانيًا، باعتباره الابن الإلهيَّ المتجسِّد.

العبرانيِّين ١: ١-٤ و٢: ٥-١٨[١٨]

تتركَّز رسالة العبرانيِّين بأكملها على المسيح ومجده وربَّانيَّته. علاوةً على ذلك، نجد في العبرانيِّين بالضبط ما يعلِّم به العهد الجديد بأكمله: يسوع هو الله الابن (على سبيل المثال، ١: ٢-٣)، الذي بفضل

١٧ ليس هذا هو النصُّ الوحيد الذي يعلن أنَّ «يسوع ربٌّ/يهوه». إذ أسند الرسل مرارًا وتكرارًا نصوصًا مختلفة تتكلَّم عن يهوه من العهد القديم إلى يسوع، وبالتالي عرَّفوه بأنَّه الله. على سبيل المثال، انظر الخروج ٣: ١٤ مع يوحنَّا ٨: ٥٨؛ هوشع ٤٤: ٦ مع الرؤيا ١: ١٧؛ المزامير ١٠٢: ٢٦-٢٧ مع العبرانيِّين ١: ١١-١٢؛ يوئيل ٢: ٣٢ مع رومية ١٠: ١٢-١٣، وهكذا. انظر:

David B. Capes, *Old Testament Yahweh Texts in Paul's Christology*, Wissenschaftliche Untersuchungen zum Neuen Testament, 2nd ser., vol. 47 (Tübingen: Mohr Siebeck, 1992).

١٨ للمزيد عن هذا النصِّ، انظر:

Thomas R. Schreiner, *Commentary on Hebrews*, Biblical Theology for Christian Proclamation (Nashville: B&H, 2015), 51–62; Schreiner, *New Testament Theology*, 380–93; William L. Lane, *Hebrews* 1–8, Word Biblical Commentary 47A (Dallas: Word Books, 1991), 10–15.

تجسُّده وعمله ربحَ فداءَنا الأبديَّ (على سبيل المثال، ٢: ٥-١٨). يسوع إذًا هو إله كامل وإنسان كامل، ويجب إقرار كليهما دون تمييع. لا يستطيع الله الابن أن يفدينَا بمعزل عن تجسُّده وعمله على الصليب، ولكن لأنَّه صار إنسانًا، فإنَّ خطَّة الله الكاملة وجميع وعوده قد تحقَّقت فيه. في المسيح وحده نحن مبرَّرون ومصالحون ونستعيد القصد من خلقِنا؛ معرفة الله الثالوث وطاعته ومحبَّته.

ابتداءً من الجملة الافتتاحية المعقَّدة، المبنيَّة حول «اَللهُ ... كَلَّمَ» (١: ١-٢)، يكشف كاتب العبرانيِّين عن مجد المسيح. وبينما يمتدُّ الكاتب إلى تاريخ الفداء، فإنَّه يذكِّرنا أنَّ الله قد تكلَّم في الأنبياء ولكنَّ الغرض النهائيَّ من هذا الإعلان يصل إلى إتمامه في ابن الله، ربِّنا يسوع المسيح. في المسيح -ابن داود الأعظم الذي هو أيضًا الربُّ- حلَّت «الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ» الموعودة وملكوت الله الذي طال انتظاره.

كيف يسوِّغ الكاتب مثل هذه الادِّعاءات المذهلة؟ إنَّه يفعل ذلك من خلال وصف هويَّة يسوع، وإعطاء عدد من التصريحات بشأن الهويَّة التي تذكِّرنا بألوهيَّة الابن وإنسانيَّته وعمله. يقول أوَّلاً إنَّ الآب «جَعَلَهُ [أي الابن] وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ» (١: ٢). يُفهم هذا التعيين على أفضل وجه على أنَّه يشير إلى عمل الابن المُتجسِّد الذي ينصِّبه عن يمين الله كملك مسيَّانيٍّ. ومع ذلك، يصرُّ المؤلِّف أيضًا على أنَّ يسوع هو الله الابن لأنَّه العامل النشِط في الخليقة، وإشراق مجد الله، «وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ [البصمة الدقيقة لطبيعته]»، وربُّ العناية الإلهيَّة (١: ٢-٣). فكلُّ تصريحات الهويَّة الأخيرة هذه هي إشارات صريحة إلى ألوهيَّة الابن. وأيضًا، مثل كولوسي ١: ١٥-٢٠، يذكِّرنا الكاتب أنَّه حتَّى بعد التجسُّد، يظلُّ الابنُ اللهَ الكاملَ ويستمرُّ في العمل كإله، كما يتَّضح من وظائفه الكونيَّة (العبرانيِّين ١: ٣). يعود الكاتب بعد ذلك إلى عمل المسيح باعتباره الابن المتجسِّد

بالتشديد على عمله كرئيس كهنة عظيم؛ وهو عمل قام به من أجلنا ولا يمكن لأيِّ إنسان (أو ملاك) أن ينجزه على الإطلاق.

ثمَّ في العبرانيِّين ٢: ٥-١٨، أنهى الكاتب حجَّته بأنَّ المسيح أسمى من الملائكة. ومن خلال القيام بذلك، فإنَّه يتصاعد بالحديث عن هويَّة يسوع باعتباره الابن الإلهيَّ وما يستطيع وحده أن يفعله لنا في تجسُّده وعمله على الصليب. فباتِّخاذ الابن لإنسانيَّتنا، أصبح هو الإنسان الممثِّل أو النائب في مزمور ٨ -آدم الأخير- والذي نتيجةً لذلك أصبح قادرًا الآن على إبطال فشل آدم الأوَّل من خلال حياته الطائعة وموته من أجلنا. ففي المسيح، قد أتى، الآن وحرفيًّا، «الدهر الآتي» الموعود به والمرتبط بالخليقة الجديدة.

يُعتَبَر هذا النصُّ مهمًّا لسببين على الأقل. أوَّلاً، يفصِّل الكاتب بطريقة موجزة قصَّةَ الكتاب المقدَّس بشكل رائع ويشرح لماذا صار الله الابن إنسانًا. وثانيًا، في شرح سبب التجسُّد، يؤسِّس الكاتب أنَّ نوع الفادي الذي نحتاجه يجب أن يكون إلهًا وإنسانًا بالكامل. يجب أن يكون إنسانًا لأنَّ الطريقة الوحيدة لاسترداد الأبناء الساقطين هي بواسطة آدم الأعظم الذي يطيع نيابةً عنَّا كرأس عهدِنا. ومع ذلك يجب أن يكون هو أيضًا الابن الإلهيُّ. وإلاَّ فلا توجد مغفرة كاملة للخطيَّة.

عندما ننتقل في الجزء الثاني إلى الصيغة الكريستولوجيَّة للكنيسة التي حدَّدها التعريف الخلقيدونيُّ، من المهمِّ أن نتذكَّر أنَّ ما تعترف به الكنيسة هو بالضبط ما يعلِّم به الكتاب المقدَّس. وبينما اعترفت الكنيسة بالمسيح، خاصَّةً في ضوء التعاليم الكاذبة عنه، أوضحت الكنيسة بحقٍّ كلَّ ما علَّم به الكتاب المقدَّس، أي أنَّ يسوع هو الربُّ والمخلِّص لأنَّه الله الابن المتجسِّد. استخدمت الصيغة الكريستولوجيَّة في وقت لاحق لغةً مختلفة لشرح من هو يسوع، لكنَّ اللغة المستخدَمة لم تكن مختلفة

عمَّا يعلِّم به الكتاب المقدَّس. علاوةً على ذلك، كانت الكنيسة حريصة للغاية في صياغتها الكريستولوجيَّة لأنَّها عرفت أنَّ ما كان على المحكِّ في النهاية هو مجد المسيح وخلاصنا. بالنسبة للمسيحيِّين، يجب ألاَّ تكون هذه نقطة ثانويَّة. فبالنظر إلى هويَّة يسوع، يجب أن يكون هو مجدنا، الآمِر المُستحقُّ لطاعتنا، والنائل ثقتنا الكاملة وتكريسنا. هناك العديد من الأشياء الجيِّدة التي يجب أن نهتمَّ بها في حياتنا ولكن ليس هناك ما هو مركزيٌّ أكثر من المعرفة الصحيحة ليسوع المسيح ربِّنا.

الجزء الثاني

الصياغة اللاهوتيَّة

تأسيس الأرثوذكسيا الكريستولوجيَّة

٥

الطريق إلى التعريف الخلقيدونيِّ للمسيح

يعلِّمنا الكتاب المقدَّس أنَّ المسيح يسوع هو الربُّ. ففي العهد القديم، نتوقَّع مجيئه. وفي الأناجيل، كان الحَبَل بيسوع فريدًا من نوعه ولكنَّه إنسان مثلنا لكن بدون خطيَّة. نعم وُلِد وكان ينمو جسديًّا وعقليًّا وروحيًّا، ومع ذلك فهو يعرف أيضًا أنَّه ابن أبيه من جهة الروح؛ يشاركه طبيعة الله ويعمل أعماله. من البداية إلى النهاية، يتدرَّج إعلان الكتاب المقدَّس من الرمز إلى التحقيق أنَّ يسوع هو الله الابن المتجسِّد.

ومع ذلك، فإنَّ أطروحة الكتاب المقدَّس عن المسيح ليست هي

نهاية التفقُّه الكريستولوجيِّ. بل في الواقع، إنَّها البداية بالنسبة للكنيسة. فبما أنَّ التفسير الكتابيَّ يقود إلى علم اللاهوت الكتابيِّ، فإنَّه يؤدِّي أيضًا إلى علم اللاهوت النظاميِّ؛ فهو «الإيمان الساعي إلى الفهم». وإذ ترغب في أن تكون مُخلِصةً لكلِّ الكتاب المقدَّس، سعت الكنيسة إلى فهم «مشورة الله الكاملة» دون ترك أيِّ شيء منها. على سبيل المثال، بالنظر إلى التمييز بين الخالق والمخلوق، كيف نفهم أن يصبح الخالق إنسانًا وينمو ويتعلَّم؟ إذا كان المسيح إلهًا كاملاً وكليَّ المعرفة، فلماذا يقول إنَّه لا يعرف أشياء معيَّنة؟ يعلِّمنا الكتاب المقدَّس أنَّ يسوع قد جُرِّب مثلنا، لكن هل كان يمكن أن يخطئ مثلنا؟ مثل هذه الأسئلة المشروعة لا يتمُّ الردُّ عليها دائمًا في آية أو اثنتين؛ بل إنَّها تتطلَّب تفكيرًا لاهوتيًّا دقيقًا وتفسيرًا لكلِّ ما يعلِّمه الكتاب المقدَّس.

هكذا تطوَّرت الصياغة الكريستولوجيَّة في الكنيسة. فمنذ نشأتها، اعترفت الكنيسة بأنَّ يسوع هو الابن الإلهيُّ المتجسِّد. ولكن في ضوء أسئلة المؤمنين، وإنكار غير المؤمنين، والطرق الخاطئة لجمع المعطيات الكتابيَّة معًا، كان من الضروريِّ للكنيسة أن تفصِّل عقيدة الكريستولوجيا وتدافع عنها وتعلنها. في الواقع، تركَّزت السنوات الخمسمئة الأولى من التفقُّه اللاهوتيِّ في تاريخ الكنيسة على الكريستولوجيا في مجالين مترابطين.

أوَّلاً، تأمَّلت الكنيسة في صياغة الثالوث. بالنظر إلى هويَّة يسوع الذاتية كالله الابن في العلاقة مع الآب والروح، كيف نتحدَّث عن تمايزهم بعضهم عن بعضٍ وعن وحدتهم المشتركة كإله واحد؟ هل الابن والروح متساويان مع الآب (باليونانيَّة: homoousios)، أم أنَّهما ذَوَا طبيعةٍ أقلّ؟ في مجمع نيقية (٣٢٥)، رفضت الكنيسة البدعة الأريوسيَّة، وهي وجهة نظرٍ روَّج لها أريوس Arius (٢٥٦-٣٣٦)، وهو شيخ في كنيسة

الإسكندريَّة، ينكر ألوهيَّة المسيح. وفي أثناء مجريات إدانة الأريوسيَّة، أوضحت الكنيسة بمزيد من الدقَّة عقيدة الثالوث كما عبَّر عنها قانون إيمان نيقية.[١]

ثانيًا، قامت الكنيسة، بناءً على عقيدة التثليث، بالتفكير أكثر في الأسئلة المشروعة حول التجسُّد، تلك الأسئلة التي نشأت من داخل الكتاب المقدَّس. فعلى الرغم من أنَّ الكنيسة رفضت إنكار الأريوسيَّة لألوهيَّة المسيح، بقيت هناك أسئلة كريستولوجيَّة أخرى. على سبيل المثال، من هو الذات القائم في التجسُّد؟ هل هو الابن السرمديُّ، أم هو اتِّحاد ذاتين (الابن والإنسان) لتكوين ذات مركَّبة؟ هل كانت طبيعة المسيح البشريَّة مجرَّد جسدٍ ماديٍّ أم جسدٍ ونفس؟ مع ظهور العديد من الآراء الخاطئة حول التجسُّد، استجابت الكنيسة بتعبير دقيق ودفاع عن يسوع الكتاب المقدَّس الحقيقيّ في مجمع خلقيدونية (٤٥١).

من المهمِّ أن نتذكَّر أنَّ الصياغات العقائديَّة للكنيسة لا تتساوى مع الكتاب المقدَّس. ومع ذلك، على مرِّ السنين، أسَّست الكنيسة إيمانًا أرثوذكسيًّا في مختبر التاريخ، ممتحنةً الأفكار للتحقُّق من أمانتها الكتابيَّة. فالصياغات العقائديَّة السابقة، وخاصَّةً تلك التي تتمتَّع بالموافقة الكاثوليكيَّة [أي بموافقة الكنيسة الجامعة]، تعمل كحاجز حماية لنا اليوم. وهذا ينطبق بالتأكيد على قانون إيمان نيقية والتعريف الخلقيدونيّ. بالتحديد لأنَّ «قوانين الإيمان» هذه تعكس بأمانة ما يعلِّمه الكتاب المقدَّس، فهي موثوقة وذات سلطة بالنسبة لنا كمعايير ثانويَّة. ومع أنَّها لا تقول كلَّ ما يمكن قوله، فنظرًا لأمانتها الكتابيَّة، تضع تلك

١ يمثِّل قانون إيمان نيقية اعترافات أوَّل مجمعين للكنيسة: نيقية (٣٢٥) والقسطنطينيَّة (٣٨١). لمعرفة المزيد عن هذه المجامع، انظر:
Lewis Ayres, *Nicaea and Its Legacy*: *An Approach to Fourth-Century Trinitarian Theology* (Oxford: Oxford University Press, 2004).

القوانين معايير لمزيد من التفكير، وإن تجاهلناها فعلينا مواجهة عواقب ذلك.

أيضًا، من الضروريِّ ملاحظة أنَّ يسوع خلقيدونية ليس تحريفًا ليسوع الكتاب المقدَّس. فغالبًا ما اتَّهم الهراطقةُ الأوائل الكنيسةَ بالابتعاد عن الكتاب المقدَّس لأنَّها استخدمت مصطلحات خارج الكتاب المقدَّس في عقيدتها. في القرن التاسع عشر، اشتهر أدولف فون هارناك Adolf von Harnack بهذه التهمة، إذ ادَّعى أنَّ اللاهوت الآبائيَّ مصابٌ «بالهلينستيَّة الحادَّة». لكنَّ هذه التهمة باطلة. لا شكَّ أنَّ الكنيسة استخدمت مصطلحات خارج الكتاب المقدَّس في عقائدها مثل الثالوث، وأقنوم (شخص)، وطبيعة، واتِّحاد أقنوميٍّ (شخصانيٍّ)، وهلمَّ جرًّا. لكنَّ الكنيسة فعلت ذلك من أجل إيصال التعاليم الكتابيَّة بشكل صحيح في مواجهة التحريفات المختلفة. بالإضافة إلى ذلك، كما اكتشفنا في الفصول السابقة، يقدِّم الكتاب المقدَّس يسوع على أنَّه الله الابن المتجسِّد، تمامًا كما يفعل قانون نيقية وخلقيدونية، على الرغم من استخدام لغة مختلفة.[٢] في الواقع، الحقيقة هي أنَّ البدعة نشأت عندما أخرج الناس يسوع من إطار لاهوت وتصانيف ومفاهيم الكتاب المقدَّس ووضعوه ضمن التصانيف الفلسفيَّة اليونانيَّة. ممَّا نتج عنه وجهات نظر وجدت صعوبة في عزو الإنسانيَّة الكاملة أو الألوهيَّة الكاملة أو كليهما إلى المسيح. ومالت هذه البدع إلى جعل يسوع شخصيَّة شِبه إلهيَّة -أي لا إلهًا حقًّا ولا إنسانًا حقًّا- وهو أمرٌ رفضته الكنيسة عن حقٍّ. وعلى الرغم من أنَّ قانون نيقية والتعريف الخلقيدونيَّ استخدما لغةً من خارج الكتاب المقدَّس، فهما يحدِّدان هويَّة يسوع من قصَّة الكتاب المقدَّس، وليس من إطار غريب. لهذا السبب، يعطينا التعريف الخلقيدونيُّ صورةً ليسوع

2 Richard Bauckham, *Jesus and the God of Israel: "God Crucified" and Other Studies on the New Testament's Christology of Divine Identity* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2008), 57–58.

في اتِّساقٍ تامٍّ مع الكتاب المقدَّس، وليس امتدادًا للفلسفة اليونانيَّة.[٣]

مع وضع هذه النقاط التمهيديَّة في مكانها الصحيح، يمكننا الآن رسم الخطوط العريضة للتطوُّر الكريستولوجيِّ في اللاهوت التاريخيِّ الذي أسَّس الأرثوذكسيا كما حدَّدتها خلقيدونية. في الواقع، المادَّة المطروحة ضخمة ومعقَّدة، لقد ناقشَت مجلَّداتٌ كاملة هذه الحقبة الحاسمة في تاريخ الكنيسة والتي لا يمكننا إلاَّ تلخيصها.[٤] ومع ذلك، فإنَّ تلخيص النقاط الرئيسيَّة ضروريٌّ لنا لكي نحدِّد ونعلن بشكل صحيح من هو يسوع اليوم. إنَّنا نقف على أكتاف العمالقة اللاهوتيِّين الذين تصارعوا مع الكتاب المقدَّس، واستبعدوا وجهات النظر الخاطئة عن المسيح، ووضعوا لنا معايير تساعدنا على التفكير بشكل صحيح بشأن المسيح يسوع ربِّنا.

بينما نمضي قدمًا، سنستخدم صورةَ طريقِ سفَرٍ. فكلُّ طريقٍ يؤدِّي إلى وجهة معيَّنة، وكلُّ طريق يحدِّد معالم السفر من خلاله. والانجراف بعيدًا جدًّا إلى أيٍّ من جانبي الطريق سيؤدِّي بالمسافر إلى الانزلاق من فوق الطريق إلى الجرف. وبالمثل، فإنَّ الطريق إلى خلقيدونية يؤدِّي إلى تأسيس إيمانٍ أرثوذكسيٍّ. من هو يسوع؟ إنَّه الله الابن الذي عاش دائمًا مع الآب والروح في الطبيعة الإلهيَّة. ولكن الآن، من أجل خلاصنا، أصبح الابن

3 Aloys Grillmeier, *Christ in Christian Tradition*, vol. 1, *From the Apostolic Age to Chalcedon (451)*, trans. John Bowden, 2nd ed. (Atlanta: John Knox, 1975), 7–9; David S. Yeago, "The New Testament and the Nicene Dogma: A Contribution to the Recovery of Theological Exegesis," in *The Theological Interpretation of Scripture: Classic and Contemporary Readings*, ed. Stephen E. Fowl (Malden, MA: Blackwell, 1997), 87–102.

٤ كمثال، انظر:

Grillmeier, *Apostolic Age to Chalcedon*; Jaroslav Pelikan, *The Emergence of the Catholic Tradition* (100–600), vol. 1 of *The Christian Tradition*: *A History of the Development of Doctrine* (Chicago: University of Chicago Press, 1971); Gerald Bray, *God Has Spoken*: *A History of Christian Theology* (Wheaton, IL: Crossway, 2014); Donald Fairbairn and Ryan M. Reeves, *The Story of Creeds and Confessions*: *Tracing the Development of the Christian Faith* (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2019).

إنسانًا، ونتيجةً لذلك، يعيش الآن في طبيعتين. بصياغتها لهذا الاستنتاج، رفضت الكنيسةُ الهرطقات المختلفة التي لم تستطع أن تفسِّر ألوهيَّة المسيح الكاملة أو إنسانيَّته الكاملة أو أنَّ الذات في كلتا الطبيعتين هو الابن السرمديُّ. فإذا تمَّ إنكار أيٍّ من هذه الحقائق الأساسيَّة أو التقليل من شأنها، فلن نعترف بعد الآن بيسوع الكتاب المقدَّس، فادينا وربِّنا الوحيد. ننتقل الآن إلى الخطوات الحاسمة التي أدَّت إلى خلقيدونية، من القرن الثاني إلى القرن الخامس.

صياغة الأرثوذكسيا التثليثيَّة النيقويَّة

لتعريف المسيح بشكل صحيح وفقًا للكتاب المقدَّس، كان على الكنيسة أوَّلاً أن تفكِّر من خلال العلاقات بين الآب والابن والروح القدس على أنَّهم إله العهد الخالق الواحد. نتج عن هذا ما يُعرف بالأرثوذكسيا التثليثيَّة المؤيِّدة لنيقية كما يمثِّلها مجمعا نيقية (٣٢٥) والقسطنطينيَّة (٣٨١). كانت هناك خطوتان مترابطتان حاسمتان في هذه العمليَّة. أوَّلاً، كان على الكنيسة إنشاء مفردات لاهوتيَّة مشتركة لفهم المعطيات الكتابيَّة. ثانيًا، كان على الكنيسة أن تستجيب لمختلف البدع التي أنكرت بعض تعاليم الكتاب المقدَّس أو فشلت في تفسير جميع المعطيات الكتابيَّة. دعونا نلقي نظرة على كلٍّ من هذه في دورها.

التمييز بين الطبيعة والشخص/الأقنوم

عندما صاغت الكنيسة الكريستولوجيا واستجابت للآراء الخاطئة، كان الإنجاز الأبرز للمجامع هو تطوير مفردات لاهوتيَّة مشتركة، وخاصَّةً التمييز بين الطبيعة والشخص/الأقنوم. يعلِّمنا الكتاب المقدَّس أنَّه لا يوجد سوى إله واحد. ومع ذلك، توجد ثالوثيَّة داخل الله: آب وابن وروح

متمايـزون. وإنـكار وحدانيـة الله أو ثالوثيَّتـه أو قـول إنَّ الثلاثـة متطابقـون هـو بمثابـة إنـكار لتعاليـم المسـيح الكتابيَّـة وامتـلاك وجهـة نظـر خاطئـة عـن الله. لكـن كيـف يمكننـا صياغـة تلـك المفاهيـم؟ مـا هـي اللغـة التـي يمكننـا أن نسـتخدمها لشـرح الكتـاب المقـدَّس دون تشـويهه؟

اختـارت الكنيسـة أن تتحـدَّث عـن وحدانيَّـة الله بلغـة «الطبيعـة» أو «الجوهـر» (باليونانيَّـة: ousia؛ باللاتينيَّـة: essentia) وثالوثيَّـة الله بلغـة «الشـخص/الأقنوم» (باليونانيَّـة: hypostasis؛ باللاتينيَّـة: persona). ولكـن حتَّـى اعتمـاد هـذه المفـردات على نطـاق واسـع اسـتغرق وقتًـا إذ كانـت تلـك الكلمـات مترادفـة فـي الفكـر اليونانـيِّ. ولـم يتـمَّ تمييـز الكلمـات مـن الناحيـة المفاهيميَّـة مـن قبـل الكنيسـة حتـى منتصـف القـرن الرابـع. وهـذا دليـل على أنَّ الكنيسـة وجـدت أنَّـه مـن الضـروريِّ اختيـار لغـةٍ نابعـة مـن ثقافتهـا لكـن مـع تفسـير معانـي تلـك اللغـة بمـا يتوافـق مـع التعاليـم الكتابيَّـة.

ولكـن مـا هـو المحتـوى الفوقطبيعـيُّ الـذي ننسـبه إلـى هـذه الكلمـات؟ «الطبيعـة» هـي ماهيَّـة الشـيء، أو على حـدِّ تعبيـر هِرمـان بافِنـك Herman Bavinck، «هـي تلـك التـي بهـا يكـون الشـيء مـا هـو عليـه.»[٥] إنَّ الحديـث عن طبيعـة الله يعنـي وصـف ما هو الله على أنَّـه الخالق والـربُّ، المتمايز عن خلقِه والمكتفـي ذاتيًـا مـن حيـث صفاتـه. تاريخيًـا، تحـدَّث اللاهوتيُّـون عـن صفـات الله على أنَّهـا ذاتيَّـة Essential بالنسـبة لـه [أي مـن جوهـر ذاتـه]، بالمقابلـة مـع مـا هـو حـادثٌ Accidental. أي أنَّ الله يقتنـي صفاتـه بشـكلٍ محتـوم؛ لا يسـتطيع أن يتنحَّـى عـن صفاتـه أو يفقدهـا ويظـلُّ هـو الله. وهكـذا، فـإنَّ طبيعـة الله بسـيطة [ليـس فيهـا تركيـب مـن أكثـر مـن عنصـر]، غيـر محـدودة، سـرمديَّة، غيـر ماديَّـة، كليُّ القـدرة، كليُّ العلـم، كليُّ الوجـود، ومـا إلـى ذلك؛ وهـو بالضـرورة كذلـك. اليوم، يتحـدَّث البعض عـن الصفات الإلهيَّـة في إطار

5 Herman Bavinck, *Sin and Salvation in Christ*, vol. 3 of *Reformed Dogmatics*, ed. John Bolt, trans. John Vriend (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2006), 306.

الفكـر الماهـويِّ Essentialism.[٦] إذ يميِّـز مذهب الماهويَّة بيـن الصفات الذاتيَّة والحادثـة. الصفـات الذاتيَّـة هـي صفات يمتلكهـا الله بالحتميَّة، أي مـا لديه في كلِّ عالَـمٍ ممكـن (علـى سـبيل المثـال، اللانهائيَّة، الخلـود، القيُّوميَّة، البسـاطة، عـدم التغيُّـر، العظمـة الهائلـة، القداسـة، الثالوثيَّـة). أمَّـا الصفـات الحادثـة فهـي صفـات يمتلكهـا الله ولكـن ليـس فـي كلِّ عالمٍ ممكـن (على سـبيل المثال، الخالـق، الفـادي، الحافـظ، لأنَّ الله اختـار أن يتَّصـف بهـذه الأشـياء، مرتبطًـا بقـراره الحـرِّ بالخلـق، والعنايـة، والفداء). فـي الماضي، كان يُنظـر إلى الصفات الحادثـة مـن منظـور أعمـال الله الخارجيَّة. لكن أيًّـا كانت الطريقة التـي نفكِّر بها فـي صفـات الله (علـى الرغـم مـن أنَّني أفضِّـل التحدُّث عـن الصفـات الذاتيَّة)، فـإنَّ مناقشـة طبيعـة الله (أو طبيعـة أيِّ شـيء) هـي وصـف ماهيَّـة الشـيء.

مـا هـو «الشـخص/الأقنوم»؟ قبـل أن نجيـب، مـن المهـمِّ أن نلاحـظ أنَّ الاسـتخدام اللاهوتـيَّ لكلمة «شـخص» فـي الصيغـة الثالوثيَّة والكريسـتولوجيَّة يختلـف عـن الاسـتخدام المعاصـر. فاليـوم، عندمـا نتحـدَّث عـن شـخصٍ مـا، فإنَّنـا نتحـدَّث عـن فـردٍ كامـل أو عـن سـمات شـخصيَّة لشـخصٍ مـا، أو نسـتخدمها كمـرادف لـروح المـرء. لكن في اللاهـوت الثالوثيِّ، لا تُسـتخدَم كلمة «الشـخص» بهـذه الطـرق. بـدلاً مـن ذلـك، الشـخص هو إجابـة سـؤال «مَن»، أو الـذات القائمـة فـي الطبيعـة، غيـر القابـل للاختـزال فـي الطبيعـة. لا يمكـن فصـل الشـخص عـن الطبيعـة، ولكـن كمـا يقـول بافِنـك، الشـخص هـو «ذاتٌ فاعـلٌ يفعـل الأشـياء ولـه تحدث الأشـياء»؛[٧] الشـخص هو الـذات القائمة الذي

٦ لمناقشة طرق التفكير لدى القرون الوسطى والإصلاح فيما يتعلَّق بالصفات الإلهيَّة، انظر:
Richard A. Muller, *The Divine Essence and Attributes*, vol. 3 of *Post-Reformation Reformed Dogmatics* (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2003).

للاطِّلاع على مناقشة عن الماهويَّة، انظر:
Jay Wesley Richards, *The Untamed God: A Philosophical Exploration of Divine Perfection, Simplicity, and Immutability* (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2003).

7 Bavinck, *Sin and Salvation in Christ*, 306.

يتصرَّف ويعيش من خلال الطبيعة.[٨] في وقت لاحق، قام جون كالفن John Calvin، بالبناء على ما وصل إليه الآخرون، بتعريف الشخص/الأقنوم الإلهيِّ بأنَّه «قوام في جوهر الله، والذي، على الرغم من ارتباطه بالآخرين، يمكن تمييزه بخواصٍّ لا يمكن تشاركها مع آخرين»؛[٩] أي خواصٍّ غير قابلة للتشارُك تتعلَّق بشكل فريد بالآب والابن والروح.[١٠]

مع تطوُّر التمييز بين الطبيعة والشخص في اللاهوت الثالوثيِّ، علَّمَت الكنيسة أنَّ الآب والابن والروح هم ثلاثة أقانيم إلهيُّون يشتركون بشكل متساوٍ وكامل في الطبيعة الإلهيَّة الواحدة (باليونانيَّة: homoousios، «ذو جوهر واحد» أو «ذو طبيعة واحدة»). في الكريستولوجيا، أكَّدت الكنيسة أنَّ يسوع هو شخص واحد -الابن الإلهيُّ- الذي، نتيجةً للتجسُّد، يعيش الآن في طبيعتين وقادر على العيش والعمل من خلال كلتا الطبيعتين. وعلى الرغم من أنَّ الكنيسة افترضت نوعًا من التمييز بين الطبيعة والشخص/الأقنوم منذ البداية، فقد استغرق الأمر وقتًا للوصول إلى الوضوح المفاهيميِّ. في الواقع، حتَّى اليوم، فإنَّ العديد من المناقشات الثالوثيَّة وأشكالٌ من الكريستولوجيا الإخلائيَّة تثير مفاهيم مختلفة عن هذا التمييز، وهي نقطة نعود إليها في الفصول ٦-٧.

الأرثوذكسيا الثالوثيَّة في مقابل البدع المختلفة

بينما تصارع الكنيسة لفهم وحدانيَّة الله وتنوُّعه، تمَّ رفض عددٍ من

٨ إنَّ تعريف بوثيوس Boethius قياسيٌّ هنا: «الشخص هو جوهر فردي ذو طبيعة عقلانيَّة»، مذكور في: Gilles Emery, "The Dignity of Being a Substance: Person, Subsistence, and Nature," *Nova et Vetera* 9, no. 4 (2011): 994.

9 John Calvin, *Institutes of the Christian Religion*, ed. John T. McNeill, trans. Ford Lewis Battles (Philadelphia: Westminster, 1960), 1.13.6.

١٠ بما أنَّ الأشخاص الإلهيِّين يشتركون في الطبيعة الإلهيَّة بشكلٍ متطابق، فلا يمكن تمييزهم بصفات إلهيَّة. بدلًا من ذلك، يتميّز الأشخاص الإلهيُّون بعلاقاتهم السرمديَّة والداخليَّة (باللاتينيَّة: ad intra) غير القابلة للتشارك، وهي (الانبثاقات الإلهيَّة): عدم المولوديَّة (الآب)، والولادة السرمديَّة (الابن)، والانبثاق السرمديّ (الروح).

الآراء الخاطئة، بما في ذلك رأيين مرتبطين بالمونارخيانيَّة Monarchianism.[١١] أكَّدت المونارخيانيَّة عن حقٍّ على وحدانيَّة الله (monos، «واحد»؛ archos، «الحاكم، المصدر»)، لكنَّها أنكرت الألوهة المتساوية للابن (والروح).

استبعد أحدُ أشكال المونارخيانيَّة ألوهيَّةَ المسيح مناديًا ببدعة التبنِّي. من وجهة النظر هذه، كان يسوع مجرَّد إنسان، وليس الابن السرمديَّ الذي صار جسدًا. وبسبب حياة يسوع الأخلاقيَّة النموذجيَّة، فعند معموديَّته، «تمَّ تأليهه» أو «تبنِّيه» ليكون ابنًا لله من خلال الكلمة التي أتت عليه ومكَّنته من القيام بأعمال معجزيَّة. من وجهة نظر بدعة التبنِّي، فإنَّ الكلمة ليس شخصًا متمايزًا عن الآب ولكنَّه يعمل بقوَّة على الإنسان يسوع. ولأنَّ الله لا يمكنه أن يتألَّم، فقد فارق الكلمةُ يسوعَ قبل موته على الصليب، ومن هنا جاء صراخ يسوع بتخلِّي الله عنه. طرح هذا الرأي بولس من ساموساتا Paul of Samosata (حوالي ٢٠٠-٢٧٥)، وعلى الرغم من رفض الكنيسة في القرن الثالث، فقد تمَّ تدريسه على مدى ألف عام من قبل السوسينيانيِّين والتوحيديِّين، واليوم العديد من اللاهوتيِّين الليبراليِّين وما بعد الحداثيِّين يتبنُّونه في الكريستولوجيا.[١٢]

استبعدت المونارخيانيَّة أيضًا ألوهيَّة الابن بإنكار تمايزه الشخصيِّ عن الآب، كما تمثِّله البدعة الشكلانيَّة (أو الموداليَّة/السابليَّة). أكَّدت الشكلانيَّة وحدانيَّة الله، لكنَّها أنكرت أنَّ الآب والابن والروح كأشخاصٍ متمايزين يشتركون تمامًا في الطبيعة الإلهيَّة. بدلاً من ذلك، فهذه الأسماء الأقنوميَّة ليست سوى «أشكال» للإله الواحد الذي يظهر بأشكال مختلفة

١١ للمزيد عن المونارخيانيَّة، انظر:
Harold O. J. Brown, *Heresies*: *The Image of Christ in the Mirror of Heresy and Orthodoxy from the Apostles to the Present* (Garden City, NY: Doubleday, 1984), 95–103; J. N. D. Kelly, *Early Christian Doctrines*, 5th ed. (London: A&C Black, 1977), 115–23.

١٢ كمثال، انظر:
the writings of Friedrich Schleiermacher, Albrecht Ritschl, and John A. T. Robinson; see also John Hick, ed., *The Myth of God Incarnate* (Philadelphia: Westminster, 1977).

في التاريخ، وبالتالي تختزل البدعةُ «الشخص» إلى «الطبيعة» وينتهي بها الأمر إلى بدعة التوحيد [إنكار الثالوث]. يلاحظ هارولد براون Harold O. J. Brown أنَّ أحد الآثار الكارثيَّة هو أنَّ «أحداث التاريخ الافتدائيِّ [أصبحت] نوعًا من التمثيليَّة. فإن لم يكن الابن شخصًا متمايزًا، فلا يمكن أن يمثِّلنا حقًّا أمام الآب،»[١٣] ولا أن يحقِّق كفَّارةً بدليَّة عنَّا.[١٤] الشكلانيَّة أيضًا هي دوسيتيَّةٌ بالضرورة؛ أي ذاك الفكر القائل بأنَّ المسيح ظهر فقط ليكون إنسانًا، اللهمَّ إن لم يجادل أحدهم أنَّ الآب هو الذي تألَّم على الصليب (بدعة تألُّم الآب Patripassianism)، لأنَّ الابن في الواقع لا يختلف عن الآب.

انحرفت هاتان النظرتان المونارخيانيَّتان عن الطريق الكريستولوجيِّ إلى الجرف الهرطوقيِّ. فقد علَّمتا بوحدانيَّة الله لكنَّهما أنكرتا أنَّ الابن المتمايز هو الله. فقد كان يسوع إمَّا إنسانًا ذا قوَّة وتمكين أو مجرَّد إحدى إظهارات الله، ولكنَّه بالتأكيد لم يكن هو الله الابن المتجسِّد.

إلى حدٍّ بعيد، كانت الهرطقة الأكثر أهميَّة هي الأريوسيَّة، وهي وجهة نظر قام بتدريسها أريوس، قسُّ الإسكندريَّة، ثمَّ روَّج لها آخرون ممَّن جادلوا بموقفٍ مماثل.[١٥] تمَّت إدانة تلك الهرطقة في مجمَعَي نيقية (٣٢٥) والقسطنطينيَّة (٣٨١)، هذا بالرغم من استمرار تأثيرها حتَّى اليوم، بين شهود يهوه على سبيل المثال. مع ذلك، وعلى الرغم من طبيعتها الخطيرة، فقد ساعدت الأريوسيَّة الكنيسة على تعريف الأرثوذكسيا

13 Brown, *Heresies*, 99.

14 Brown, *Heresies*, 100.

١٥ للمزيد من المناقشة عن آريوس والآريوسيَّة، انظر:
Ayres, *Nicaea and Its Legacy*; Michel R. Barnes and Daniel H. Williams, eds., *Arianism after Arius: Essays on the Development of the Fourth Century Trinitarian Conflicts* (Edinburgh: T&T Clark, 1994); R. P. C. Hanson, *The Search for the Christian Doctrine of God: The Arian Controversy,* 318–381 (Edinburgh: T&T Clark, 1988).

الثالوثيَّـة والكريسـتولوجيَّة.

تُعلِّـم الأريوسـيَّة أنَّ وحدانيَّـة الله تجعـل مـن المسـتحيل علـى الله أن يشـارك كيانـه مـع شـخص آخـر.[١٦] ومـع ذلـك، علـى عكـس الشـكلانيَّة، فإنَّهـا تؤكِّـد علـى التمايـز بيـن الآب والابـن، لكنَّهـا تفعـل ذلـك باختـزال الابـن إلـى مجـرَّد مخلـوق. بالنسـبة لأريـوس، الآب وحـده هـو السـرمديُّ. وهكـذا، كانـت للابـن بدايـة؛ «كان هنـاك وقـت لـم يكـن فيـه الابـن موجـودًا». علـى غـرار بقيَّـة الخليقـة، كان الابـن «مولـودًا» مـن الله (وهـو مـا يعنـي بالنسـبة لأريـوس أنَّـه كان «مخلوقًـا»)، ومـع ذلـك فهـو بكـر الزمـان وأعلـى المخلوقات. بالنظـر إلـى سـموِّ الله المطلـق، كان علـى الله، حتَّـى يقـوم بالخلـق، أن يخلـق أوَّلاً كائنًـا روحيًّـا يمكـن أن يكـون بمثابـة نـوع مـن الإلـه الأفلاطونـيِّ الصانـع Platonic demiurge[١٧] (أو الإلـه التابـع). هـذا هـو الابـن. إنَّـه «حكمـة» الله أو «صورتـه» أو «كلمتـه»، ولكـن فقـط بالنعمـة والمشـاركة كمخلـوق، ليـس لأنَّـه الابـن الإلهـيُّ الـذي يتشـارك الطبيعـة الإلهيَّـة مـع الآب والـروح بشـكل كامـل.[١٨]

مـن وجهـة نظـر الأريوسـية، فـإنَّ المسـيح هـو المخلـوق الكامـل و«مخلِّصنـا»، لكنَّـه أعظـم منَّـا مـن الناحيـة النوعيَّـة فقـط. ويسـوع، كمخلـوق، ينمـو فـي التزامـه بالخيـر، وبالتالـي يخـدم كمثـال لكيفيَّـة بلـوغ الكمـال وتشـارك الألوهيَّـة كمـا فعـل هـو. لكنَّـه ليـس الابـن الإلهـيَّ الـذي صـار بشـرًا ومسـتحقًّا لثقتنـا وقـادرًا علـى تلبيـة مُطالبـات الله البـارَّة نيابـةً عنَّـا. فـي الحقيقـة، تتركنـا الأريوسـيَّة مـع «خـلاصٍ» لـم يتحقَّـق مـن قِبَـل الله بـل مـن خـلال الإنجـاز البشـريِّ. فيسـوع ببسـاطة هـو مخلـوق، وشـخصيَّة وسـيطة -إلـه أقـلُّ منزلـة مـن الآب- وهـو وكيـل الله فـي الخلـق ولكنَّـه قابـل

16 Grillmeier, *Apostolic Age to Chalcedon*, 219–28; Brown, *Heresies*, 104–16.

١٧ فـي الفكـر الأفلاطونـيِّ، هـو كائـن مـن ألوهـة أدنـى أوكَلَـت إليـه الآلهـة العُليـا مهمَّـة خلـق الكـون، ويسـمَّى أيضًـا «مبـدع الكـون»؛ (المُتَرجِـم).

18 Grillmeier, *Apostolic Age to Chalcedon*, 227–32.

للتغيُّـر، وغيـر كامـل فـي معرفتـه، ولا يسـتحقُّ عبادتنـا. تنكـر الأريوسـيَّة اللهَ مسـيحَ الكتـاب المقـدَّس وينتهـي بهـا الأمـر فـي الجـرف ذاتـه. ولا عجـب أنَّ الكنيسـة وجـدت أنَّـه مـن الضـروريِّ معالجـة الأريوسـيَّة وجهـاً لوجـه، وهـو مـا فعلتـه فـي نيقيـة.

مجمع نيقية (٣٢٥)

دعـا الإمبراطـور الرومانـيُّ قسـطنطين ٣١٨ أسـقفًا إلـى التجمُّـع فـي نيقيـة للتعامـل مـع التحـدِّي المتزايـد للأريوسـيَّة. قـدَّم الأريوسـيُّون بيانًـا نفـوا فيـه ألوهيَّـة المسـيح، لكـنَّ الغالبيَّـة العظمـى مـن الأسـاقفة رفضـوا الأريوسـيَّة، معتبرينهـا هرطقـة. كان اهتمـام المجمـع هـو الاعتـراف بالإيمـان بإلـه واحـد، الآب الحقيقـيِّ وابنـه، اللذيـن يتشـاركان الطبيعـة الإلهيَّـة بالكامـل. لـم يُقَـل الكثيـر عـن الـروح القـدس. وهـو مـا أُثيـر لاحقًـا فـي القسـطنطينيَّة (٣٨١)، حيـث تـمَّ ذكـر العقيـدة الثالوثيَّـة بشـكل كامـل. ينـصُّ قانـون إيمـان نيقيـة فـي نسـخة ٣٨١ علـى مـا يلـي:

> نؤمـن بإلـه واحـد، الآب القديـر، صانـع السـماء والأرض، وكلِّ مـا يـرى ومـا لا يـرى.
>
> وبـربٍّ واحـد يسـوع المسـيح، ابـن الله الوحيـد، المولـود مـن الآب قبـل كلِّ العوالـم، نـور مـن نـور، إلـه حـقّ مـن إلـه حـقّ، مولـود، غيـر مخلـوق، كونـه مـن جوهـر واحـد [homoousion] مـع الآب. الـذي بـه صُنِـعَ كلُّ شـيء. الـذي مـن أجلنـا نحـن البشـر، ومـن أجـل خلاصنـا، نـزل مـن السـماء، وتجسَّـد بالـروح القـدس مـن العـذراء مريـم، وصـار إنسـانًا. وصُلـبَ عنَّـا علـى يـد بيلاطـس البنطـيِّ، وتألَّـم ودُفـن، وفـي اليـوم الثالـث قـام ثانيـةً، حسـب الكتـب المقدَّسـة، وصعـد إلـى السـماء وجلـس عـن يميـن الآب. ومـن هنـاك يعـود بمجـدٍ ليديـن

الأحياء والأموات. الذي ليس لملكه انقضاء.

وبالروح القدس، الربّ واهب الحياة، المنبثق من الآب، المعبود/المسجود له والمُمَجَّد مع الآب والابن، الذي تكلَّم بواسطة الأنبياء.

وبكنيسة واحدة مقدَّسة جامعة رسوليَّة. نعترف بمعموديَّة واحدة لمغفرة الخطايا. وننتظر قيامة الأموات وحياة العالم الآتي. آمين.[١٩]

لا يعطينا قانون إيمان نيقية الأرثوذكسيا الثالوثيَّة فحسب، بل يؤكِّد أيضًا على ثلاث حقائق أساسيَّة تعترف بمجد المسيح وتفرُّده وحصريَّته باعتباره الله الابن المتجسِّد. أوَّلاً، إنَّ أهمَّ تعليم لنيقية هو ذلك المتعلِّق بألوهيَّة الابن الكاملة؛ وهو أمر اعترفت به الكنيسة دائمًا ولكنَّ الأريوسيَّة رفضته. يأتي التعليم بهذا الإقرار واضحًا في عبارة أنَّ الابن «من جوهر واحد [باليونانيَّة: homoousion] مع الآب». الابن ليس مجرَّد «من الله». فهذا ينطبق على جميع المخلوقات. بدلاً من ذلك، فإنَّ طبيعة الابن (باليونانيَّة: ousia) مطابقة لطبيعة الآب؛ فالابن هو «نور من نور، إله حقّ من إله حقّ.»[٢٠]

ثانيًا، يؤكِّد قانون الإيمان أيضًا على التمايز الشخصيِّ/الأقنوميِّ السرمديِّ للابن عن الآب. فبما أنَّ الآب والابن والروح يشتركون في نفس الطبيعة، كيف يتمُّ تمييزهم إذًا؟ لا يمكننا تمييزهم بالصفات الإلهيَّة لأنَّهم يتشاركونها بشكلٍ متساوٍ وكامل. الطريقة الوحيدة التي يمكننا من خلالها التمييز بين الأقانيم الإلهيِّين هي من خلال علاقاتهم الشخصيَّة/الأقنوميَّة، والتي يعلِّم بها قانون الإيمان بعبارة «مولود من الآب». تشير

١٩ مذكور في:
Philip Schaff, ed., *The Creeds of Christendom*, 6th ed. (Grand Rapids, MI: Baker, 1990), 1:28–29.

20 Athanasius, *De decritis* 5.19–21, in *Nicene and Post-Nicene Fathers*, 2nd ser., ed. Philip Schaff and Henry Wace (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1991), 4:162–64.

هـذه العبـارة إلـى العلاقـات الأبديَّـة بيـن شـخصَي/أقنومَي الآب والابـن (والمعروفـة أيضًـا باسـم علاقـات الأصـل السـرمديَّة أو الانبثاقـات الإلهيَّـة) التـي تنعكـس فـي ترتيـب معيَّـن (باليونانيَّـة: taxis) بينهمـا. فـالآب كآب هـو «غيـر مولـود» وهـو بالضـرورة يلـد الابـن سـرمديًّا. والابـن كابـن هـو دائمًـا مـن الآب، وبالتالـي ليـس هـو الآب. والـروح كـروح ينبثـق دائمًـا مـن الآب والابـن. هنـاك إذًا داخـل الله (باللاتينيَّـة: ad intra) علاقـات سـرمديَّة وضروريَّـة وفـي اتجـاه واحـد بيـن الأقانيـم، وهـذه العلاقـات هـي التـي تميِّـز الأشـخاص الإلهيِّيـن وتؤكِّـد علـى الألوهـة المشـتركة الكاملـة للأشـخاص الإلهيِّيـن. عـلاوةً علـى ذلـك، بينمـا يعمـل الله الثالـوث «خـارج نفسـه» (باللاتينيَّـة: ad extra) فـي الخلـق والإعـلان والفـداء، كذلـك يتصـرَّف الأشـخاص الثلاثـة بشـكلٍ لا ينفصـل وكإلـه واحـد ولكـن وفقًـا لعلاقاتهـم الأقنوميَّـة؛ ومـن ثـمَّ يعمـل الآب دائمًـا فـي الابـن ومـن خلالـه وبالـروح. وإذ قـام اللاهوتيُّـون لاحقًـا بتفصيـل عامِليَّـة الثالـوث، فقـد سـاعدوا بذلـك فـي فهـم الكثيـر مـن المعطيـات الكتابيَّـة المتعلِّقـة بالتجسُّـد.

ثالثًـا، يحـدِّد قانـون نيقيـة عـن حـقِّ سـببَ التجسُّـد فـي خطَّـة الله لفدائنـا. فهـو يتكلَّـم عـن تجسُّـد المسـيح وعملـه «مـن أجلنـا ومـن أجـل خلاصنـا»، ممَّـا يذكِّرنـا بـأنَّ الغـرض الخلاصـيَّ للتجسُّـد هـو الأسـاس للتعـرُّف علـى المسـيح بشـكل صحيـح. كانـت الكنيسـة مهتمَّـة بإصـلاح الكريسـتولوجيا لأنَّ الآراء الخاطئـة عـن يسـوع تسـلبنا فـي النهايـة نـوع الـربِّ والمخلِّـص الـذي نحتاجـه.

من قانون إيمان نيقية
إلى التعريف الخلقيدونيِّ

بعـد رفـض الأريوسـيَّة وتأسـيس الأرثوذكسـيا الثالوثيَّـة، حوَّلـت الكنيسـة

انتباهها إلى المزيد من الأسئلة التي نشأت بشأن طبيعة التجسُّد. وإذ تَفَكَّر الناس في الحقيقة العميقة التي مفادها أنَّ «الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا» (يوحنَّا ١: ١٤)، انحرفت بعض الصيغ إلى جرف المساومة على ناسوت المسيح، مثل (الأبوليناريَّة Apollinarianism)، أو إبطال وحدة المسيح في شخصه (النسطوريَّة Nestorianism)، أو مجرَّد إسقاط التمايز بين الخالق والمخلوق في الابن المتجسِّد (مذهب الطبيعة الواحدة Monophysitism). وبينما أخذت الكنيسة على عاتقها أن تردَّ على هذه الطرق الخاطئة في صياغة التجسُّد، اكتسبت الكنيسة مزيدًا من الوضوح والدقَّة في المفاهيم، ممَّا أدَّى إلى خلقيدونية. دعونا نلقي نظرة على كلٍّ من هذه الآراء قبل أن ننتقل إلى لاهوت التعريف الخلقيدونيِّ.

الأبوليناريَّة

الأبوليناريَّة هي وجهة النظر المنسوبة إلى أبوليناريوس Apollinarius (حوالي ٣١٠-٣٩٠)، وهو معارض قويٌّ للأريوسيَّة وصديق جيِّد لأثناسيوس Athanasius. ولكن نظرًا إلى وجهة نظر أبوليناريوس المعيبة لطبيعة المسيح البشريَّة، فقد عارضه فيما بعد أثناسيوس وثلاثة من اللاهوتيِّين الكبادوكيِّين (باسيليوس القيصريُّ Basil of Caesarea، وغريغوريوس النيصيُّ Gregory of Nyssa، وغريغوريوس النزينزيُّ Gregory of Nazianzus). كما تمَّ رفض وجهة نظره من قِبَل العديد من المجامع الكنسيَّة ولكن أهمَّها مجمع القسطنطينيَّة (٣٨١).

مثَّلَت وجهة نظر أبوليناريوس فهمًا في إطار «الكلمة-الجسد»، خلافًا لوجهة نظر «الكلمة-الإنسان» التي تبنَّتها العقيدة الخلقيدونيَّة. أصرَّت وجهة نظر «الكلمة-الجسد» على أنَّه في التجسُّد، فإنَّ الابن الإلهيَّ (الكلمة) حلَّ محلَّ الروح البشريَّة واتَّخذ فقط جسدًا بشريًّا (جسمًا

بشريًّا)، ممَّا أدَّى إلى طبيعة بشريَّة غير كاملة.[٢١] بالنسبة لأبوليناريوس، يوجد في المسيح اتِّحاد جوهري بين عنصر سماويٍّ واحد (الكلمة) وعنصر أرضيٍّ واحد (الجسد البشريُّ)، ممَّا ينتج عنه طبيعة واحدة؛ وهو نوع من الاتِّحاد المركَّب بين الكلمة الإلهيَّة والجسد البشريِّ الذي يشكِّل الفرد الراشد الذي نعرفه باسم يسوع. مع ذلك، بالنسبة لأبوليناريوس، فإنَّ الكلمة الإلهيَّ هو المُسيطر، لذلك في المسيح، فإنَّ الكلمة الإلهيَّ هو الذي يوجِّه الجسد ويبثُّ فيه القوَّة، وهذا بالتالي يقوِّض حقيقة أفعال يسوع البشريَّة وإرادته ومعرفته.[٢٢] لكن كما اعترفت الكنيسة لاحقًا، فإنَّ أبوليناريوس، بإنكاره أنَّ طبيعة المسيح البشريَّة تشمل روحًا بشرية، واجه صعوبة في فهم كيف كانت لدى يسوع نفس بشريَّة كاملة، بما في ذلك أشياء مثل العقل والإرادة والفكر والعواطف. على النقيض من ذلك، حاججت وجهة نظر «الكلمة-الإنسان» بأنَّه في التجسُّد، وحَّد الابن نفسه مع طبيعة بشريَّة كاملة -جسدًا ونفسًا- وبالتالي كانت لدى يسوع نفس بشريَّة كاملة، بما في ذلك نشاط المعرفة والإرادة كإنسان.

هناك ملاحظة تاريخيَّة: ربطَ الكثيرون هذه الآراء بالمدارس اللاهوتيَّة المتنافسة في الكنيسة الأولى -أي «الكلمة-الجسد» بمدرسة الإسكندرية و«الكلمة-الإنسان» بمدرسة أنطاكية- ثُمَّ جادلوا بأنَّ التعريف الخلقيدونيَّ هو تجميع لهاتين المدرستين. لكن لعددٍ من الأسباب، فإنَّ إعادة البناء التاريخيِّ هذا غير صحيحة.[٢٣] بدلًا من ذلك، ومع مرور الوقت، أدركت الكنيسة أنَّ وجهة نظر «الكلمة-الإنسان» صحيحة لأنَّ وجهة نظر «الكلمة-

٢١ من الناحية الفنيَّة الدقيقة، كان أبوليناريوس يتبع وجهة النظر القائلة بالتقسيم الثلاثيِّ للإنسان، حيث علَّم أنَّ البشر يتكوَّنون من ثلاثة أجزاء: الجسد والنفس والروح. وفي التجسُّد، حلَّ الكلمة الإلهيُّ محلَّ الروح البشريَّة (باليونانيَّة:nous ، pneuma)، ممَّا جعلها مختلفة عن روحنا.

22 Grillmeier, *Apostolic Age to Chalcedon*, 333; cf. Brown, *Heresies*, 164.

23 Aaron Riches, *Ecce Homo: On the Divine Unity of Christ* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2016), 21–87.

الجسد» ستحرمنا في النهاية من نوع الفادي الذي نحتاجه؛ الشخص الذي سيمارس الطاعة كإنسان نيابةً عنّا.

في الواقع، ساعدت الجدليَّة الأبوليناريَّة الكنيسةَ على فهم هذه النقطة. لهذا السبب، رفضت الكنيسة البدعة الأبوليناريَّة بشدَّة على أسس سوتيريولوجيَّة [متعلِّقة بالخلاص] ورفضت معها جميع آراء وجهة نظر «الكلمة-الجسد». إذ لا يمكن للمسيح أن يمثِّلنا ويفدينا إذا لم يكن بشرًا كاملاً. ذكر غريغوريوس النزينزيُّ هذه النقطة بشكل جيِّد حين قال: «ما لا يُقتَنَى لا يُشفَى.»[٢٤] فلكي يعمل المسيح كرأس العهد المُمَثِّل لنا، يجب أن يتَّخذ طبيعة بشريَّة كاملة، جسدًا وروحًا؛ وإلاَّ فإنَّ فداءنا سيكون غير مكتمل. رسمت الكنيسة حدًّا فاصلاً بخصوص هذه النقطة: إنَّ الكريستولوجيا الصحيحة ضروريَّة للسوتيريولوجيا [علم الخلاص] الصحيحة، ولكي يقوم الفادي فعليًّا بالفداء، يجب أن يكون إلهًا كاملاً وإنسانًا كاملاً.

النسطوريَّة

ترتبط النسطوريَّة بنسطور Nestorius (حوالي ٣٨٦-٤٥١)، رئيس أساقفة القسطنطينيَّة (٤٢٨-٤٣١)، والذي أُدين في مجمع أفسس (٤٣١).

تُعرَّف النسطوريَّة من خلال وجهة نظر «الكلمة-الإنسان» للتجسُّد، ومع ذلك فإنَّها تفشل في تفسير وحدة شخص المسيح. النسطوريَّة تصرُّ على إنسانيَّة المسيح الكاملة، بعكس أبوليناريوس. ومع ذلك، فإنَّها تترك شخص المسيح بلا تفسير، وكيف اتَّحدت الطبيعتان فيه، وما إذا كانت هناك ذات واحدة فقط في المسيح، ألا وهو الابن الإلهيُّ. كان رأي نسطور أنَّ شخص المسيح هو «اتِّحاد» في المظهر الخارجيِّ فقط،

24 Gregory of Nazianzus, "To Cledonius the Priest against Apollinarius," in *Christology of the Later Fathers*, ed. Edward R. Hardy, Library of Christian Classics (Philadelphia: Westminster, 1954), 218.

مركَّب من «ذاتين لشخصين (الكلمة والإنسان)».[٢٥] ممَّا يستلزم وجود شخصيَّتين في المسيح.

يوضِّح دونالد فيربيرن Donald Fairbairn وجهة نظر نسطور من خلال مقارنتها بـ «شركة مكوَّنة من شريكين، أحدهما لم يُرَ فعليًّا ولكن تأثيره محسوس باستمرار في جميع قرارات الشركة. أمَّا الشريك المرئيُّ فهو مشبَّه بالإنسان يسوع، لكنَّ الكلمة هو الذي يقف وراء القرارات المهمَّة في حياة ذلك الإنسان».[٢٦] و«تشير كلمات مثل ‹المسيح› و‹الابن› و‹الربّ› إلى الوحدة المُجمَّعة التي أوجدها التعاون بين الاثنين. والوحدة هنا هي وحدة دلاليَّة لأنَّ الاسم الواحد ‹المسيح› يدلُّ على الشريكين معًا، لكنَّ المركز الشخصيَّ الفعليَّ لكينونة المسيح، في هذا الفهم، هو الإنسان يسوع نفسه».[٢٧]

إنَّ الآثار المترتِّبة على النسطوريَّة خطيرة. وليس من الغريب أنَّ الكنيسة رفضتها. أوَّلاً، نظرًا لوجود شخصين في المسيح، وبالنظر إلى أنَّ الكلمة لا يمكن أن يتألَّم أو يموت، لا يمكن للكلمة أن يشارك في الأحداث البشريَّة لحياة المسيح، بل يقف فقط في الخلفيَّة. هذا التمييز الحادُّ بين ألوهيَّة المسيح وإنسانيَّته دفع نسطور إلى أن ينظر إلى إنسانيَّة المسيح كما لو كانت ذاتًا أو إنسانًا مستقلاً، ممَّا يفتح الباب أمام بدعة التبنِّي.[٢٨] لكنَّ الكتاب المقدَّس لا يعلِّمنا أنَّ طبيعة المسيح البشريَّة هي شخص مستقلٌّ يتصرَّف بالتنسيق مع الكلمة الإلهيِّ. بدلاً من ذلك، يعلِّم الكتاب المقدَّس أنَّ هناك شخصًا واحدًا، الابن الإلهيَّ، الذي يعمل

25 Donald Fairbairn, *Grace and Christology in the Early Church*, Oxford Early Christian Studies (Oxford: Oxford University Press, 2003), 21.

26 Fairbairn, *Grace and Christology*, 22–23.

27 Fairbairn, *Grace and Christology*, 23.

28 Fairbairn, *Grace and Christology*, 44–55.

كـذاتٍ موحَّـدة الآن فـي طبيعتيـن، وهـي نقطـة أكَّدهـا كيرلـس السـكندريُّ (حوالـي ٣٧٨-٤٤٤) وكذلـك مجمـع خلقيدونيـة ضـدَّ نسـطور.[٢٩]

ثانيًـا، بإنـكاره أنَّ الذات/الشـخص الواحـد الـذي فـي المسـيح هـو الابـن الإلهـيُّ، لـم يسـتطِع نسـطور أن يؤكِّـد أنَّ الله الابـن قـد مـات مـن أجلنـا فـي بشـريَّته وبالتالـي تمَّـم خلاصنـا. إنَّ مشـكلة الإنسـان فـي الخطيَّـة أمـام الله هـي مشـكلة خطيـرة كمـا يعلِّمنـا الكتـاب المقـدَّس. ورجاؤنـا الوحيـد هـو أن يتصـرَّف الله بنفسـه ليفدينـا مـن خـلال اسـتيفاء مطالباتـه العادلـة ضدَّنـا. والكتـاب المقـدَّس واضـح: لسـنا بحاجـة إلـى إنسـانٍ يسـكنه الله الابـن أو يتَّحِـد بـه بشـكل معيَّـن؛ مـا نحتاجـه هـو الابـن الإلهـيُّ الـذي سـيأخذ طبيعتنـا البشـريَّة فـي شـخصه حتَّـى يتمكَّـن مـن تمثيلنـا والتصـرُّف نيابـةً عنَّـا كـرأس عهـد جديـد لنـا وبديـل عنَّـا.

بدعة الطبيعة الواحدة

ترتبـط بدعـة الطبيعـة الواحـدة (باليونانيَّـة: monos، «واحـد»؛ physis، «طبيعـة») بأوطيخـا [أو أوطاخـي] Eutyches (حوالـي ٣٨٠-٤٥٦)، والـذي كان قسًّـا ورئيـسَ ديـرٍ فـي القسـطنطينيَّة، وقـد أُديـن فـي خلقيدونيـة عـام ٤٥١. علَّـم أوطيخـا أنَّـه نتيجـةً للتجسُّـد، تـمَّ ابتـلاع الطبيعـة البشـريَّة للمسـيح وامتصاصهـا ودمجهـا فـي الطبيعـة الإلهيَّـة، بحيـث تـمَّ تغييـر كلتـا الطبيعتين إلـى طبيعـة جديـدة واحـدة؛ وهـي طبيعـة أصبحـت الآن نوعًـا مـن المركَّـب البشـريِّ-الإلهيِّ.

كانـت وجهـة نظـر أوطيخـا نسـخةً أخـرى مـن الكريسـتولوجيا التـي تتبنَّـى

٢٩ كان شـخص المسـيح الواحـد أمـرًا محوريًّـا فـي النقـاش بيـن كيـرلس، الـذي اسـتخدم لفـظ والـدة الإلـه («ثيؤطوكـوس») فـي إشـارة إلـى مريـم، ونسـطور الـذي اسـتخدم والـدة المسـيح («كريسـتوتوكوس»). انظـر: Riches, *Ecce Homo*, 21–87.

وجهة نظر الكلمة-جسد. وكما يلاحظ فرِد ساندرز Fred Sanders، بالنسبة لأوطيخا، فإنَّ خلط الطبيعتين «لا يُنتِج مادَّةً ثالثة يمكن تحديد ما إذا كانت إلهيَّة أو إنسانيَّة على حدٍّ سواء. فلأنَّ اللاهوت أعظم بلا حدود من الناسوت، فإنَّ نتيجة المزيج الذي تصنعه الأوطاخيَّة بين الطبيعتين لن يكون مركَّبًا متساويًا من اللاهوت والناسوت، بل سيكون الناتج هو مسيح تغلب عليه الطبيعة الإلهيَّة».[٣٠] ولكن على الرغم من أنَّ هذا الرأي يختلف عن الأبوليناريَّة، فإنَّ النتيجة مماثلة: في هذه الطبيعة «الجديدة»، لدينا ألوهيَّة طاغية وإنسانيَّة مغمورة. في وقت لاحق، أصرَّ أتباع بدعة الطبيعة الواحدة على أنَّ اتِّحاد الطبيعتين أدَّى إلى شيء ثالث tertium quid لم يكن إلهًا ولا إنسانًا، ولكن دائمًا ما تكون نتيجة كلِّ شكل من أشكال بدعة الطبيعة الواحدة هو أنَّ المسيح ليس إلهًا حقًّا ولا إنسانًا حقًّا؛ وهي وجهة نظر مخالفة للكتاب المقدَّس تتركنا مع يسوع قاصر عن الفداء.

الأرثوذكسيا الكريستولوجيَّة: التعريف الخلقيدونيُّ

التعريف الخلقيدونيُّ هو معيار علم الكريستولوجيا الأرثوذكسيَّة. وهو قد نشأ من مجمع خلقيدونية، الذي بدأ في أكتوبر ٤٥١. في ذلك الوقت، اجتمع ٥٢٠ أسقفًا لمناقشة الخلافات الكريستولوجيَّة الجارية داخل الكنيسة. كان أربعة فقط من أساقفة المجمع من الغرب؛ اثنان من شمال إفريقيا واثنان فوَّضهما البابا ليون الرومانيُّ لتمثيله. ومع ذلك، كان التأثير الغربيُّ كبيرًا بسبب كتاب ليون Tome Leo's؛ وهي رسالة كُتِبَت

30 Fred Sanders, "Chalcedonian Categories for the Gospel Narrative," in *Jesus in Trinitarian Perspective: An Introductory Christology*, ed. Fred Sanders and Klaus Issler (Nashville: B&H Academic, 2007), 22.

قبل المجمع وتمَّ دمجها في التعريف النهائيِّ.[٣١] وكما أسَّست العقيدة النيقويَّة السابقة التثليث الأرثوذكسيَّ، هكذا أسَّس خلقيدونية معيار الكريستولوجيا الأرثوذكسيَّة. وبينما عارض البعض ذلك التعريف، إلاَّ أنَّهم لم يستطيعوا إلغاءه. فقد أصبح خلقيدونية «العَلَامة الكبرى الثانية للاَّهوت المسيحيِّ الباكر: لقد وضع معيارًا ثابتًا للإيمان الأرثوذكسيِّ.»[٣٢] كما اعترف بأنَّ يسوع هو الله الابن المتجسِّد في الصيغة الكلاسيكيَّة «شخص واحد في طبيعتين».

لقد رفض خلقيدونية الآراء الخاطئة عن المسيح من خلال تقديم نظرة إيجابيَّة لهويَّة المسيح. واتَّبع لاهوت التثليث في التمييز بين «الشخص» و«الطبيعة». فباستخدام اللفظ «شخص»، أصرَّ التعريف الخلقيدونيُّ على أنَّ الشخص الذات القائمة في التجسُّد، «المسيح الواحد نفسه» هو الابن، الذي هو من نفس طبيعة الآب (homoousios) والروح ولكنَّه أضاف الآن إلى نفسه طبيعة بشريَّة كاملة. نتيجةً لذلك، يعيش الابن الآن في طبيعتين؛ طبيعتين لم يتمَّ الخلط بينهما أو تغيُّرهما، بل تحتفظان بكلِّ صفاتهما. ينصُّ التعريف الخلقيدونيُّ على ما يلي:

> لذلك، بالاتِّفاق مع الآباء القديسين، نعلِّم كلُّنا بالإجماع أنَّنا يجب أن نعترف بأنَّ ربَّنا يسوع المسيح هو الابن الواحد نفسه، وهو نفسه كاملٌ في اللاهوت وكاملٌ في الناسوت، الله حقًّا وإنسان حقًّا، وهو نفسه من نَفْسٍ عاقلة وجسد، واحد مع الآب في الجوهر في اللاهوت، وهو نفسه واحد معنا في الجوهر في الناسوت، مُشابِه لنا في كلِّ شيء ما عدا الخطيَّة؛ مولودٌ من الآب قبل الدهور من جهة لاهوته، وهو نفسه أيضًا في الأيام الأخيرة،

31 Grillmeier, *Apostolic Age to Chalcedon*, 520–57; Bray, *God Has Spoken*, 350–65.

32 Brown, *Heresies*, 181.

من أجلنا ومن أجل خلاصنا، مولودٌ من العذراء مريم، والدة الإله (ثيؤطوكوس) من جهة ناسوته؛ وأنَّ المسيح الواحد نفسه، الابن، الربَّ، المولود الوحيد، قد عُرِف في طبيعتين دون اختلاط، ودون تغيير، ودون انقسام، ودون انفصال، ولم يتمَّ إزالة الاختلاف في الطبيعتين بأيِّ حال من الأحوال بسبب الاتِّحاد، بل تمَّ الاحتفاظ بخواصِّ كلِّ طبيعة بينما اندمجتا في شخصٍ واحد وأقنوم واحد؛ بلا تجزُّؤ أو انقسام إلى شخصين، بل في الابن الواحد نفسه، المولود الوحيد، الكلمة الإلهيِّ، الربِّ يسوع المسيح، كما علَّمنا عنه أنبياء القِدَم، وعلَّمنا يسوع المسيح نفسه عنه، وسلَّمه لنا قانون إيمان آبائنا.[٣٣]

كما هو الحال مع قانون إيمان نيقية، تناول التعريف الخلقيدونيُّ كلَّ مشكلة ابتُلِيَت بها الكنيسة حتَّى وقته فيما يتعلَّق بهويَّة المسيح، وقدَّم لنا ربًّا ومخلِّصًا فريدًا. لقد سعى إلى كبح التكهُّنات، وإلى توضيح استخدام اللغة بين الشرق والغرب، وعمل كبيان نهائيٍّ وخريطة طريق للتفكير الكريستولوجيِّ اللاحق. هناك خمس نقاط تلخِّص التعريف، وهي تلك التي أسَّست الأرثوذكسيا الكريستولوجيَّة في الكنيسة، حتَّى اليوم.

أوَّلاً، كان المسيح إلهًا كاملاً (بعكس تعليم الأريوسيَّة) وإنسانًا كاملاً. لقد تمَّ التشديد على ألوهيَّة المسيح وإنسانيَّته على حدٍّ سواء حتى يخدمنا كمخلِّص لنا ويؤمِّن لنا الخلاص.

ثانيًا، ميَّز خلقيدونية بوضوح بين «الشخص/الأقنوم» (hypostasis) و«الطبيعة» (ousia). إذ أنَّ «الشخص» مبدأ في حدِّ ذاته، لا يمكن

٣٣ مذكور في:

Kelly, *Early Christian Doctrines*, 339–40.

استنتاجه من «الطبيعة» أو كعنصر مركَّب من اتِّحاد الطبيعتين.[٣٤] فلا يظهر الإنسان الجديد إلى الوجود عند اقتناء الطبيعة البشريَّة، ولا ينتج عن هذا شخصان أيضًا (بعكس تعليم النسطوريَّة). بل بدلاً من ذلك، يؤكِّد خلقيدونية أنَّ الابن السرمديَّ هو الذات في التجسُّد، والذي كان دائمًا على علاقة بالآب والروح ويشاركهما في الطبيعة الإلهيَّة. كما أنَّ الشخص وليس الطبيعة هو الذي صار جسدًا (يوحنَّا ١: ١٤) فالتجسُّد هو عملٌ شخصيٌّ للابن (فيلبِّي ٢: ٧). وشخص الابن هو نفسه الذات التي تصرَّفَت وتألَّمت. هل هذا يعني حدوث تغيير في الابن؟ ليس هذا بمعنى أنَّ الابن غيَّر هويَّته أو لم يعد كما كان دائمًا. فحتَّى باعتباره الابن المتجسِّد، استمرَّ في امتلاك كلِّ الصفات الإلهيَّة وأداء جميع وظائفه وامتيازاته الإلهيَّة (كولوسي ١: ١٧؛ العبرانيِّين ١: ٣). ومع ذلك، يعيش الابن في بشريَّته ويختبر الحياة كإنسان في نموٍّ وأفراح وألم. كما يذكِّرنا دونالد ماكليود Donald Macleod، على الرغم من أنَّ الله كليُّ العلم، فإنَّه بمعزل عن التجسُّد تظلُّ معرفته «لا ترقى إلى مستوى الخبرة الشخصيَّة. وهذا ما أتاحه التجسُّد لله: تجربة شخصيَّة حقيقيَّة لصيرورته إنسانًا.»[٣٥]

ثالثًا، لم يكن لطبيعة المسيح البشريَّة شخصٌ («hypostasis») خاصٌّ بها (anhypostasia) لم يكن هناك «إنسان» منفرد اسمه يسوع بخلاف الابن الذي اتَّخذ طبيعة بشريَّة بمجموعة كاملة من الصفات البشريَّة (بعكس تعليم بدعة التبنِّي). ونتيجةً لذلك، فإنَّ الابن، الذي يمتلك الطبيعة الإلهيَّة دائمًا، يعيش الآن في طبيعتين كذاتٍ قائمة في كليهما.

---

٣٤ في الحقيقة، كان التعريف الخلقيدونيُّ غامضًا بشأن هذه النقطة، والتي تمَّ توضيحها لاحقًا في مجمع القسطنطينيَّة الثاني (٥٥٣). انظر:

Aloys Grillmeier, *Christ in Christian Tradition*, vol. 2, *From the Council of Chalcedon* (451) *to Gregory the Great* (590–604), part 2, *The Church of Constantinople in the Sixth Century*, trans. Pauline Allen and John Cawte (Louisville: Westminster John Knox, 1995), 277.

35 Donald Macleod, *The Person of Christ*, Contours of Christian Theology (Downers Grove, IL: Inter-Varsity Press, 1998), 186.

وقد مكَّن هذا الابنَ من أن يعيش حياة بشريَّة كاملة من خلال طبيعته البشريَّة ولكن دون أن يتقيَّد بها بالكامل لأنَّه عاش في طبيعتين. هذه هي الطريقة التي يمكن أن يتكلَّم بها الكتاب المقدَّس عن قيام الابن ببعض الأشياء التي يقوم بها الله وأشياء أخرى كإنسان، على الرغم من أنَّ الابن نفسه هو من يفعلها.

كلَّما نظرنا إلى حياة المسيح وتساءلنا: من قال أو فعل هذا؟ أو من مات لأجلنا؟ الجواب هو نفسه دائما: الله الابن. لماذا؟ لأنَّه ليست الطبيعة الإلهيَّة أو البشريَّة هي التي تعمل وتفعل الأشياء؛ بل بدلاً من ذلك، هو شخص الابن الذي يعمل في ومن خلال كلتا الطبيعتين. إنَّه الابن هو من وُلِد، وجُرِّب، ومات من أجلنا، وقام من بين الأموات. إنَّه الابن هو من فيه تُستوفَى جميع مُطالبات الله العادلة حتَّى يكون خلاصنا حقًّا من الله. كما يذكِّرنا ماكليود:

> فيه [أي الابن]، يمنح الله الكفَّارة بل ويصير هو نفسه الكفَّارة التي يطلبها. وفيه (في جسده، في محدوديَّة عمره الأرضيِّ ومحدوديَّة جسده ومحدوديَّة إنسانيَّته) تعامل الله مع خطايانا. نعم هو إنسان: لكنَّه إنسان ذو أهميَّة كونيَّة، ليس لأنَّ إنسانيَّته غير محدودة بأيِّ شكلٍ من الأشكال ولكن لأنَّها إنسانيَّة الله.[٣٦]

رابعًا، اتِّحاد طبيعتي المسيح في الابن لا يحجب كمال وسلامة أيٍّ منهما (بعكس تعليم بدعة الطبيعة الواحدة). ففي المسيح يتمُّ الحفاظ على التمييز بين الخالق والمخلوق. لا يوجد امتزاج بين الطبيعتين أو «تشارُك للخواصِّ» (communicatio idiomatum) ما ينتج عنه طبيعة ثالثة. ومع ذلك، فإنَّ الطبيعتين لا تستلقيان جنبًا إلى جنب هكذا دون اتِّصال أو تفاعل. بل بدلاً من ذلك، فإنَّ الطبيعتين موجودتان في

36 Macleod, *Person of Christ*, 190.

الشـخص الواحـد الـذي يتصـرَّف بشـكل كامـل مـن خـلال كليهمـا ولكـن لا يتعـارض مـع أيٍّ مـن الطبيعتيـن. هـذا هـو السـبب فـي أنَّ الكتـاب المقـدَّس يعلِّمنـا أنَّ الابـن يحمـل الكـون فـي نفـس وقـت تجسُّـده (كولوسـي ١: ١٧)، ويغفـر الخطيَّـة (مرقـس ٢: ١٠)، وينمـو فـي المعرفـة (لوقـا ٢: ٥٢)، ويمـوت.

خامسًـا، اتَّخـذ الابـن طبيعـة بشـريَّة كاملـة تشـتمل علـى «جسـد ونفـس عاقلـة» (بعكـس تعليـم الأبوليناريَّـة). ميَّـز خلقيدونيـة بيـن «الشـخص» و«النفـس» ووضـع «النفـس» فـي إطـار الطبيعـة البشـريَّة. الابـن إذًا لـم يحـلَّ محـلَّ النفـس البشـريَّة. بـل بـدلاً مـن ذلـك، اتَّخـذ نفسًـا بشـريَّة، ممَّـا يسـتلزم أنَّ المسـيح كانـت لديـه إرادة وعقـل بشـريَّان، وهـي حقيقـة تـمَّ إضفـاء الطابـع الرسـميِّ عليهـا لاحقًـا فـي عـام ٦٨١ فـي مجمـع القسـطنطينيَّة الثالـث.

باختصـار، هـذه النقـاط الخمسـة تصـوِّر مسـيح خلقيدونيـة، الـذي هـو ربُّنـا المجيـد الـذي لا يُضاهـى، يسـوع المسـيح. ثـمَّ بعـد خلقيدونيـة، تـمَّ توضيـح هـذه النقـاط بشـكلٍ إضافـيٍّ، لكـن هـذه النقـاط الأساسـيَّة أرسـت قواعـد الأرثوذكسـيا الكريسـتولوجيَّة حتَّـى يومنـا هـذا.

٦

توضيحات ما بعد خلقيدونية عن المسيح

لقد وضعَ التعريف الخلقيدونيُّ المعايير الأساسيَّة لتعريف هويَّة ربِّنا يسوع المسيح بشكل صحيح، لكنَّه لم يكن الكلمة الأخيرة. كان من الضروريِّ المزيد من التفكير والتوضيح، وهو ما حدث في المجامع اللاحقة التي عُقِدَت في القسطنطينيَّة في عامي ٥٥٣ و٦٨١ ومن خلال تأثير اللاهوتيِّين البارزين بعد ذلك الوقت. على وجه التحديد، كانت هناك أربعة تطوُّرات فيما بعد خلقيدونية والتي توَّجَت الأرثوذكسيا الكريستولوجيَّة؛ وجميعها تتَّفق مع خلقيدونية ولكنَّها أيضًا امتداد له. دعونا نلقي نظرة على كلٍّ من هذه في دورها.

الاتِّحاد الشخصانيُّ/الأقنوميُّ

ترك خلقيدونية عددًا من الأسئلة لم تتمَّ الإجابة عنها. على سبيل المثال، بالنظر إلى تأكيد التعريف الخلقيدونيِّ على كمال وسلامة طبيعتَي المسيح دون تغيير أو امتزاج، ألا يجب أن يكون للمسيح شخصان أيضًا؟ كيف نؤكِّد كمال وسلامة الطبيعتين ووحدة الشخص دون الانحراف نحو النسطوريَّة؟ كيف يمكن لطبيعةٍ ألاَّ يكون لها شخص أو ذات أيضًا؟

كذلك، تسبَّب التعليم الخلقيدونيُّ بأنَّ الابن اتَّخذ طبيعةً بشريَّة لا شخصانيَّة anhypostatic [أي بدون شخص] في طرح سؤال آخر. إذا كان الابن قد وحَّد نفسه بالطبيعة البشريَّة لكن بدون شخصيَّة بشريَّة، فهل تكون بشريَّة المسيح هكذا كاملة؟ كيف يكون يسوع مثلنا إذا كان شخصه هو الابن الإلهيُّ لا شخصيَّة إنسانيَّة؟ باستخدام مصطلح «لا شخصانيَّة anhypostasia»، يمكن أن يترك خلقيدونية، عن طريق الخطأ، انطباعًا بأنَّ طبيعة المسيح الإنسانيَّة تفتقر إلى شيءٍ ما.

قبل أن ننتقل إلى إجابة الكنيسة عن هذه الأسئلة، من المهمِّ أن نتذكَّر ما قصدَ التعريفُ الخلقيدونيُّ تأكيدَه ورفْضَه من خلال استخدامه لمصطلح «لا شخصانيَّة anhypostasia». لم يقصد خلقيدونية التقليل من إنسانيَّة المسيح الكاملة. بل على العكس تمامًا: كانت نيَّة خلقيدونية التأكيد على أنَّه عندما أصبح الابن إنسانًا، لم يتَّخذ إنسانًا فردًا موجودًا كاملاً، من شخص وطبيعة. لكن بدلاً من ذلك، اتَّخذ الابن طبيعةً بشريَّة، وأضاف تلك الطبيعة البشريَّة إلى شخصه. لهذا السبب يوجد في المسيح شخص واحد فقط هو الابن؛ وبهذا يتأتَّى رفْض النسطوريَّة. لقد علَّم خلقيدونية الحقيقة اللاهوتيَّة القائلة بأنَّ الطبيعتين لا تمثِّلان فردين عاملين: فالطبيعة لا تعمل؛ بل الأشخاص فقط هم الذين يعملون ويتصرَّفون. وفي المسيح، الابن هو الذي يعيش ويعمل في

كلتا الطبيعتين. وباستخدامه لمصطلح «لا شخصانيَّة anhypostasia»، علَّم خلقيدونية عن حقٍّ أنَّ الابن أصبح إنسانًا ليس «بتبنِّي» شخصٍ بشريٍّ موجود ولكن باتِّخاذ نمطٍ جديد من الوجود كإنسان عبر الطبيعة البشريَّة.

ومع ذلك، فبالنظر إلى الدلالة السلبيَّة للكلمة، هل هناك طريقة أفضل للتعبير عنها؟ بفضل المجمع الثاني في القسطنطينيَّة (٥٥٣)، تمَّ إدراج مصطلح enhypostasia «التَشَخصُن» [من «en» بمعنى في، و«hypostasis» بمعنى الشخص أو الأقنوم]، ومنذ ذلك الحين، استخدمها اللاهوتيُّون لتوضيح كيف أنَّ يسوع هو شخص واحد يعيش في طبيعتين.[١] لكن كيف؟ يقوم المصطلح بهذا من خلال توضيح مفهوم الـ «لا شخصانيَّة anhypostasia».[٢] فبدلاً من التفكير في طبيعة المسيح البشريَّة على أنَّها «بدون» (-an) شخص hypostasis ([إنسان] «شخص»)، يجب أن نفكِّر فيها على أنَّ شخصها هو «في» (-en) أقنوم hypostasis الابن، الذي اتَّخذها واتَّحد بها. إنَّ طبيعة المسيح البشريَّة ليست بلا-شخص im-personal؛ بل بأكثر دقَّة هي في-شخص in-personal، لأنَّها تجسَّدت كفرد في إنسانيَّة الله الابن. وبالتالي، فإنَّ «صيرورة» التجسُّد لا تعني، كما يذكِّرنا أيفور ديفيدسون Ivor Davidson: «إنَّ الله في ملء كونه الله، يسكن أو يتحوَّل إلى إنسان، لكنَّ الله الابن يعيش شخصيًّا

١ عزا الكثير من الناس مفهوم التَشَخصُن إلى ليونتيوس البيزنطيِّ Leontius of Byzantium (٥٤٣-٤٨٥)، لكنَّ ليونتيوس الأورشليميَّ Leontius of Jerusalem (تاريخه غير معروف، رغم أنَّه كتب في القرن السادس) هو الذي يجب أن يحصل على المزيد من الفضل في هذا. حول هذه النقطة، انظر:
Aloys Grillmeier, *Christ in Christian Tradition*, vol. 2, *From the Council of Chalcedon* (451) *to Gregory the Great* (590–604), part 2, *The Church of Constantinople in the Sixth Century*, trans. Pauline Allen and John Cawte (Louisville: Westminster John Knox, 1995), 271; Demetrios Bathrellos, *The Byzantine Christ: Person, Nature, and Will in the Christology of Saint Maximus the Confessor*, Oxford Early Christian Studies (Oxford: Oxford University Press, 2004), 34–59.

٢ للحصول على تعريف للكلمات، انظر:
Richard A. Muller, *Dictionary of Latin and Greek Theological Terms: Drawn Principally from Protestant Scholastic Theology* (Grand Rapids, MI: Baker, 1985), 35, 103.

كإنسان».[٣] لا شكَّ أنَّ الابن يستمرُّ في العيش في نفس الطبيعة الإلهيَّة المتطابقة مع الآب والروح، ولكن في مرحلة الحَبَل به، يصبح الابن هو نفسه شخصَ/شخصيَّةَ طبيعتِه البشريَّة.

ما أهميَّة ذكر ذلك بهذه الطريقة؟ هذا لأنَّها تشرح بدقَّة أكبر كيف أنَّ المسيح هو شخص واحد يعيش في طبيعتين. ليس لطبيعة المسيح البشريَّة وجودٌ مستقلٌّ من تلقاء نفسها منذ أن أصبحت هي الطبيعة البشريَّة لابن الله، وهي كذلك الآن. ومع ذلك فإنَّ طبيعة المسيح البشريَّة تظلُّ بشريَّة. لا تختلط بألوهيَّته ولا تمتزج بها. كما أنَّ طبيعة المسيح البشرية هي إنسانيَّة بالكامل ولا تفتقر إلى أيِّ شيء، لكنَّ الابن هو الذي يعيش حياة بشريَّة كاملة، ويخضع لطارئيَّة الوجود البشريِّ وقابليَّته للتأثُّر. ومع ذلك، في كلِّ ما يفعله المسيح لنا بصفته فاديًا لنا ورأسًا للعهد الجديد، فإنَّ عمله هو حقًّا عملٌ إلهيٌّ-بشريٌّ لأنَّ إنسانيَّته عائشة في شخص الابن الذي يعيش ويعمل عنَّا ومن أجلنا. وإذ يعيش الابن حياة بشريَّة كاملة مقدِّمًا طاعة إنسانيَّة نيابةً عنَّا كإنسان، فالابن الإلهيُّ هو من يفعل ذلك. إذًا في المسيح، كما يذكِّرنا ديفيد وِلز، «نرى كلَّ ما كان من المفترض أن يكون عليه آدم، ولكنَّه لم يصيره أبدًا، كلَّ ما لسنا عليه ولكنَّنا سنصبحه من خلال القيامة» والاتِّحاد به،[٤] لكنَّنا نرى فيه أيضًا بزوغ فجر دهر العهد الجديد وملكوت الله؛ وهو دهر وملكوت لا يمكن إلاَّ لله أن يبدأهما ويدشِّنهما ويحقِّقهما. في المسيح نجد ربَّنا وفادينا، وكذا من يرثي لنا بصفته كاهننا الأعظم وأخانا الأكبر.

لقد تمَّت الصياغة العقائديَّة لمفهوم «التَشَخصُن» في مجمع

3 Ivor Davidson, "Theologizing the Human Jesus: An Ancient (and Modern) Approach to Christology Reassessed," *International Journal of Systematic Theology* 3, no. 2 (2001): 140.

4 David F. Wells, *The Person of Christ: A Biblical and Historical Analysis of the Incarnation* (Westchester, IL: Crossway, 1984), 178.

القسطنطينيَّة الثاني (٥٥٣). دعا الإمبراطور جستِنيان الأوَّل Justinian I إلى مجمع لتوحيد الكنائس ولتوضيح التعريف الخلقيدونيِّ.[٥] وأكَّدت سلسلة من الحرومات على وحدة شخص المسيح وتمايز الطبيعتين. ومن خلال إصدار هذه الحرومات، أعاد المجمع تأكيد رفضه للنسطوريَّة وبدعة الطبيعة الواحدة، وقدَّم توضيحًا ضروريًّا لخلقدونية، وكما يلاحظ ألويس غريلماير Aloys Grillmeier، أخذ ذلك المجمع خلقيدونية إلى «امتداده المنطقيِّ» إذ طبَّق المفاهيم الخلقيدونيَّة بطريقة «أوضح وأكثر بيانًا».[٦] وبعد مجمع القسطنطينيَّة الثاني، أصبح مفهوم «التَشَخصُن» مفهومًا معياريًّا في الكنيسة. بالنسبة للكنيسة الشرقيَّة، نجد أوضح تفسير لهذا المفهوم في لاهوت يوحنَّا الدمشقيِّ، وغربًا، تمَّ توظيفه من قبل توما الأكوينيِّ، والمُصلِحين، والمدرسيِّين Scholastics من البروتستانت من عصر ما بعد الإصلاح.[٧] عندما نتأمَّل في عُجَاب ومجد التجسُّد، نرى على الأقلِّ أربع حقائق مهمَّة تنبع من مفهوم «التَشَخصُن».

أوَّلاً، يسوع كإنسان هو شخص، وهذا بسبب الابن السرمديِّ الذي اتَّخذ طبيعةً بشريَّة واتَّحد بها. فالابن، إذًا، هو الذات أو الشخص الوحيد في المسيح، والذي يعطي الطبيعة البشريَّة هويَّتها الشخصيَّة دون تغيير في طبيعته الإلهيَّة.

ثانيًا، التجسُّد هو عملٌ سياديٌّ لله الثالوث وينتهي على الابن وحده. لأنَّ «الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا» (يوحنَّا ١: ١٤)، لا الأقانيم الإلهيِّين الآخرين ولا الطبيعة الإلهيَّة. وبالنظر إلى أنَّ أعمال الأقانيم الإلهيِّين لا تنفصل، فإنَّ كلَّ أقنوم يشارك في التجسُّد وفقًا لعلاقاته السرمديَّة مع الأشخاص

5 Grillmeier, *Constantinople in the Sixth Century*, 438–75; Bathrellos, *Byzantine Christ*, 54–56.

6 Grillmeier, *Constantinople in the Sixth Century*, 456–57.

7 Dennis M. Ferrara, "Hypostatized in the Logos," *Louvain Studies* 22, no. 4 (1997): 311–27; Davidson, "Theologizing the Human Jesus," 129–53; cf. Geerhardus Vos, *Christology*, vol. 3 of *Reformed Dogmatics*, trans. and ed. Richard B. Gaffin Jr. (Bellingham, WA: Lexham, 2014), 39–57.

داخل الثالوث، ومع ذلك فإنَّ الابن وحده هو الذي يصير إنسانًا.

ثالثًا، طبيعة المسيح البشريَّة لديها كلُّ شيء يمتلكه أيُّ إنسان آخر في حالته غير الساقطة باستثناء الوجود الشخصيِّ المستقلِّ بمعزل عن الابن. كما يشير هِرمان بافِنك، فإنَّ الابن «كذاتٍ عاش، وفكَّر، وأراد، وتصرَّف، وعانى، ومات، وهكذا؛ كلُّ هذا فيها ومن خلالها [يقصد الطبيعة البشريَّة] بكل مكوِّناتها وقدراتها وطاقاتها.»[٨] في الواقع، لم يكن ممكنًا أن يصبح الابن هو فادينا إلاَّ بسبب اتِّخاذه طبيعتنا البشريَّة بهذه الطريقة. لكنَّ هذا لا يستلزم نوعًا من الإنسانيَّة النيابيَّة التي تؤدِّي إلى عموميَّة الخلاص Universalism.[٩] لا يؤمِّن مفهوم «التَشَخصُن» بحدِّ ذاته خلاصَ كلِّ إنسان؛ بل إنَّه يؤمِّن حقيقة تجسُّد ابن الله. لكنَّ الكيفيَّة التي نستفيد بها من عمل المسيح الافتدائيِّ لا تأتي بشكلٍ تلقائيٍّ. فمن الممكن أن نكون بشرًا ومع ذلك لا نكون «في المسيح». فتلك الحالة المذكورة أخيرًا لا تأتي إلاَّ نتيجة عمل المسيح الكامل الذي يطبِّقه علينا الروح، الذي يوحِّدنا بالمسيح بواسطة الإيمان والتوبة.

رابعًا، بما أنَّ الابن الإلهيَّ هو ذات طبيعته البشريَّة وهو الآن قادر على العيش والتفكير والتصرُّف من خلال طبيعته البشريَّة (وكذلك الاستمرار في القيام بذلك في طبيعته الإلهيَّة)، فإنَّ الابن الآن قادر على اختبار الحياة البشريَّة الكاملة (وكذلك الاستمرار في ممارسة الحياة الإلهيَّة). وإذا طرحنا السؤال، هل يمتلك يسوع «أنا» بشريَّة؟ سيكون الجواب: لا، إذا كنَّا نعني بـ «أنا» شخصًا بشريًّا. ومع ذلك، فإنَّ الابن هو الذات القائمة بأفعاله وأعماله في وعبر جسد الإنسان وإرادته وعقله. يستلزم هذا أنَّ

8 Herman Bavinck, *Sin and Salvation in Christ*, vol. 3 of *Reformed Dogmatics*, ed. John Bolt, trans. John Vriend (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2006), 307.

9 Contra J. B. Torrance, "The Vicarious Humanity of Christ," in *The Incarnation: Ecumenical Studies in the Nicene-Constantinopolitan Creed, A. D. 381*, ed. Thomas F. Torrance (Edinburgh: Handsel, 1981), 139.

الابـن فـي طبيعتـه البشـريَّة قـادرٌ علـى أن يعيـش وينمـو ويفكِّـر ويتصـرَّف بطريقـة بشـريَّة حقيقيَّـة (لوقـا ٢: ٥٢). وبهـذه الطريقـة، لا يغيِّـر الابـن ماهيَّـة الطبيعـة البشـريَّة (فهـي تحتفـظ بكمالهـا وسـلامتها)، ومـع ذلـك فهـو يعـرِف نفسـه باعتبـاره الابـن فـي بشـريَّته بالـروح ارتباطًـا بأبيـه.

التَشَـخصُنُ إذًا يزيـد خلقيدونيـة وضوحًـا ويأخذنـا إلـى أعمـاق مجـد المسـيح. إنَّ الحديـث عـن وصـول طبيعـة المسـيح البشـريَّة إلـى الاتِّحـاد الشـخصانيِّ/الأقنوميِّ فـي الابـن الإلهـيِّ لا يقلِّـل منهـا؛ بالأحـرى، يمثِّـل هـذا اعترافًـا بـأنَّ يسـوع هـو «الله الـذي وصلـت فيـه طبيعتنـا البشـريَّة، بـدون خطيَّتهـا، إلـى الإدراك التـامِّ، وإلـى الكمـال الأخلاقـيِّ، وإلـى الاتِّحـاد الكامـل».[١٠]

تشارُك الخواصِّ: علاقة الطبيعتين في شخص واحد

هنـاك مفهـوم آخـر يرتبـط ارتباطًـا وثيقًـا بمفهـوم التَشَـخصُن ألا وهـو المفهـوم الخـاصُّ بالعلاقـة بيـن طبيعتـي المسـيح. أكَّـد خلقيدونيـة، بعكـس مـا علَّمـت بـه بدعـة الطبيعـة الواحـدة، أنَّ طبيعتـي المسـيح لـم تتغيَّـرا لأنَّ كلَّ طبيعـة احتفظـت بصفاتهـا الخاصَّـة؛ ففـي المسـيح، ليـس هنـاك انتهـاك لحرمـة التمييـز بيـن الخالـق والمخلـوق. ولكـن مـا هـي بالضبـط العلاقـة بيـن الطبيعتيـن بالنظـر إلـى اتِّحادهمـا فـي الابـن؟

تصـوَّر البعـض فـي الكنيسـة الأولـى العلاقـة بمفهـوم يُدعـى «التداخـل المتبـادَل perichoresis»: إذ تتغلغـل طبيعـة المسـيح الإلهيَّـة تمامًـا فـي طبيعتـه البشـريَّة علـى الرغـم مـن أنَّ الطبيعـة تظـلُّ متميِّـزة. يمثِّـل يوحنَّـا

10 Wells, *Person of Christ*, 178.

الدمشقيُّ هذا الرأي عندما يكتب: «إنَّه [أي الابن] ينقل إلى الجسد صفاته الخاصَّة عن طريق التواصل بفضل تداخل [perichoresis] الطرفين واحدًا مع الآخر».[11] استنتج البعض بعد ذلك أنَّ المسيح في بشريَّته على الأرض يمتلك بالفعل معرفةً كاملة، وأنَّ جميع المواهب التي كانت الطبيعة البشريَّة قادرة عليها قد أُعطيت له عند تجسُّده، وأنَّه لم يكن هناك حقًّا تزايدٌ في الحكمة خلال حياته على الأرض.[12] لكنَّ هناك مشاكل خطيرة في طريقة التفكير هذه.

من ناحيةٍ، يبدو ذلك أنَّه يقوِّض نموَّ يسوع في الحكمة والمعرفة (لوقا ٢: ٥٢). ومن ناحيةٍ أخرى، ينظر هذا الفكر إلى الطبائع [جمع طبيعة] على أنَّها ذوات فاعلة، إذ تتغلَّب طبيعة المسيح الإلهيَّة على إنسانيَّته. إذا لم نتوخَّ الحذر، فقد يؤدِّي ذلك إلى إضعاف قدرة ربِّنا على تقديم الطاعة البشريَّة نيابةً عنَّا كرئيس وممثِّل للعهد. لذلك بدلاً من التداخل المتبادل، استخدمت الكنيسة لغة («تشارُك الخواصِّ Communicatio Idiomatum») للتحدُّث بدقَّة أكبر عن العلاقة بين

11 John of Damascus, *An Exact Exposition of the Orthodox Faith* 3.3, in *Nicene and Post-Nicene Fathers*, 2nd ser., ed. Philip Schaff and Henry Wace (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1991), 9:46b–48b.

12 Bavinck, *Sin and Salvation in Christ*, 256–59; Jean Galot, *Who Is the Christ? A Theology of the Incarnation* (Chicago: Franciscan Herald, 1981), 337–57.

لمعرفة كيفيَّة تعامُل العديد من اللاهوتيين في عصر آباء الكنيسة مع جهل المسيح بالتقليل من إنسانيَّته، انظر: Lionel R. Wickham, "The Ignorance of Christ: A Problem for the Ancient Theology," in *Christian Faith and Greek Philosophy in Late Antiquity*: *Essays in Tribute to George Christopher Stead*, ed. Lionel R. Wickham and Caroline P. Bammel, Supplements to Vigiliae Christianae 19 (Leiden: Brill, 1993), 213–26.

على سبيل المثال ، تعامل أثناسيوس وكيرلس مع وصف المسيح لنفسه بالجهل بأنَّه «تنازل لطبيعتنا البشريَّة»، بينما فسَّر الكبادوكيُّون مثل هذه القيود على أنَّها مرتبطة بالاحتكام إلى التدبير الإلهيِّ [في الخلاص والإعلان الثالوثيِّ؛ (المُتَرجِم)]،

(223–24).

الطبيعتيـن. ولكـن مـا هـي بالضبـط طبيعـة هـذا التشـارُك؟[١٣]

أوَّلاً، يعلِّمنـا مفهـوم «التشـارُك communicatio» أنَّ سـمات كلِّ طبيعـة «يتـمُّ تشـارُكها» ليـس مـع الطبيعـة الأخـرى بـل مـع شـخص الابـن. هـذا هـو السـبب فـي أنَّ الكتـاب المقـدَّس يمكـن أن يقـول فـي وقـت واحـد إنَّ الابـن سـرمديٌّ، وكلـيُّ القـدرة، وكلُّ مـا إلـى ذلـك مـن صفـات الطبيعـة الإلهيَّـة؛ وكذلـك إنَّ الابـن مولـود وضعيـف ومتجسِّـد وكلُّ مـا إلـى ذلـك مـن صفـات الطبيعـة البشـريَّة (علـى سـبيل المثـال، أعمـال ٢٠: ٢٨؛ كورنثـوس الأولـى ٢: ٨؛ يوحنَّـا الأولـى ١: ١، ٧). كيـف يمكـن أن يقـول الكتـاب المقـدَّس هـذا؟ هـذا لأنَّ مـا ينطبـق علـى كلِّ طبيعـة يصـحُّ علـى الابـن الـذي هـو ذاتُ كليهمـا.[١٤]

مـع ذلـك، هنـاك أيضًـا، مفهومـان مهمَّـان آخـران لـ «التشـارُك»: communicatio operationum («تشـارُك المجريـات») وcommunicatio charismatum or gratiarum («تشـارُك المواهـب» أو «النِعَـم»). يُعتبَـر تشـارُك المجريـات أمـرًا حاسـمًا عنـد التفكيـر فـي عمـل المسـيح. فبسـبب اتِّحـاد الطبيعتيـن فـي الابـن، فـإنَّ عمـل ربِّنـا بأكملـه هـو عمـل إلهـيٌّ بشـريٌّ، وعلـى هـذا النحـو، فهـو قـادر علـى تنفيـذ خلاصنـا بالكامـل. فمـا نحتاجـه هـو مخلِّـص يمكنـه تقديـم الطاعـة البشـريَّة وإرضـاء مطالبـات الله العادلـة ضدَّنـا. ويسـوع، بصفتـه الله الابـن المتجسِّـد، هـو وسـيط؛ وهـو لهـذا السـبب، فـي

١٣ للحصول على ملخَّص مفيد عن «تشارُك الخواصّ» والمعاني الكريستولوجيَّة الأخرى لـ «التشارُك»، انظر: Muller, *Dictionary of Latin and Greek Theological Terms*, 72–75; Stephen R. Holmes, "Reformed Varieties of the *Communicatio Idiomatum*," in *The Person of Christ*, ed. Stephen R. Holmes and Murray A. Rae (New York: T&T Clark, 2005), 70–86; Vos, *Christology*, 60–74.

١٤ إنَّ الكريستولوجيا الكلاسيكيَّة لـم تبخـل مـن جهـة تفسـير الكتـاب المقـدَّس مـن منطلـق طبيعتَـي المسـيح، ومـع ذلـك فهـي دائمًـا مـا تُسـنِد للشـخص مـا يصـحُّ إسـناده لهاتيـن الطبيعتيـن. علـى سـبيل المثـال، خـذ بالاعتبـار كـون المسـيح كلـيَّ الوجـود؛ فـي الصعـود (يوحنَّـا ١٦: ٢٨؛ ١٧: ١١؛ أعمـال الرسـل ١: ٩-١١)، صعـد ولـم يعـد موجـودًا حتَّـى عودتـه. ومـع ذلـك، فـي طبيعتـه الإلهيَّـة، فـإنَّ الابـن موجـود فـي كلِّ مـكان (انظـر متَّـى ١٨: ٢٠؛ ٢٨: ٢٠؛ يوحنَّـا ١٤: ٢٣). أو تأمَّـل فـي سـرمديَّة الابـن؛ كان يسـوع يبلـغ مـن العمـر ثلاثيـن عامًـا فقـط، ومـع ذلـك قـال: «قَبْـلَ أَنْ يَكُـونَ إِبْرَاهِيـمُ أَنَـا كَائِـنٌ» (يوحنَّـا ٨: ٥٨؛ راجـع ١: ١-٢). المثـال الأوَّل ينطبـق علـى طبيعتـه البشـريَّة بينمـا ينطبـق الثانـي عليـه باعتبـاره الله الابـن.

حياتـه وموتـه وقيامتـه، يُعتبَـر كافيًـا وفعَّـالاً ومنتصـرًا بالكامـل كـرأس عهدنـا الجديـد الـذي يهـزم الخطيَّـة والمـوت والشـرِّير.[١٥]

يُعتبَـر تشـارُك المواهـب أمـرًا حاسـمًا أيضًـا عنـد التفكيـر فـي عمـل المسـيح، لا سـيَّما فيمـا يتعلَّـق بعلاقـة الابـن بالـروح. لقـد جاهـدت الكنيسـة دائمًـا لفهـم «المواهـب والنِعَـم» التـي أظهرها المسـيح فـي بشـريَّته، وخاصَّـةً فـي أعمالـه المعجزيَّـة. فـي الكنيسـة الأولـى، شـرح البعـض ذلـك بنـوع مـن «تشـارُك الخـواصِّ» مـن طبيعـة المسـيح الإلهيَّـة إلـى طبيعتـه البشـريَّة. لكـن كمـا أشـرنا، يمثِّـل هـذا مشـكلة. إذ أنَّ أفضـل طريقـة للتفكيـر فـي «المواهـب والنِعَـم» هـي الثالـوث، خاصَّـةً فيمـا يتعلَّـق بعلاقـة الابـن والـروح المرتبطـة ببشـريَّة المسـيح.

يربـط الكتـاب المقـدَّس عمـل الـروح بالابـن المتجسِّـد عـن كثـب. إذ لـم يُحبَـل بيسـوع بالـروح القـدس فحسـب، بـل أُعطـي الـروح أيضًـا «لَيْـسَ بِكَيْل» (يوحنَّـا ٣: ٣٤)، ممَّـا مكَّنـه كإنسـان مـن أن يعيـش ويعمـل فـي طاعـة أبيـه كفـادٍ لنـا. إنَّـه عمـل الـروح الفريـد مـن نوعـه فـي سـكناه وتمكينـه ومسـحه هـو الـذي يعطـي معنًـى أفضـل لهـذه «النِعَـم»، حتَّـى أنَّ يسـوع، كآدم الأخيـر، يقـدِّم طاعتـه الإنسـانيَّة عنَّـا بالـروح.

فـي حقبـة مـا بعـد الإصـلاح، طـوَّر جـون أُوِن John Owen هـذه النقطـة بشـكلٍ جيِّـد.[١٦] فـي إطار التفكيـر في العلاقة بيـن طبيعتي المسـيح، رفض أُوِن، تبعًـا لخلقدونية، المسـاومةَ على كمال سـلامة كلِّ طبيعة، لكنَّه رفض أيضًا اتِّباع الميـل الآبائـيِّ لتفسـير «المواهـب والنِعَـم» فـي المسـيح مـن خـلال الاحتـكام إلـى طبيعـة المسـيح الإلهيَّـة. بـدلاً مـن ذلـك، احتكـم أُوِن إلـى عمـل الـروح،

15 Vos, *Christology*, 56–64.

16 John Owen, *The Works of John Owen*, ed. William H. Goold, 16 vols. (London: Banner of Truth, 1965), 3:159–88.

نفس الروح الذي يشارك الآب والابن الطبيعة الإلهيَّة بالكامل بالتساوي، ولكنَّه في علاقته الشخصيَّة السرمديَّة داخل الثالوث (ad intra) هو الشخص الذي ينبثق من الآب والابن وبالتالي هو الذي من خلال إرساليَّته (ad extra) يتحقَّق اكتمال كلِّ عمل. ومن الانبثاقات الإلهيَّة إلى الإرساليَّات الإلهيَّة، فإنَّ الروح هو الذي يخلق الطبيعة البشريَّة للمسيح ويقدِّسها ويملأها «بالنعمة وفقًا لمقدار تقبُّلها».[١٧] وقد صرَّح أُوِن بوضوح أنَّ هذه «النِعَم» التي ينقلها الروح إلى طبيعة المسيح البشريَّة لا تتعدَّى حدود تلك الطبيعة. إذًا الابن، في طبيعته البشرية، ليس مملوءًا بالعلم المطلق. كما علَّق أُوِن، تظلُّ طبيعة المسيح البشريَّة إنسانيَّة تمامًا، ومع ذلك يملؤه الروح بالنور والحكمة «بأقصى قدرة ممكنة لمخلوق؛ ولكن حدث هذا، ليس بالتحوُّل إلى طبيعةٍ أو جوهرٍ إلهيٍّ، ولكن من خلال ما نقله الروح إليها بلا كيل أو قياس.»[١٨] هذا لا يفسِّر سبب كون الروح هو الرفيق الدائم للربِّ يسوع فحسب، بل يشرح أيضًا كيف يعمل يسوع كرأس عهد حقيقيٍّ لنا، ممثِّلاً وطائعًا وعائشًا/سالكًا بالروح من أجل تأمين عمله من أجلنا.[١٩]

من ثمَّ، هناك ثلاث طرق تحدَّثت بها الكنيسة عن العلاقة بين طبيعتي المسيح المتَّحدتين في شخصه؛ تشارُك الخواصِّ، تشارُك المجريات، وتشارُك المواهب. ومن خلال كلِّ هذه الطرق، نكتسب وضوحًا أكبر فيما يتعلَّق بطبيعة التجسُّد وكيف يلبِّي يسوع -ويسوع وحده- كلَّ ما نحتاج إليه فيه كربٍّ ومخلِّص لنا.

17 Owen, *Works of John Owen*, 3:168.

18 Owen, *Works of John Owen*, 1:93.

19 Michael Horton, *Rediscovering the Holy Spirit: God's Perfecting Presence in Creation, Redemption, and Everyday Life* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2017), 81–104; cf. Dominic Legge, *The Trinitarian Christology of St. Thomas Aquinas* (Oxford: Oxford University Press, 2017), 131–231.

التجاوُز[٢٠]

التطـوُّر الثالـث لمـا بعد خلقيدونيـة والذي عمل على تأسـيس الأرثوذكسـيا الكريسـتولوجيَّة هـو مفهـوم «التجـاوُز extra». ولكـن مـا هـو هـذا؟[٢١] إنَّ هـذا هـو مفهـوم «التجـاوُز»: فـي التجسُّـد، لـم يحتفـظ يسـوع بصفاتـه الإلهيَّـة فحسـب، بـل اسـتمرَّ أيضًـا فـي ممارسـتها باعتبـاره الابـن الثالوثـيَّ. وبالنظـر إلـى أنَّ الابـن عـاش دائمًـا فـي الطبيعـة الإلهيَّـة «قبـل» التجسُّـد، فإنَّـه يسـتمرُّ فـي عيـش الحيـاة الإلهيَّـة «متجـاوِزًا» (extra) طبيعتـه البشـريَّة؛ إنَّ طبيعـة المسـيح البشـريَّة لا تُقيِّـد حيـاةَ الابـن بالكامـل. لا شـكَّ أنَّ الابـن، منـذ الحَبَـل بـه، عـاش فـي طبيعتـه البشـريَّة ضمـن حـدود تلـك الطبيعـة كـرأس عهدنـا. لكـن مـع ذلـك، يعلِّمنـا الكتـاب المقـدَّس أنَّ الابـن المتجسِّـد اسـتمرَّ فـي العنايـة بالكـون بواسـطة قوَّتـه الإلهيَّـة (علـى سـبيل المثـال، كولوسـي ١: ١٧؛ العبرانيِّيـن ١: ٣)، ممَّـا يسـتلزم أن يمـارس الابـن صفـات إلهيَّـة «متجـاوِزًا» طبيعتـه البشـريَّة. وهكـذا، فمنـذ الحَبَـل بـه فصاعـدًا، عـاش الابـن حياتـه «كليًّـا فـي الجسـد وكليًّـا متجـاوزًا الجسـد» (باللاتينيَّـة: totus in carne et

٢٠ غالبًـا مـا يتـمُّ الربـط بيـن مفهـوم «التجـاوُز» وبيـن كالفـن (التجـاوُز الكالفينـيّ extra Calvinisticum). لكـن كمـا يلاحـظ ديفيـد ويليـس، فـإنَّ مفهـوم كالفـن هـو حقًّـا مفهـوم جامـع، نظـرًا لمكانـة ذلـك المفهـوم علـى المسـتوى المسـكونيّ فـي الكنيسـة قبـل كالفـن. كان أوَّل مـن أطلـق عليـه اسـم (extra Calvinisticum) هـم اللوثريُّـون الذيـن اسـتخدموه بـازدراء فـي المناقشـات حـول وجـود المسـيح فـي العشـاء الربانـيّ. ومـع ذلـك، فـإنَّ مـا يؤكِّـده مبـدأ «التجـاوُز» هـو حقيقـة تصـرُّف الابـن الإلهـيّ فـي كلتـا الطبيعتيـن. انظـر:

E. David Willis, *Calvin's Catholic Christology*: *The Function of the So-Called* Extra Calvinisticum *in Calvin's Theology*, Studies in Medieval and Reformation Thought 2 (Leiden: Brill, 1966). Paul Helm, *John Calvin's Ideas* (Oxford: Oxford University Press, 2004), 58–92; Andrew M. McGinnis, *The Son of God beyond the Flesh*: *A Historical and Theological Study of the* Extra Calvinisticum, T&T Clark Studies in Systematic Theology 29 (London: Bloomsbury T&T Clark, 2014).

٢١ للاطِّلاع على مناقشة حول مبدأ «التجاوُز» في إطار اللاهوت المُصلح، انظر:

Muller, *Dictionary of Latin and Greek Theological Terms*, 111.

يكتب مولر: «إنَّ الكلمة متَّحد تمامًا مع الطبيعة البشريَّة ولكنَّها لا تحتويه تمامًا، وبالتالي، حتَّى في التجسُّد يجب أن يُنظر إليه على أنه متجاوزٌ الطبيعة البشريَّة أو خارجٌ عنها»،

(111).

(totus extra carne).[٢٢]

لفهم المقصود بـ «التجاوُز»، يجب أن نربطه بالحقائق الكريستولوجيَّة الأخرى التي ناقشناها. على سبيل المثال، يشيِّد مفهوم «التجاوُز» بناءه على حقيقة أنَّ شخص الابن هو ذات كلتا الطبيعتين ويعمل من خلال كلتا الطبيعتين (التَشَخصُن). بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ مفهوم «التجاوُز» يفترض أنَّ طبيعتي المسيح تحتفظان بكمالهما وأنَّ ما يسري على الطبيعتين يسري على الشخص (التشارُك). وهكذا، عندما اتَّخذ الابن طبيعة بشريَّة، لم يستمرَّ فقط في تشارك الطبيعة الإلهيَّة والحياة الإلهيَّة مع الآب والروح، بل أصبح الآن قادرًا أيضًا على أن يعيش ويختبر حياة بشريَّة. لم يؤدِّ التجسُّد إلى تغيير في الطبيعة الإلهيَّة والعامِليَّة الثالوثيَّة، ومن هنا جاءت النصوص التي تعلِّم أنَّ الابن المتجسِّد استمرَّ في العناية بالكون متصرِّفًا في ذلك من الآب والروح (كولوسي ١: ١٥-١٧؛ العبرانيِّين ١: ١-٣).

على طول تاريخ الكنيسة وعرضه، تمَّ التأكيد على مبدأ «التجاوُز» باستمرار.[٢٣] ويمثِّل كيرلس السكندريُّ مثالاً جيِّدًا على ذلك:

> إذ يُرى كطفل مقمَّط، وحتَّى إذ وهو لا يزال في حضن العذراء التي ولدته، ملأ [كلمة الله الوحيد] كلَّ الخليقة كإله، مُتوَّجًا مع مَن ولده. لأنَّ اللاهوت لا يمكن أن يُحصى ولا يُقاس ولا يحيطه

٢٢ يلتقط أولفر كرِسب نقطتين تميِّزان الكريستولوجيا الأرثوذكسيَّة عن غير الأرثوذكسيَّة فيما يتعلَّق «بالتجاوُز». أوَّلاً، في التجسُّد، «يحتفظ الابن الإلهيُّ بجميع صفاته الإلهيَّة الأساسيَّة»، وثانيًا، «تُمارَس هذه الصفات الإلهيَّة طوال فترة التجسُّد.» التجاوُز إذًا يؤكِّد أنَّ الابن في أثناء تجسُّده هو أيضًا «يحفظ الكون بعنايته في نفس الوقت».

Crisp, *Divinity and Humanity: The Incarnation Reconsidered*, Issues in Current Theology (Cambridge: Cambridge University Press, 2007), 142.

23 Willis, *Calvin's Catholic Christology*, 44–59.

عن أوغسطينوس، انظر:

"Letter 137," in *Letters*, vol. 3, 131–164, vol. 11 of *Writings of St. Augustine*, trans. Wilfrid Parsons, Fathers of the Church, vol. 3 (Washington, DC: Catholic University of America Press, 1953), 20–23.

شيء. لذلك، إذ نعترف بالكلمة متّحدًا أقنوميًّا، فإنّنا نعبد ابنًا واحدًا وربًّا هو يسوع المسيح، ولا نفرق أو نفصل الإنسان والإله، إذ هما متّحدان بعضهما ببعضٍ من خلال اتّحاد الكرامة والسلطان -لأنَّ هذا لن يكون أكثر من لغوٍ فارغ- ولا نتحدَّث عن كلمة الله بشكلٍ منفصل كمسيح، ثُمَّ نتحدَّث بشكلٍ منفصل عمَّن أتى من امرأةٍ كمسيحٍ آخر، بل إنَّنا لا نعرف سوى مسيحٍ واحدٍ، كلمة الله الآب، بجسده.[٢٤]

أرجو أن تلاحظ في اقتباس كيرلس تركيزه على الشخص الوحيد الذي يوحِّد كلتا الطبيعتين، وعدم تغيُّر الابن، ووجود الابن «مُتجاوزًا» طبيعته البشريَّة، بحيث يكون الابن داخل الخليقة، وفي نفس الوقت هو يحكم ويحفظ ويملك على الخليقة عينها. هذا هو مبدأ «التجاوُز».

تمَّ تأكيد مبدأ «التجاوُز» أيضًا في عصر القرون الوسطى،[٢٥] على الرغم من أنَّه غالبًا ما تمَّ ربطه بكالفن.[٢٦] لكنَّ تأكيد كالفن لمبدأ «التجاوُز» هو ببساطة امتداد لما تُعلِّم به الكنيسة دائمًا. فيسوع هو الله الابن، وبالتالي، في التجسُّد، لم تُستَنفَد حياة الابن وقوَّته «بإنجازاته الجسديَّة».[٢٧] «لقد مارس المسيح خصائص الابن السرمديَّة

٢٤ مذكور في:

Willis, *Calvin's Catholic Christology*, 59; see T. H. Bindley, ed., *The Oecumenical Documents of the Faith*, 3rd ed. (London: Methuen, 1925), 214.

عن أثناسيوس، انظر:

On the Incarnation of the Word, in *Christology of the Later Fathers*, ed. Edward R. Hardy, Library of Christian Classics (Philadelphia: Westminster, 1954), 70–71.

٢٥ عن توما الأكويني، انظر:

Summa Theologica 3.10.1.2.

26 John Calvin, *Institutes of the Christian Religion*, ed. John T. McNeill, trans. Ford Lewis Battles (Philadelphia: Westminster, 1960), 2.13.4; 4.17.30.

27 Willis, *Calvin's Catholic Christology*, 76.

في أثناء التجسُّد لا من خلال إنسانيَّة شخصه الواحد ولكن من خلال لاهوت شخصه الواحد».[٢٨] لكنَّ مبدأ «التجاوُز» من شأنه أن يحمي أيضًا إنسانيَّة المسيح الكاملة. على سبيل المثال، حاجج كالفن بأنَّ مبدأ «التجاوُز» لا غنى عنه لفهم طاعة الابن الطوعيَّة كوسيط لنا. فما يخلِّص في تعاليم المسيح ومعجزاته وموته ليس مجرَّد أنَّها حدثت بل أنَّها حدثت طواعية. إذ بصفته آدم الأخير وابنًا مطيعًا وبصفته نبيًّنا وكاهننا وملكنا العظيم، فإنَّ المسيح يقوم بوظيفته كوسيط لنا من خلال إبطال عمل آدم الأوَّل من خلال مسار طاعته بأكمله. ومبدأ «التجاوُز» يحمي هذه الحقيقة لأنَّ الابن، كمخلِّصنا، قادر على التصرُّف كإنسان دون المساس بسلامة وكمال طبيعته البشريَّة.

بالنظر إلى مبدأ «التجاوُز»، يجدر بالتجسُّد أن يندرج تحت عنوان krypsis لا kenosis، أي الإخفاء مقابل الإخلاء أو الفقدان. لماذا؟ لأنَّ التجسُّد كان بمثابة حجاب لألوهيَّة الابن، وليس فقدانه أو تجريده منه. ومع ذلك، فمن أجل خلاصنا، اختار الابن الإلهيُّ أن يُخضع نفسه للافتقار إلى بعض العِلْم، ليس من ضرورة، كما هو الحال معنا، ولكن لكي يفدينا.

في ضوء الاتِّفاق الكنسيِّ الجامع بخصوص مبدأ «التجاوُز»، إنَّه لأمرٌ مزعج مدى سرعة رفضه أو استبداله بشيء آخر. ومع ذلك، فإنَّ مبدأ «التجاوُز» ضروريٌّ لشرح كيفيَّة عيش الابن وتصرُّفه في كلتا الطبيعتين. لا شكَّ أنَّ شرح النشاط المزدوج للابن هو أمر خارج عن إدراكنا. لكن جنبًا إلى جنبٍ مع مبدأَي التَشَخصُن والتشارُك، فإنَّ مبدأ «التجاوُز» هو مبدأ مطلوب لفهم جميع المعطيات الكتابيَّة حتَّى تتحقَّق الأمانة للكريستولوجيا الأرثوذكسيَّة.

28 Willis, *Calvin's Catholic Christology*, 76.

القول بالمشيئتين:
الإقرار بوجود إرادتين في المسيح[٢٩]

التطـوُّر الرابـع فيمـا بعـد خلقيدونيـة والـذي يوضِّـح الكريسـتولوجيا الكاثوليكيَّـة هـو التمسُّـك بالاعتقـاد بوجـود مشـيئتين/إرادتين فـي المسـيح Dyothelitism، وهـو مـا أُقِـرَّ فـي مجمـع القسـطنطينيَّة الثالـث (٦٨١). لسـوء الحـظ، فـإنَّ قـرارات المجامـع مـا بعـد خلقيدونيـة إمَّـا غيـر معروفـة أو مُتَجَاهَلـة، وخاصَّـةً هـذا القـرار.[٣٠] ومـع ذلـك، فـإنَّ رفـض المجمـع للقـول بالمشـيئة/الإرادة الواحـدة Monothelitism (أي أنَّ للمسـيح مشـيئة واحـدة) وتأكيـده علـى القـول بالمشـيئتين (أي أنَّ المسـيح لـه مشـيئتان، إحداهمـا إلهيَّة والأخـرى بشـريَّة) همـا أمـران مهمَّـان. فـي الواقـع، إنَّ هـذا المبـدأ هـو تطبيـق متَّسـق لكريسـتولوجيا خلقيدونيـة القائلـة بالطبيعتيـن والمبنيَّـة علـى التمييـز بيـن الشـخص والطبيعـة ممَّـا يسـاعد فـي توضيـح طبيعـة التجسُّـد.

لمـاذا اعتقـدت الكنيسـة أنَّ مناقشـة «المشـيئة» أمـرًا مهمًّـا؟ يمكننـا إعطـاء ثلاثـة أسـباب لذلـك. أوَّلاً، وجـود مشـيئتين/إرادتين هـو أمـرٌ ضـروريٌّ للحفـاظ علـى إنسـانيَّة المسـيح الكاملـة ضـدَّ البدعـة الأبوليناريَّـة وبدعـة الطبيعـة الواحـدة. لمـاذا؟ كلتـا هاتيـن النظرتيـن الخاطئتيـن اعتبرتـا أنَّ الشـخص والمشـيئة/الإرادة متطابقـان، ومـن ثـمَّ أكَّدتـا علـى مبـدأ المشـيئة/الإرادة الواحـدة، وكلتاهمـا مثَّلتـا امتـدادًا للمشـاكل النابعـة مـن كريسـتولوجيا الكلمة-الجسـد.[٣١] أيضًـا، باعتبـار أنَّ الإرادة توجـد فـي الشـخص وليـس فـي الطبيعـة، كان هـذا يعنـي أنَّ إرادة المسـيح الواحـدة هـي إرادة إلهيَّـة، ممَّـا

٢٩ في إطار هذه الدراسة، تُستَخدَم كلمتَا مشيئة وإرادة بالتبادل؛ (المُتَرجِم).

٣٠ على سبيل المثال:

John Macquarrie, *Jesus Christ in Modern Thought* (London: SCM, 1990), 166.

اعتنق البعض لاهوت المشيئة الواحدة داخل الدوائر الإنجيليَّة. بشأن هذا التطوَّر، انظر الفصل ٧.

31 Bathrellos, *Byzantine Christ*, 89–97; cf. Kallistos Ware, "Christian Theology in the East, 600–1453," in *A History of Christian Doctrine*, ed. Hubert Cunliffe-Jones (Edinburgh: T&T Clark, 1978), 181–225.

يعني أنَّ طبيعة المسيح البشريَّة ليس لها إرادة بشريَّة. ولكن كما يلاحظ دونالد ماكليود، «من ناحيةٍ، مهما كانت الشكوك التي قد تتعلَّق بتعريف الإرادة، فمن الواضح أنَّه لا يمكن أن تكون هناك طبيعة بشريَّة حقيقيَّة بدون القدرة على اتِّخاذ قرارات بشريَّة.»[٣٢] كيف لنا أن نتصوَّر طبيعة بشريَّة بمعزل عن إرادة الإنسان؟

علاوةً على ذلك، علَّم خلقيدونية أنَّ طبيعة المسيح البشريَّة تتكوَّن من جسد ونفس، ولم يُطابق بين «النفس» و«الشخص». لماذا؟ يعلِّم الكتاب المقدَّس أنَّ يسوع كانت لديه رغبات بشريَّة، وأشواق، ونفور. أيضًا، يبدو أنَّ يوحنَّا ٦: ٣٨ -«لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ، لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي.»- تستلزم تمييزًا ميتافيزيقيًّا بين مشيئة يسوع ومشيئة الآب وكذلك يستلزم الأمرُ الاحتماليَّةَ المنطقيَّة أنَّ رغبات يسوع البشريَّة قد لا تتوافق دائمًا مع رغبات الآب.[٣٣] كلُّ هذا يتطلَّب أن تكون هناك إرادة بشريَّة حقيقيَّة عاملة في المسيح، يمكن تمثيلها بصورة مصغَّرة في جثسيماني، حيث يجب على يسوع أن يختار بين طريقين ومشيئتين؛ «وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ» (متَّي ٢٦: ٣٩).

ثانيًا، يعدُّ مبدأ القول بالمشيئتين أمرًا حاسمًا بالنسبة للسوتيريولوجيا.[٣٤] فبحسب المقولة البارزة لغريغوريوس النزينزيِّ «ما لا يُقتنى لا يُشفى»، لا يمكن أن يكون يسوع فادينا بدون إرادة بشريَّة، ناهيك عن كونه «مثالاً لجميع المسيحيِّين»، لأنَّه لكي يفدينا كرأس عهدنا، يجب على الابن تقديم

32 Donald Macleod, *The Person of Christ*, Contours of Christian Theology (Downers Grove, IL: Inter-Varsity Press, 1998), 179.

33 Macleod, *Person of Christ*, 179.

34 Maximus the Confessor, *Disputatio cum Pyrrho*, in *The Disputation with Pyrrhus of Our Father among the Saints, Maximus the Confessor*, trans. Joseph P. Farrell (South Canaan, PA: St. Tikhon's Seminary Press, 1990).

طاعـة إنسـانيَّة نيابيَّـة فـي حياتـه وموتـه.[٣٥] لكـن هـذا غيـر ممكـن بـدون إرادة بشـريَّة. يلتقـط ديميتريـوس باثريـوس Demetrios Bathrellos هـذه الحقيقـة جيِّـدًا حيـن يقـول: «فـي الكريسـتولوجيا القائلـة بـالإرادة الواحـدة، تُلغـى طاعـة المسـيح البشـريَّة الخلاصيَّـة لـلآب، وتُحـدَر بشـريَّته إلـى حالـةٍ مـن السـلبيَّة. لكـنَّ كريسـتولوجيا كهـذه لا يمكـن أن تصمـد لاهوتيًّـا».[٣٦]

ثالثًـا، القـول بالمشـيئتين هـو أمـر ضـروريٌّ فـي لاهـوت التثليـث. فمـن الأنسـب أن تتواجـد الإرادة الإلهيَّـة فـي الطبيعـة الإلهيَّـة، ممَّـا يسـتلزم أن يكـون مـا هـو مشـترك بيـن الأشـخاص/الأقانيم الثلاثـة هـو طبيعتهـم الإلهيَّـة وبالتالـي مجرياتهـم الإلهيَّـة، بمـا فـي ذلـك الإرادة المشـتركة. ومـع ذلـك، فنظـرًا لتمايزهـم الأقنومـيِّ، يتشـارك الآبُ الإرادةَ الإلهيَّـة الواحـدة ويمارسـها كآب، ونفـس الشـيء ينطبـق علـى الابـن والـروح.[٣٧] لكـن إذا اعتبـر المـرء أنَّ الإرادة متواجـدة فـي الأشـخاص وليـس فـي الطبيعـة (كمـا يفعـل مبـدأ المشـيئة الواحـدة)، سيسـتتبع هـذا إقـرارًا معيبًـا بثـلاث إرادات فـي الله، ممَّـا يـؤدِّي إلـى مُخاطـرة جديَّـة بالتنـازل عـن الوحدانيَّـة الإلهيَّـة. واليـوم، يؤيِّـد المنـادون بالثالـوث الاجتماعـيِّ Social Trinitarians ثـلاث إرادات فـي الله، لكنَّهـم يجـدون صعوبـة فـي الحفـاظ علـى وحدانيَّـة الله، علـى الأقـلِّ وفقًـا

35 T. A. Watts, "Two Wills in Christ? Contemporary Objections Considered in the Light of a Critical Examination of Maximus the Confessor's *Disputation with Pyrrhus*," *WTJ* 71, no. 2 (2009): 467.

36 Bathrellos, *Byzantine Christ*, 98.

37 Gilles Emery, *The Trinity: An Introduction to Catholic Doctrine on the Triune God*, trans. Matthew Levering, Thomistic Ressourcement Series 1 (Washington, DC: Catholic University Press, 2011), 83–158.

لأيٍّ فهمٍ أرثوذكسيٍّ لوحدانيَّة الطبيعة الإلهيَّة.[٣٨]

لهذه الأسباب، أيَّدت الكنيسة رسميًّا مبدأ القول بالمشيئتين في ٦٨١. ومع أنَّ الكثيرين قد ساهموا في هذا القرار، لكن لا أحد منهم يضاهي أهمِّيَّة مكسيموس المعترف Maximus the Confessor (٥٨٠-٦٦٢). فعلى الرغم من أنَّه توفِّي في المنفى قبل مجمع القسطنطينيَّة الثالث، فإنَّ تأثيره كان هائلاً.[٣٩] ميَّز مكسيموس بشكل حاسم بين «مَلَكَة الإرادة» (الموجودة في الطبيعة) و«أفعال الإرادة الملموسة» (الموجودة في الشخص). فكلُّ الكائنات العاقلة لديها «مَلَكَة الإرادة» وبالتالي القدرة أن تشاء. أمَّا بالنسبة للمسيح، فلديه القدرة أن يشاء كإنسان والقدرة أن يشاء كالله. ومع ذلك، فإنَّ الشخص (الابن) هو الذي يقوم «بأفعال إراديَّة ملموسة». من خلال هذا التمييز، صار ممكنًا لمكسيموس أن يتكلَّم عن الشخص الذي يشاء وعن إرادته بنفس الطريقة التي نتكلَّم بها عن الشخص الذي يفكِّر وقدرته على التفكير، باعتبار أنَّ للشخص فكره وعقله.[٤٠] في المسيح، هناك مُريد واحد (الابن) ذو إرادتين، ومن هنا تأتي القدرة على الإرادة كإنسان وكإله.[٤١] أيضًا، لأنَّ الابن هو ذات طبيعته البشريَّة، فإنَّ الابن، في طبيعته البشريَّة ومن

٣٨ على سبيل المثال، يجادل ستيفن ديفيس بأنَّ وحدانيَّة اللاهوت لا توجد في الآب والابن والروح الذين يتشاركون نفس الطبيعة؛ بل بدلاً من ذلك، يُعتَبَر الأشخاص الإلهيُّون واحدًا لأنَّ «الله مثل المجتمع الواحد»؛

"Perichoretic Monotheism: A Defense of a Social Theory of the Trinity," in *The Trinity*: *East/West Dialogue*, ed. Melville Y. Stewart, Studies in Philosophy and Religion 24 (Dordrecht: Kluwer Academic, 2003), 42. Thomas R. Thompson and Cornelius Plantinga Jr., "Trinity and Kenosis," in *Exploring Kenotic Christology*: *The Self-Emptying of God*, ed. C. Stephen Evans (New York: Oxford University Press, 2006), 165–89.

٣٩ للاطِّلاع على مناقشة مفيدة عن مكسيموس المُعترَف، انظر:

Edward T. Oakes, *Infinity Dwindled to Infancy*: *A Catholic and Evangelical Christology* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2011), 153–60.

40 Bathrellos, *Byzantine Christ*, 168–72.

٤١ ينتج عن هذا التصنيف متى طُبِّق على الثالوث ثلاثة مُريدين (أشخاص) يشتركون في نفس الإرادة (الطبيعة). إنَّ القدرة الواحدة على الاختيار لدى الله تتحقَّق من قبل الأقانيم الثلاثة. لأنَّ الإرادة لا تشير إلى أفعال إراديَّة محدَّدة، إذ يجب أن نميِّز بين الأشخاص الذين يريدون/يتصرَّفون من خلال الإمكانيَّة/القدرة الواحدة على الاختيار.

خلالها، هو الذي يشاء كإنسان، وبالتالي يقدِّم طاعةً إنسانيَّة نيابيَّة.

هكذا، عن طريق التفكير بعناية في التمييز بين الشخص والطبيعة، حمى مكسيموس وحدة شخص المسيح في الإرادة/الفعل والتمييز بين الطبيعة وصفاتها. كان مكسيموس قادرًا أيضًا على شرح حادث جثسيماني جيِّدًا. فهناك نرى يسوع، باعتباره الابن، مُريدًا ومطيعًا كإنسان في كلا الطلبتين. إذًا، بالنسبة إلى مكسيموس، «الذات القائلة: ‹فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ›، والذات القائلة: ‹لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ› هما واحد ... فالرغبة في تجنُّب الموت والخضوع لإرادة الآب كلاهما مرتبط بإنسانيَّة المسيح وإرادته البشريَّة».[٤٢]

في الواقع، لا يمكننا حسبان طاعة الابن نيابيًّا كإنسان إلاَّ إذا كان للمسيح إرادة بشريَّة، وهذا هو أساس عمل المسيح من أجلنا. وكما يصرُّ ماكليود عن حقٍّ، فالابن في إنسانيَّته «كانت لديه رغبات إنسانيَّة عاديَّة، وأشواق، وتفضيلات وتطلُّعات. بالضبط كما كان لديه نفور بشريٌّ بالفعل. في ظلِّ هذه التأثيرات، اتَّخذ القرارات واتَّبع الخيارات بنفس الطريقة التي نتعامل بها مع أنفسنا».[٤٣] في جثسيماني، كلُّ هذا وصل إلى ذروته. فهناك، لا يريد يسوع هذه الكأس وهو يتراجع عنها، ومع ذلك، بصفته الابن المطيع الذي يحبُّ أباه، فإنَّه يوائم إرادته البشريَّة مع إرادة أبيه، إذ اختار أن يتصرَّف كبديل لنا ونائب عنَّا.

هل مناقشة موضوع «الإرادة» مهمَّة؟ نعم. فالقول بالمشيئتين هو استنتاج ضروريٌّ لمسيح خلقيدونية، تمامًا كما أنَّ التطوُّرات الأخرى التي نوقشت في هذا الفصل ضروريَّة لتفسير يسوع الكتاب المقدَّس. في نهاية المطاف، ما يقف على المحكِّ في كلٍّ من هذه الامتدادات الأربعة

42 Bathrellos, *Byzantine Christ*, 147.

43 Macleod, *Person of Christ*, 179.

لخلقدونيـة هـو مـا إذا كانـت لدينـا كريسـتولوجيا حقيقيَّـة مـن طـراز الكلمـة-الإنســان أم لا. كريســتولوجيا تعلِّــم بألوهيَّــة المســيح الكاملــة وإنســانيَّته الكاملـة وتعطينـا فاديًـا يمكنـه حقًّـا أن يفدينـا ويصالحنـا ويبرِّرنـا أمـام الله بطاعتـه النيابيَّـة فـي الحيـاة والمـوت كممثِّـل للعهـد وبديـل لنـا.

٧

التحدِّيات الحاليَّة للأرثوذكسيا الكريستولوجيَّة

مـا هـي التحدِّيـات التـي تواجـه الأرثوذكسـيا الجديـدة اليـوم؟ بشـكلٍ عـامٍّ، تأتـي التحدِّيـات فـي اتِّجاهيـن. أوَّلاً، خـارج المسـيحيَّة التاريخيَّـة، اعتُبِـرت هويَّـة يسـوع الموجـودة فـي الكتـاب المقـدَّس، إلـى جانـب قوانيـن الإيمـان، مرفوضـةً علـى أنَّهـا إمَّـا غيـر قابلـة للتصديـق أو خاطئـة. يمثِّـل هـذا اسـتمرارًا لمـا تـمَّ وصفـه فـي الفصـل الأوَّل، ويتطلَّـب ردًّا دفاعيًّـا كامـلاً، إذ تسـعى الكنيسـة لإعـلان مجـد وتفـرُّد وكفايـة المسـيح يسـوع ربِّنـا.

لكـن أيضًـا مـن داخـل الكنيسـة، ومـن بيـن أولئـك المؤيِّديـن لخلقيدونيـة،

هنـاك تحـدٍّ ثـانٍ. يقبـل البعـض قانـون الإيمـان باعتبـاره «قاعـدة إيمـان» أساسـيَّة، ولكـن بعـد ذلـك يراجعـون مـا فيـه مـن لاهـوت بشـكل كبيـر. هـذا التحـدِّي هـو موضـوع هـذا الفصـل. فاليـوم، هنـاك طيـف مـن ثـلاث وجهـات نظـر: نظريتـين منقَّحتَيـن تعرفـان باسـم كريسـتولوجيا إخلائيَّـة أنطولوجيَّـة [وجوديَّـة أو جوهريَّـة] (Ontological Kenotic Christology OKC) وكريسـتولوجيا إخلائيَّـة وظيفيَّـة (Functional Kenotic Christology FKC)،[1] بالإضافـة إلـى الـرأي الكلاسـيكيِّ الـذي يمثِّلـه خلقيدونيـة وتطوُّراتـه اللاهوتيَّـة اللاحقـة.

يشـير ذكـر الكريسـتولوجيا «الإخلائيَّـة» إلـى وجهـة نظـر نشـأت منـذ مـا يقـرب مـن قرنيـن مـن الزمـان، أوَّلاً فـي القـارَّة الأوروبيَّـة ولاحقًـا فـي المملكـة المتَّحـدة. كان اللاهوتيُّـون الذيـن اقترحـوا وجهـات النظـر الإخلائيَّـة يحاولـون إعـادة صياغـة الكريسـتولوجيا الكلاسـيكيَّة لمواجهـة تحدِّيـات عصرهـم وتقديـم «طريـق وسـط» (via media) بيـن الأرثوذكسـيَّة «القديمـة» وبيـن الاعتنـاق الكامـل لـروح التنويـر مـع عواقبهـا المدمِّـرة علـى اللاهـوت. وكمـا هـو الحـال مـع معظـم الطـرق الوسـطى، تـمَّ رفضهـا مـن قبـل الجانبيـن. رفـض المسـيحيُّون الأرثوذكسـيُّون، بمـن فيهـم اللاهوتيُّـون الإنجيليُّـون اللاحقـون، تلـك الآراء علـى أنَّهـا تفتقـر إلـى الأمانـة الكتابيَّـة مـن جهـة الإيمـان المُعتَـرِف.[2] اليـوم، وفـي دوائـر اللاهـوت الإنجيليِّ علـى نطـاق واسـع، وعلـى الرغـم مـن رفـض المذهـب الإخلائـيِّ فـي السـابق، هنـاك تأثيـر إخلائـيٌّ لا يمكـن أغفالـه، ممَّـا أدَّى إلـى مجموعـة مـن وجهـات النظـر.

1 Oliver D. Crisp, *Divinity and Humanity: The Incarnation Reconsidered*, Issues in Current Theology (Cambridge: Cambridge University Press, 2007), 118–53.

2 David F. Wells, *The Person of Christ: A Biblical and Historical Analysis of the Incarnation* (Westchester, IL: Crossway, 1984), 133–39.

في هذا الفصل، نلخِّص هذه الصيغ «المُستَحدَثة». وحجَّتي هي أنَّه لا النسخ الأنطولوجيَّة ولا الوظيفيَّة للمسيح الإخلائيِّ تمثِّل ما هو أفضل من النظرة «القديمة»، وأنَّ الإنجيليِّين اليوم يجب أن يستمرُّوا في التأكيد على أنَّ الكريستولوجيا الكاثوليكيَّة صحيحة كتابيًّا ولاهوتيًّا.

شكلان من أشكال الإخلائيَّة الإنجيليَّة

الكريستولوجيا الإخلائيَّة الأنطولوجيَّة (OKC)

في السنوات الأخيرة، أعاد بعض الفلاسفة وعلماء اللاهوت الإنجيليِّين تأهيلَ بعض نقاط القرن التاسع عشر الإخلائيَّة.[٣] اعتقادًا منهم أنَّه تمَّ رفضها على عجلٍ، فإنَّهم يعيدون التفكير في ألوهيَّة يسوع وإنسانيَّته من منظور إخلائيٍّ. وهدفهم هو تقديم «نظريَّة إخلائيَّة قابلة للتطبيق»[٤] داخل إطار الخطوط المعياريَّة العريضة للعقيدة. وهناك ثلاث نقاط تلتقط وجهة نظرهم بوجهٍ عامٍّ.

أوَّلاً، يصرُّ أنصار OKC على أنَّ وجهة نظرهم أرثوذكسيَّة لأنَّهم يؤكِّدون على الثالوث، ووجود الابن السرمديِّ، وألوهيَّة المسيح وإنسانيَّته. ومع ذلك فهم يجادلون بأنَّ خلقيدونية أسَّس فقط الخطوط العريضة للأرثوذكسيا. على سبيل المثال، لم يحدِّد خلقيدونية تعريفًا لـ «الطبيعة» أو «الشخص»، وبالتالي، فإنَّ هذه المصطلحات مفتوحة

٣ على سبيل المثال:

C. Stephen Evans, ed., *Exploring Kenotic Christology*: *The Self-Emptying of God* (New York: Oxford University Press, 2006); Stephen T. Davis, Daniel Kendall, and Gerald O'Collins, eds., *The Incarnation*: *An Interdisciplinary Symposium on the Incarnation of the Son of God* (New York: Oxford University Press, 2002); Ronald J. Feenstra and Cornelius Plantinga Jr., eds., *Trinity, Incarnation, and Atonement*: *Philosophical and Theological Essays* (Notre Dame, IN: University of Notre Dame Press, 1989).

4 C. Stephen Evans, "Introduction: Understanding Jesus the Christ as Human and Divine," in Evans, *Exploring Kenotic Christology*, 5.

«لإعـادة التعريـف».[٥]

ثانيًـا، تقتـرح OKC أنَّـه فـي التجسُّـد، قـد «وضـع» الابـن الإلهـيُّ جانبًـا سـمات إلهيَّـة محـدَّدة، وبالتالـي اختـار أن يحـدَّ نفسـه بالحيـاة البشـريَّة مـع الاحتفـاظ بطبيعتـه الإلهيَّـة.[٦] بالنسـبة للبعض، كان هـذا التجريـد مؤقَّتًا، ودام فقـط حتَّـى تمجيـد المسـيح؛[٧] بالنسـبة للآخريـن، فهـو دائـم.[٨] لكـن لتفسـير هـذا التغييـر، يجـب علـى OKC إعـادة تعريـف الطبيعـة الإلهيَّـة. علـى غـرار الأنمـاط الإخلائيَّـة السـابقة، ترفـض OKC إصـرار الأرثوذكسـيا علـى أنَّ جميـع صفـات الله هـي صفـات ذاتيَّـة لـه؛ أي أنَّـه لا يمكـن «تنحيـة» أيِّ صفـة إلهيَّـة (فطبيعـة الله واحـدة وبسـيطة). لهـذا السـبب، أكَّـد خلقيدونيـة أنَّ الابـن احتفـظ فـي التجسُّـد بجميـع صفاتـه الإلهيَّـة. كان يسـوع مـن نفـس الطبيعـة الإلهيَّـة مـع الآب والـروح. وكان التجسُّـد فعـلَ إضافـةٍ لا تجـرُّدٍ. علـى النقيـض مـن ذلـك، تطبِّـق OKC تمييـزًا بيـن الذاتيِّ-والحـادث بالنسـبة لصفـات الله. أي أنَّـه فـي المسـيح، «ينحِّـي» الابـن صفاتـه الحادثـة، ولكنَّـه يبقـى الله «بشـكل ذاتيٍّ/جوهـريٍّ».[٩]

مـن خـلال اسـتخدام هـذا التمييـز بيـن الصفـات الذاتيَّـة والحادثـة، يعتقـد أنصـار OKC أنَّهـم يسـتطيعون تأكيـد ألوهيَّـة المسـيح «الكاملـة».

---

5 Evans, "Introduction," 1–2.

6 C. Stephen Evans, "Kenotic Christology and the Nature of God," in Evans, *Exploring Kenotic Christology*, 196; Stephen T. Davis, "Is Kenosis Orthodox?," in Evans, *Exploring Kenotic Christology*, 113.

7 Davis, "Is Kenosis Orthodox?," 112–38; Ronald J. Feenstra, "Reconsidering Kenotic Christology," in Feenstra and Plantinga, *Trinity, Incarnation, and Atonement*, 128–51.

٨ يدافع ستيفن إفانز عن هذه الاحتماليَّة في:
"The Self-Emptying of Love: Some Thoughts on Kenotic Christology," in Davis, Kendall, and O'Collins, *The Incarnation*, 263–67; Evans, "Kenotic Christology and the Nature of God," 200–202.

9 Davis, "Is Kenosis Orthodox?," 115–16.
الخاصِّيَّـة الذاتيَّـة لـ (س) هـي خاصِّيَّـة يمتلكهـا (س) ولا يمكـن أن يخسـرها دون أن يتوقَّـف عـن كونـه (س). الخاصيَّـة الحادثـة لـ (س) هـي خاصيَّـة يمتلكهـا (س) ولكـن يمكـن أن يخفـق فـي امتلاكهـا ومـع ذلـك يظـلُّ هـو (س).

فالابـن «يتخلَّى» عـن صفاتـه الحادثـة بشـكل إراديٍّ ومؤقَّـت (ومـن هنـا جـاءت الكلمـة اليونانيَّـة kenosis، «إفراغ/إخـلاء»)، لكنَّـه يحتفـظ بـكلِّ مـا هـو جوهريٌّ فـي الإلـه (ويبقـى الله).[١٠] ومـا هـي الصفـات الحادثـة التـي يتخلَّـى عنهـا الابـن؟ بالنسـبة إلـى OKC، يتضمَّـن ذلـك أيَّـة سـمة لا تتوافـق مـع حيـاة الإنسـان؛ علـى سـبيل المثـال، المعرفـة المطلقـة، والقـدرة المطلقـة، والوجـود الكلـيُّ.[١١]

ثالثًـا، تعيـد OKC أيضًـا تعريـف ماهيَّـة الشـخص.[١٢] بالنسـبة إلـى OKC، يعتبـر الشـخص «مركـزًا متمايـزًا للمعرفـة والإرادة والحـبِّ والتصـرُّف».[١٣] يسـتلزم هـذا وجـود ثـلاث إرادات مميَّـزة فـي الله، لا إرادة واحـدة. والمسـيح لديـه إرادة واحـدة فقـط (القـول بالمشـيئة الواحـدة)، لأنَّ الإرادة موجـودة فـي الشـخص. أيضًـا، تُعـرِّف OKC الشـخص بالارتبـاط بالنفـس، بحيـث تُعـرَّف النفـس فـي الطبيعـة البشـريَّة لـدى البشـر علـى أنَّهـا الشـخص، وفـي المسـيح، الابـن (الشـخص) يصبـح هـو النفـس التـي فـي الجسـد البشـريِّ.[١٤] كلُّ هـذه الاسـتنتاجات هـي خـروج خطيـر عـن العقيـدة.

تاريخيًّـا، يُعـرَّف الشـخص بأنَّـه علاقـة حيَّـة عائشـة، وهـو الـذات العاملـة فـي الطبيعـة ومـن خلالهـا (ويشـمل ذلـك قـدرات الإرادة والعقل). فالشـخص إذًا ليـس هـو النفـس. علَّـم خلقيدونيـة أنَّ الابـن (الشـخص) اتَّخـذ طبيعـة بشـريَّة مكوَّنـة مـن جسـد و«نفـس عاقلـة»، وأنَّ الابـن يعيـش ويعمـل فـي كلتـا الطبيعتيـن. ولكـن بالنظـر إلـى إعـادة تعريـف OKC لـ «الشـخص»، فهـي تقـول أنَّـه فـي التجسُّـد، اتَّخـذ الابـن باختيـاره جسـدًا بشـريًّا وأصبـح نفسًـا

10 Davis, "Is Kenosis Orthodox?," 118.

11 Evans, "Kenotic Christology and the Nature of God," 190–217.

12 Thomas R. Thompson and Cornelius Plantinga Jr., "Trinity and Kenosis," in Evans, *Exploring Kenotic Christology*, 165–89.

13 Cornelius Plantinga Jr., "Social Trinity and Tritheism," in Feenstra and Plantinga, *Trinity, Incarnation, and Atonement*, 22.

14 Thompson and Plantinga, "Trinity and Kenosis," 170.

بشريَّة. وبينما احتفظ الابن بصفاته الذاتيَّة، «تخلَّى» طوعًا عن الصفات الإلهيَّة الحادثة التي لا تتوافق مع الوجود البشريِّ وأصبح شخصًا بشريًّا، محصورًا في حدود جسدٍ بشريٍّ.

بالنظر إلى إعادة تعريف OKC لكلٍّ من «الطبيعة» و«الشخص»، يتبع ذلك ثلاثة آثار. أوَّلاً، ترفض OKC «التجاوُز». في الواقع، هذا مستحيل من الناحية الميتافيزيقيَّة لأنَّ الإخلاء يستلزم أن يُقيَّد الابن، على الأقلِّ مؤقَّتًا، بجسده البشريِّ. ثانيًا، يستلزم ذلك أيضًا أن يكون لدى الله ثلاثة مراكز متمايزة للوعي والإرادة والعقل،[١٥] على عكس العقيدة التي تؤكِّد أنَّ الأشخاص الإلهيِّين متمايزون ولكنَّهم يشتركون في نفس القدرة على الاختيار لأنَّهم يشتركون في نفس الطبيعة. ثالثًا، ترفض OKC أيضًا عنصرًا أساسيًّا في لاهوت التثليث، أي المجريات غير المنفصلة للأشخاص الإلهيِّين من خلال إرادتهم الواحدة.[١٦]

على الرغم من أنَّ OKC تؤكِّد أنَّ المسيح هو «شخص واحد في طبيعتين»، فإنَّ إعادة تعريفها لهذه المصطلحات لم يعد يعكس إيمان خلقيدونية. ومع ذلك، تصرُّ OKC على أنَّ نهجها «أفضل». لماذا؟ يعتقد أنصار OKC أنَّهم ينظرون إلى الله بشكل أكثر علاقاتيَّة (وليس على أنَّه غير قابل للتغيُّر أو للتألُّم)، وبالتالي يعتقدون أنَّهم يأخذون إنسانيَّة المسيح بجديَّة أكبر ويمكنهم تجاهل الأفكار الصعبة مثل القول بالمشيئتين أو «التجاوُز».[١٧] ولكن قبل أن نقيِّم ما إذا كانت هذه النظرة «أفضل» أم لا، دعنا نصف وجهة النظر الأكثر شيوعًا والأقلَّ راديكاليَّة المتعلِّقة بالإخلائيَّة الوظيفيَّة.

١٥ حول هذه النقطة، انظر:

Thomas H. McCall, *Which Trinity? Whose Monotheism? Philosophical and Systematic Theologians on the Metaphysics of Trinitarian Theology* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2010), 12–19, 87–105.

16 Thompson and Plantinga, "Trinity and Kenosis," 189.

17 Evans, "Introduction," 3, 7–8.

الكريستولوجيا الإخلائيَّة الوظيفيَّة (FKC)

هناك العديد من الفروق الدقيقة في FKC، ولكن من الأفضل فهم تلك النظرة من خلال مقارنتها مع الكريستولوجيا الكلاسيكيَّة ومع OKC في أربع خطوات.[١٨]

أوَّلاً، فيما يتعلَّق بـ «الطبيعة الإلهيَّة»، تصرُّ FKC مع الأرثوذكسيا ضدَّ OKC على أنَّ التمييز بين الذاتيِّ والحادث هو أمر غير مشروع. فالتجسُّد ليس تجرُّدًا من صفات إلهيَّة. إنَّ الابن المتجسِّد هو الله الكامل. وهو يتمتَّع بالطبيعة الإلهيَّة بأكملها وبالتالي فهو كذلك واحد مع الآب والروح في جوهر اللاهوت.[١٩]

ثانيًا، فيما يتعلَّق بـ «الشخص»، تتَّفق FKC مع OKC ضدَ الإيمان الأرثوذكسيِّ: الشخص هو مركز متمايز للمعرفة والإرادة والتصرُّف. أي أنَّ الإرادة والعقل موجودان في الشخص، وليس الطبيعة؛ ومن هنا جاء اعتناق FKC لمفهوم المشيئة الواحدة.[٢٠] كثيرون من مؤيِّديها أيضًا يساوون الإنسان بالنفس، حتَّى أنَّ الابن يصبح هو النفس في الجسد البشريِّ، على غرار ما تعلِّم به الأبوليناريَّة.[٢١] ومع ذلك، فمن الناحية الفنِّيَّة الدقيقة، كما يلاحظ

١٨ الأمثلة على FKC تشمل:

Gerald F. Hawthorne, *The Presence and the Power: The Significance of the Holy Spirit in the Life and Ministry of Jesus* (repr., Eugene, OR: Wipf and Stock, 2003); Klaus Issler, *Living into the Life of Jesus: The Formation of Christian Character* (Downers Grove, IL: IVP Books, 2012); Garrett J. DeWeese, "One Person, Two Natures: Two Metaphysical Models of the Incarnation," in *Jesus in Trinitarian Perspective: An Intermediate Christology*, ed. Fred Sanders and Klaus Issler (Nashville: B&H Academic, 2007), 114–53; J. P. Moreland and William Lane Craig, *Philosophical Foundations for a Christian Worldview* (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2003), 597–614.

19 Moreland and Craig, *Philosophical Foundations*, 607.

20 DeWeese, "One Person, Two Natures," 144–49; Moreland and Craig, *Philosophical Foundations*, 611–12.

21 DeWeese, "One Person, Two Natures," 147–48; Moreland and Craig, *Philosophical Foundations*, 608–10.

أولِفر كرِسب Oliver Crisp، فإنَّ FKC تنفي أنَّ «الكلمة يحلُّ محلَّ النفس البشريَّة الموجودة. بل بدلاً من ذلك، يصبح الكلمة هو النفس في جسد المسيح.»[٢٢]

ثالثًا، تختلف FKC عن الكريستولوجيا الكلاسيكيَّة فيما يتعلَّق بممارسة الابن لصفاته الإلهيَّة أو باستخدامه الوظيفيِّ لها. على وجه التحديد، تنكر FKC أنَّ الابن المتجسِّد يمارس باستمرار صفاته الإلهيَّة، مثل الاعتناء بالكون وأداء المعجزات. ومع ذلك، هناك طيف من الفكر داخل FKC حول كيفيَّة استخدام الابن المتجسِّد لصفاته الإلهيَّة. إذ يصرُّ البعض على أنَّ يسوع لم يمارسها أبدًا، وأنَّ كلَّ أفعاله «الإلهيَّة» يقوم بها الروح، على نحو مشابه لكلِّ الرجال الآخرين الذين زوَّدهم الروح بالقوَّة، ولكن كان هذا بمقدار أعظم في حالة المسيح. يعتقد البعض الآخر أنَّ يسوع يستخدم صفاته الإلهيَّة في بعض المناسبات ولكنَّه يعيش حياته أغلب الوقت كإنسان يعمل الروح من خلاله.[٢٣] وهكذا ترفض FKC مبدأ «التجاوُز» بخصوص هذه النقطة. تؤكِّد الكريستولوجيا المسيحيَّة الكلاسيكيَّة أنَّ الابن يعيش حياة بشريَّة كاملة، ومع ذلك يستمرُّ في عيش الحياة الإلهيَّة «مُتجاوزًا» (extra) طبيعته البشريَّة، إذ يعيش الابن في كلتا الطبيعتين ويتصرَّف من خلالهما. ولكن بالنظر إلى وجهة نظر FKC المختصَّة بأنَّ الإرادة والعقل موجودان في الشخص، تتولَّد هنا إشكاليَّة في مبدأ «التجاوُز»، إلى جانب النصوص التي تعلِّم أنَّ الابن المتجسِّد يستمرُّ في العناية بالكون (كولوسي ١: ١٧؛ العبرانيِّين ١: ٣).[٢٤]

رابعًا، غالبًا ما ترتبط FKC بـ «كريستولوجيا الروح»، على الرغم من أنَّه

22 Crisp, *Divinity and Humanity*, 50.

٢٣ يمثل هوثورن الرأي الأوَّل بينما يمثِّل إسلَر الرأي الثاني.

٢٤ إنَّ تأكيد الوظائف الكونية المستمرَّة للابن المتجسِّد هو أمر يميِّز النظرة الكلاسيكيَّة عن غيرها من النظرات الإخلائيَّة. على سبيل المثال، يشرح إسلَر كولوسي ١: ١٧ والعبرانيِّين ١: ٣ بالقول أنَّ الابن قبل التجسُّد قرَّر مؤقتًا تفويض وظائفه الكونيَّة للآب والروح.

Living into the Life of Jesus, 125n31.

يمكن تطبيق تلك التسمية على وجهات نظر متنوِّعة.[٢٥] العديد من دعاة FKC مدينون لكتاب جيرالد هوثورن Gerald Hawthorne بعنوان The Presence and the Power [الحضور والقوَّة]، الذي فيه يبحث هوثورن عن دور الروح في حياة يسوع وخدمته. وهو مقتنع بأنَّ علاقة الروح بالابن قد تمَّ التقليل من قيمتها في السياق اللاهوتيِّ. يصرُّ هوثورن على أنَّ الابن، عندما صار إنسانًا، لم «يتخلَّ» عن صفاته الإلهيَّة ولكنَّه «أراد التخلِّي عن ممارسة قواه الإلهيَّة وصفاته وامتيازاته، حتَّى يتمكَّن من العيش بشكل كامل ضمن تلك القيود التي تكمن في كونه إنسانًا بالحقيقة.»[٢٦] بهذه الطريقة، يصبح استخدام المسيح لصفاته الإلهيَّة «مُمكنًا أو كامنًا ... حاضرًا في يسوع في كلِّ ملئه، ولكن ليس من حيث الممارسة العمليَّة».[٢٧] والنتيجة: اختار الابن المتجسِّد أن يعيش حياة مقيَّدة تمامًا (أو في معظمها، بحسب البعض) بطبيعته البشريَّة. وهكذا عندما يعترف يسوع بجهله، أو ينمو في المعرفة، أو يمارس قوَّته، يصرُّ هوثورن (والعديد من أنصار FKC أيضًا) على أنَّ يسوع لا يستخدم صفاته الإلهيَّة، ولكنَّه يعمل فقط بقوَّة الروح. وهكذا، فإنَّ كلَّ (أو معظم) أفعال يسوع الإلهيَّة (معجزاته) هي من صنع الروح، تمامًا كما هو الحال مع الرجال الآخرين الذين زوَّدهم الروح القدس بالقوَّة. وهكذا إذًا، يمكن أن يكون يسوع مثالاً لنا، إذ يوضِّح لنا كيف نعيش معتمدين على الروح.

تأمُّلات نقديَّة في النزعات الإخلائيَّة بين الإنجيليِّين

ما الذي يجب أن نستخلصه من الإخلائيَّة الإنجيليَّة؟ يمكن قول

25 Myk Habets, *The Anointed Son: A Trinitarian Spirit Christology*, Princeton Theological Monograph Series 129 (Eugene, OR: Pickwick, 2010).

26 Hawthorne, *The Presence and the Power*, 208.

27 Hawthorne, *The Presence and the Power*, 208.

الكثير هنا. لكنَّني سأقدِّم ثلاثة تأمُّلات نقديَّة بهدف إظهار أنَّ وجهة النظر الكلاسيكيَّة لا تزال مُفضَّلة.

الإخلائيَّة الإنجيليَّة والتعريف الخلقيدونيُّ

على الرغم من أنَّ OKC وFKC تدَّعيان التزامهما الرسميَّ بالإيمان الخلقيدونيِّ، فهما تنحرفان عنه في نقاط مهمَّة. هذا هو الحال بشكلٍ خاصٍّ في إعادة تعريف OKC للطبيعة الإلهيَّة وفي أعادة تعريف كلا الرأيين لـ «الشخص»، ومعادلة الشخص بالروح، واعتناق مذهب المشيئة الواحدة. بالنظر إلى هذه الاختلافات الرئيسيَّة، يجب على المرء أن يتساءل، إلى أيِّ مدى يمكن إعادة تعريف لاهوت خلقيدونية بما يحفظه في إطار الإيمان الخلقيدونيِّ الحقيقيِّ؟ لا شكَّ أنَّ قوانين وإقرارات الإيمان هي معايير ثانويَّة وقابلة للمراجعة. ومع ذلك، بالنظر إلى الإجماع الكاثوليكيِّ على خلقيدونية، يجب على المرء أن يثبت أنَّ وجهات النظر «المستحدثة» هي كتابيَّة أكثر ومتفوِّقة من الناحية اللاهوتيَّة، وهو أمر مشكوك فيه في هذه الحالة.

إعادة تعريف OKC لـ «الطبيعة» والآثار الكريستولوجيَّة لذلك

إنَّ أخطر اعتراض على OKC هو إعادة تعريفها للطبيعة الإلهيَّة وما يقابله من عدم قدرتها على دعم ألوهيَّة المسيح الكاملة ولاهوت التثليث الأرثوذكسيِّ.

أوَّلاً، تقدِّم OKC طريقة منطقيَّة للتحدُّث عن ألوهيَّة المسيح ولكن ليس بالطريقة الكتابيَّة. لا يسمح الكتاب المقدَّس بحدٍّ أدنى أو نواة

للألوهـة أو الطبيعـة الإلهيَّـة تتميَّـز بالافتقـار إلـى بعـض الصفـات الإلهيَّة. كما يقـول ديفيـد وِلـز: «إنَّ الإلـه الوحيـد الـذي تتحـدَّث عنـه الأسـفار المقدَّسـة هـو الشـخص القـادر علـى كلِّ شـيء، ويعـرف كلَّ شـيء، وهـو موجـود فـي كلِّ مـكان. بحكـم التعريـف، فـإنَّ الإلـه الـذي تقلَّصـت قوَّتـه ومعرفتـه ليـس هـو إلـه الكتـاب المقـدَّس».[٢٨]

ثانيًـا، يُعتبـر تمييـز OKC بيـن الذاتـيِّ والحـادث تمييـزًا اعتباطيًّـا وغيـر متَّسِـق. كمـا يجـادل جيمـس مورلانـد J. P. Moreland ووِيليـام لين كريـغ William Lane Craig، فـإنَّ القـول بـأنَّ الله لـه «خصائـص جوهريَّـة -مثـل كونـه كلـيَّ المعرفـة إلاَّ عندمـا يتجسَّـد إخلائيًّـا-، والتـي لـم يتخـلَّ عنهـا أبـدًا وهـي كافيـة لتحقيـق الألوهـة»، هـو ليـس قـولاً فارغًـا «مـن الناحيـة التفسـيريَّة»، ولكـن مـن الناحيـة [الأنطولوجيَّـة] الوجوديَّـة أيضًـا، «ليـس مـن الواضـح حتَّـى أنَّـه توجـد خصائـص علـى غـرار كـون أحدهـم يعـرف كلَّ شـيء إلاَّ عندمـا يتجسَّـد إخلائيًّـا.»[٢٩] أيضًـا، كمـا يلاحـظ كرِسـب، فـإنَّ وجهـة النظـر هـذه متعسِّـفة. إذ يكتـب:

> مـن الصعـب جـدًّا بالفعـل معرفـة مـكان لرسـم الخـطِّ الفاصـل بيـن الخصائـص الحادثـة والذاتيَّـة. لأنَّـه إذا تبيَّـن أنَّ العلـم الكلـيَّ هـو أمـرٌ حـادث وليـس خاصِّيَّـة إلهيَّـة ذاتيَّـة، فمـا الـذي سـنفعله بالقـدرة المطلقـة أو الوجـود المطلـق أو السـرمديَّة أو الإحسـان، وهـي مثـال لأربـع صفـات إلهيَّـة أخـرى يُعتقَـد تقليديًّـا أنهـا صفـات ذاتيَّـة للطبيعة الإلهيَّـة؟[٣٠]

أيضًـا، لمـاذا نتوقَّـف عنـد صفـات إلهيَّـة معيَّنـة؟ لمـاذا لا ننظـر إلـى

28 Wells, *Person of Christ*, 138.

29 Moreland and Craig, *Philosophical Foundations*, 607.

30 Crisp, *Divinity and Humanity*, 132.

الصفـات الإلهيَّـة الأخـرى مثـل القيُّوميَّـة والسـرمديَّة؟[٣١] ففـي النهايـة، كيـف يمكننـا أن نفهـم مـوت المسـيح بـدون التخلِّـي عـن هـذه الصفـات؟ وحقيقـة أنَّ OKC لا تفعـل ذلـك يـدلُّ علـى شـيءٍ مـن الاعتبـاط.

ثالثًـا، لا تسـتطيع OKC تأكيـد أنَّ الابـن المتجسِّـد هـو واحـد مـع الآب والـروح فـي الألوهـة إذا احتفـظ الآب والـروح بـكلِّ الصفـات الإلهيَّـة (الذاتيَّـة والحادثـة) ولـم يحتفـظ بهـا الابـن. حتَّـى لـو كانـت هـذه الحالـة مؤقَّتـة، فـإنَّ الابـن لا يشـترك فـي نفـس الطبيعـة بشـكل كامـل مـع الآب والـروح. وهـذا لا ينـمُّ عـن تشـابهٍ أريوسـيٍّ فحسـب، بـل إنَّـه أيضًـا يجعـل الثالـوث وكأنَّـه «ثانـون [مـن اثنيـن]» لفتـرة معيَّنـة.[٣٢]

رابعًـا، تقـوِّض OKC الاتِّصاليَّـة بيـن الكلمـة الأبـديِّ (باليونانيَّـة: Logos asarkos) والكلمـة المتجسِّـد (باليونانيَّـة: Logos ensarkos)، ممَّـا يعنـي تغييـرًا فـي العلاقـات الثالوثيَّـة الداخليَّـة للأقانيـم. على سـبيل المثـال، فـي التجسُّـد «يتخلَّـى» الابـن عـن معرفتـه المطلقـة، ممَّـا يعنـي أنَّ معرفتـه قـد تغيَّـرت. لا شـكَّ أنَّـه ليـس مـن السـهل شـرح الأبعـاد النفسـانيَّة لـدى الابـن المتجسِّـد. ومـع ذلـك، علـى عكـس OKC، تتمتَّـع الكريسـتولوجيا الكلاسـيكيَّة بالمعطيـات الميتافيزيقيَّـة اللازمـة للحفـاظ علـى ألوهيَّـة المسـيح الكاملـة وإنسـانيَّته. يعيـش الابـن الإلهـيُّ فـي طبيعتيـن؛ طبيعتيـن تتضمَّنـان مَلَـكات الإرادة والعقـل. وهـذا يسـمح لنـا أن نتحـدَّث عـن النمـوِّ البشـريِّ الحقيقـيِّ للمسـيح دون أن نطمـس المعرفـة الإلهيَّـة الأبديَّـة للابـن. إنَّ OKC تقـوِّض الحقيقـة الكتابيَّـة وتسـمح بتغييـر الله.

خامسًـا، لا تسـتطيع OKC تفسـير الوظائـف الكونيَّـة للابـن المتجسِّـد

31 Moreland and Craig, *Philosophical Foundations*, 608.

٣٢ بخصوص هذه النقطة، انظر:

Crisp, *Divinity and Humanity*, 127–31.

(كولوسي ١: ١٧؛ العبرانيّين ١: ٣). لا يعلِّم الكتاب المقدَّس أنَّ الابن توقَّف مؤقَّتًا عن العناية بالكون، تاركًا المهمَّة ليقوم بها الآب والروح فقط.[٣٣] في الواقع، يتكلَّم الكتاب المقدَّس عن أنَّ الأقانيم الثلاثة يتصرَّفون بشكل لا ينفصل ومستمرٍّ في كلِّ عملٍ من أعمالهم الخارجيَّة، بما في ذلك أعمال العناية.

باختصار، إنَّ OKC تقوِّض ألوهيَّة المسيح وعامِليَّة الثالوث، وعلى هذا النحو، فهي مُنتَقَصة ومعيبة. لا يميِّز الكتاب المقدَّس في أيِّ مكان بين الأقانيم الإلهيِّين من خلال امتلاك/عدم امتلاك أو استخدام/عدم استخدام الصفات الإلهيَّة. بل بعكس ذلك، يعلِّم الكتاب المقدَّس أنَّ الأقانيم الإلهيِّين يشتركون بالتساوي في الطبيعة الإلهيَّة المتطابقة ويعملون بشكل لا ينفصم وفقًا لعلاقاتهم الأقنوميَّة السرمديَّة.

إعادة تعريف FKC لـ «الشخص» والآثار الكريستولوجيَّة لذلك

نظرًا لأنَّ FKC ترفض وجهة نظر OKC عن الطبيعة الإلهيَّة، لذا فهي قادرة على دعم ألوهيَّة المسيح الكامل. ومع ذلك، لا يزال يتعيَّن علينا تقييم ما إذا كانت FKC خيارًا «أفضل» من خلال التفكير في نظرتها عن «الشخص» (وهي نفس مفهوم OKC عنه). تكمن المشكلة في أنَّ إعادة تعريف «الشخص» تنتج عنها عواقب وخيمة، وعلى هذا النحو، فإنَّ FKC لا تقدِّم خيارًا «أفضل» من الكريستولوجيا الكلاسيكيَّة. قبل أن نلقي نظرة على بعض العواقب، دعنا أوَّلاً نلخِّص وجهات النظر المختلفة المطروحة عن «الشخص».

بالنسبة إلى وجهات النظر الإخلائيَّة، يتمُّ تعريف «الشخص» على

33 Evans, "Kenotic Christology and the Nature of God," 213–14.

أنَّـه مركـز متميِّـز للمعرفـة والإرادة والعمـل. وهـذا يضـع «فعـل المشـيئة» و«ملكة/قـدرة الإرادة» مـع العقـل سـويًّا فـي الشـخص وليـس فـي الطبيعـة.[٣٤] وبتطبيـق ذلـك فـي لاهـوت التثليـث، يصبـح كلُّ أقنـومٍ إلهـيٍّ لديـه إرادة وعقـل مميَّـز، وفـي الكريسـتولوجيا، تصبـح لـدى المسـيح إرادة وعقـل إلهـيٌّ واحـد (المشـيئة الواحـدة). ولكـن كيـف يمكننـا إذًا أن نفسِّـر نمـوَّ يسـوع فـي المعرفـة (لوقـا ٢: ٥٢) إذا كان فـي المسـيح شـخصٌ إلهـيٌّ واحـد، وهـو الابـن، ولـه إرادة وعقـلٌ إلهـيٌّ واحـد؟ تقتـرح OKC أنَّـه فـي التجسُّـد يجـب علـى الابـن أن «يتخلَّـى» عـن صفـات إلهيَّـة محـدَّدة، مثـل المعرفـة المطلقـة، لأنَّهـا لا تتوافـق مـع كونـه بشـرًا. أو مـن جانـب FKC، فـإنَّ الأسـاس المنطقـيَّ للإخـلاء يرجـع معظمـه إلـى فهـم كيـف يمكـن للعقـل لـدى الابـن الإلهـيِّ أن يفتقـر إلى المعرفـة، بالنظـر إلـى أنَّ قـدرات الإرادة والعقـل موجـودة فـي الشـخص.[٣٥]

ومـع ذلـك، فـإنَّ النظـرة الكلاسـيكيَّة تعـرِّف «الشـخص» علـى أنَّـه «ذات» تعيـش وتعمـل فـي «طبيعـة عقلانيَّـة».[٣٦] وتقـع «ملكة/قـدرة الإرادة» مـع العقـل سـويًّا فـي الطبيعـة. وهـذا يسـتلزم وجـود تمييـز بيـن الشـخص الـذي يتصـرَّف («قائمًـا بفعـل الإرادة») والطبيعـة (التـي تتضمَّـن «القـدرة علـى الإرادة»)، والتـي يعيـش فيهـا الشـخص ويتصـرَّف. هـذا هـو السـبب فـي أنَّ تثليـث نيقيـة أكَّـد أنَّ الآب والابـن والـروح هـم أشـخاص متمايـزون يتصرَّفـون بشـكل لا ينفصـم وفقًـا لعلاقاتهـم الأبديَّـة الجوهريَّـة (الانبثاقـات الإلهيَّـة)، فـي ومـن خـلال الطبيعـة الإلهيَّـة الواحـدة التـي يمتلكونهـا ويتشـاركون فيهـا

34 William Hasker, *Metaphysics and the Tri-Personal God*, Oxford Studies in Analytic Theology (Oxford: Oxford University Press, 2013), 206–7.

٣٥ ومـن هنـا جـاء اقتـراح مورلانـد وكريـغ لمستوييـن مـن الوعـي داخـل العقـل الإلهـيِّ الواحـد والطبيعـة اللاشـعوريَّة للمعرفـة الإلهيَّـة لـدى الابـن؛ انظـر:

Moreland and Craig, *Philosophical Foundations*, 610–12.

٣٦ علـى سـبيل المثـال، يعـرِّف بوثيـوس «الشـخص» علـى أنَّـه «جوهـر فـرديٌّ [عائـش] ذو طبيعـة عقلانيَّـة.» مُقتَبَس فـي:

Gilles Emery, "The Dignity of Being a Substance: Person, Subsistence, and Nature," *Nova et Vetera* 9, no. 4 (2011): 994.

على حدٍّ سواء. وبما أنَّ مَلكة الإرادة تكمن في الطبيعة، فإنَّ الأشخاص الإلهيِّين يتصرَّفون بشكل متمايز لأنساق عيشهم عبر قدرات الطبيعة الإلهيَّة التي تتضمَّن الإرادة نفسها.

وفي التطبيق الكريستولوجيِّ، تستلزم النظرة الكلاسيكيَّة أنَّ الشخص الواحد (الابن) هو الذات القائمة في الطبيعتين، يتصرَّف في كلٍّ طبيعة ومن خلالها. وهكذا، يمكن للابن أن يتصرَّف كإنسان وفقًا لإرادته البشريَّة المتمايزة وأن يعيش ويختبر حياة بشريَّة كاملة. لكنَّ الابن ليس مقيَّدًا تمامًا بطبيعته البشريَّة (ومن هنا جاء مبدأ «التجاوُز») لأنَّه يستمرُّ في العيش والتصرُّف من خلال الطبيعة الإلهيَّة وفقًا لعلاقته المُرتَّبة سرمديًّا (باليونانيَّة: taxis) مع الآب والروح.[٣٧] إذًا، فإنَّ النظرة الكلاسيكيَّة توفِّر الأساس الميتافيزيقيَّ للمسيح الذي لديه إرادتان وعقلان. يمكن لهذا أن يفسِّر كيف يمكن للابن أن يعيش حياة إلهيَّة كاملة ويستمرُّ في التصرُّف باعتباره الله الابن (كما فعل دائمًا) والآن يعيش حياة بشريَّة كاملة (من خلال طبيعته البشريَّة، المكوَّنة من ثنائيَّة الجسد والروح) ولكن مع بقاء كلِّ طبيعة على حالها. هذه التفسيرات، مع ذلك، ليست ممكنة مع وجهة النظر الإخلاتيَّة، نظرًا لإعادة تعريفها لـ «الشخص».

إذًا، أين يتركنا هذا؟ تختلف الكريستولوجيا الكلاسيكيَّة والإخلاتيَّة حول ماهيَّة الشخص، ومقتضيات كلِّ وجهة نظر فيهما مهمَّة. إذًا، كيف نقرِّر بينهما؟ الجواب: الكتاب المقدَّس؛ يجب أن نسأل، أيُّ رأيٍ في الرأيين يفسِّر بشكل أفضل كل المعطيات الكتابية اللاهوتيَّة، ليس فقط من حيث النصوص المحدَّدة، ولكن أيضًا من حيث الاستدلالات والعواقب اللاهوتيَّة؟ هناك ما لا يقلُّ عن ثلاث مشكلات كبيرة في FKC (والتي تنطبق أيضًا على OKC).

37 Gilles Emery, *The Trinitarian Theology of St. Thomas Aquinas* (Oxford: Oxford University Press, 2007), 51–127, 338–412.

أوَّلاً، تواجه FKC صعوبة في تفسير كيفيَّة تقديم الكتاب المقدَّس لعمل المسيح الإلهيِّ في حياته وخدمته. كما لوحظ في الفصول السابقة، فما تقدِّمه الأناجيل عن افتتاح يسوع للملكوت وتعاليمه ومعجزاته، كلُّ هذا ليس مجرَّد أفعال ذات قدرة روحيَّة؛ بل هي أيضًا أفعال إلهيَّة تعرِّفنا به كربٍّ. فبصفته الابن، يغفر يسوع الخطيَّة ويتقبَّل عبادتنا ويمارس السلطان الإلهيَّ. لا شكَّ أنَّ هذه الأفعال يقوم بها الابن المتجسِّد، ومع ذلك لا يمكن للمرء أن يفسِّر يسوع بعبارات تضعه فقط في فئة الآخرين من البشر الذين تمَّ تزويدهم بالقوَّة من قِبَل الروح القدس. إنَّ هويَّته هي إلهيَّة حتَّى النخاع. وهو يوضِّح أنَّه الله الابن في كلِّ ما يقوله ويفعله. تُعلَّم هذه الحقيقة بشكلٍ خاصٍّ في الوظائف الكونيَّة المستمرَّة للابن المتجسِّد (كولوسي ١: ١٧؛ العبرانيِّين ١: ٣). تتطلَّب هذه النصوص أن يستمرَّ الابن، حتى بعد التجسُّد، في ممارسة صفاته الإلهيَّة بصفته الابن، من خلال طبيعته الإلهيَّة، مرتبطًا بالآب والروح.

ومع ذلك، في هذه المرحلة بالتحديد، تتعثَّر FKC. إذ يدَّعي البعض أنَّ الابن لم يمارس صفاته الإلهيَّة أبدًا على الأرض؛ ويدَّعي الآخرون أنَّه فعل ذلك في بعض الأحيان. في كلتا الحالتين، تنكر FKC، بالمخالفة للكتاب المقدَّس، أنَّ الابن يمارس باستمرار صفاته الإلهيَّة. في الواقع، نظرًا لوجهة نظرها حول «الشخص»، فإنَّ FKC يصعب عليها، إن لم يكن مستحيلاً، أن تقرَّ بمبدأ «التجاوُز». ولكن برفض مبدأ «التجاوُز» والتعريف المصاحب له عن الـ «الشخص»، كيف يمكن للمرء أن يفهم أنَّ الابن يتصرَّف من خلال كلتا الطبيعتين وبالتالي يستمرُّ في العناية بالكون في ملء طبيعته الإلهيَّة؟ كما أنَّ «الحلَّ» الذي تقدِّمه FKC -ألا وهو أنَّ الآب والروح اعتنيا بالكون مؤقتًا[٣٨]- لم ينكره الكتاب المقدَّس فحسب (كولوسي ١: ١٧؛ العبرانيِّين ١: ٣)، بل إنَّه يتنازل عن وحدة العامليَّة

38 Issler, *Living into the Life of Jesus*, 125n31.

الثالوثيَّة ويؤدِّي إلى تأكيد التغيير في محتوى الألوهيَّة الأقنوميِّ لدى الابن.

ثانيًا، تقدِّم FKC مزيدًا من المشاكل المتعلِّقة بالثالوث. على سبيل المثال، يعتقد العديد من المدافعين عن FKC أنَّ دور الروح القدس في حياة المسيح هو المفتاح لفهم التجسُّد. ويقترحون أنَّ الابن المتجسِّد إمَّا أنَّه لا يمارس صفاته الإلهيَّة أبدًا (مثل هوثورن) أو نادرًا (مثل ديويس DeWeese وإسلَر Issler). وبدلاً من ذلك، فإنَّ كلَّ أو معظم أعمال المسيح الفريدة من نوعها قام بها الروح وليس هو. ولكن وفقًا لمثل هذه النظرة، ماذا عن عامِليَّة الابن في تصرُّفاته؟ يبدو الأمر كما لو أنَّ الابن قد اختفى وأنَّ العامل النشِط هو الروح وحده. سيصير هذا منطقيًّا إذا كانت عامليَّة الروح هي نفسها الموجودة في الأشخاص الآخرين الذين تمَّ تزويدهم بالقوَّة من الروح القدس. لكن في حالة الرجال الآخرين (مثل موسى وإيليَّا)، لم يكن الرجل هو من يقوم بالعمل الفوقطبيعيِّ، بل الله هو الذي يعمل من خلال الإنسان كأداة. لكنَّ حالة المسيح مختلفة، لأنَّه الابن الثالوثيُّ. فالروح ليس عنصرًا «خارجيًّا» بالنسبة له، والابن، كذاتٍ لكلتا الطبيعتين، لا يُجرَّد من نشاط طبيعته البشريَّة، حتَّى لو كان الروح يعمل أيضًا.[٣٩] في الواقع، بالنظر إلى الاتِّحاد الأقنوميِّ، لا يمكننا إزالة الابن من طبيعته البشريَّة واستبدالها بعمل الروح «الخارجيِّ» عليه. فبذلك، تشوَّه عامليَّة الثالوث ونظامه، وأعمال الابن لا تعود تُحسَب له.

ما نحتاجه هو العودة إلى الأرثوذكسيا الثالوثيَّة الكلاسيكيَّة، بتعريفها «للشخص» وعامليَّتها الثالوثيَّة التي تتحرَّك باستمرار من كيفيَّة ارتباط الأشخاص الإلهيِّين داخليًّا (الانبثاقات الإلهيَّة) إلى أعمالهم الخارجيَّة

39 Oliver D. Crisp, *Revisioning Christology: Theology in the Reformed Tradition* (Burlington, VT: Ashgate, 2011), 100–107.

(الإرساليَّات الإلهيَّة).[٤٠] وهذا يعطي معنًى أفضل لكيفيَّة عمل الابن من الآب (يوحنَّا ٥: ١٩-٣٠) وبالروح (يوحنَّا ٣: ٣٤؛ أعمال ١٠: ٣٨)؛ وكيف فعلاً أنَّ الابن هو الذات العاملة لكلتا الطبيعتين، الذات التي ينطلق منها الروح وفقًا للنظام الثالوثيِّ والذات التي تستقبل الروح في الطبيعة البشريَّة.[٤١] بهذه الطريقة، يتَّخذ الابن الإلهيُّ وحده طبيعة بشريَّة، لكنَّ الروح يملأ تلك الطبيعة في نفس الوقت. هكذا، تقبل بشريَّة المسيح الروح القدس المنبثق من الآب والابن. ويتيح قبول الروح هذا للمسيح أن يعيش ويعمل كإنسان بعمل الروح القدس على الطبيعة البشريَّة للمسيح، حتَّى يستطيع الابن الإلهيُّ، في بشريَّته، أن يفدينا كممثِّلنا، ورأس العهد، والبديل النائب.[٤٢]

ثالثًا، نظرًا لإعادة تعريف FKC لـ «الشخص»، فقد قوَّض مؤيِّدوها ما يزعمون أنَّه من الأفضل التمسُّك به، ألا وهو إنسانيَّة المسيح الكاملة المُماثلة لإنسانيَّتنا. يعلِّمنا الكتاب المقدس أنَّ إنسانيَّة المسيح تشبه إنسانيَّتنا إلاَّ فيما يتعلَّق بالخطيَّة (على سبيل المثال، رومية ٨: ٣؛ العبرانيِّين ٢: ١٤، ١٧). وهذه الحقيقة ذات أهميَّة حيويَّة: إذا لم يكن المسيح إنسانًا بالكامل، فلا يمكنه تمثيلنا كوسيط لنا. في الواقع، يجب أن يكون نوع الفادي الذي نحتاجه هو الله بالكامل وإنسان بالكامل. لا شكَّ أنَّ FKC تؤكِّد هذه الحقيقة. كما أنَّها تتَّهم الكريستولوجيا الكلاسيكيَّة باستمرار بأنَّ لها ميول دوسيتيَّة.[٤٣] ومع ذلك، فمن المفارقات الطريفة أنَّها تواجه

40 Gilles Emery, *Trinity, Church, and the Human Person: Thomistic Essays* (Naples, FL: Sapientia, 2007), 115–53; Lewis Ayres, *Nicaea and Its Legacy: An Approach to Fourth-Century Trinitarian Theology* (Oxford: Oxford University Press, 2004).

41 Dominic Legge, *The Trinitarian Christology of St. Thomas Aquinas* (Oxford: Oxford University Press, 2017), 131–231.

42 Michael Horton, *Rediscovering the Holy Spirit: God's Perfecting Presence in Creation, Redemption, and Everyday Life* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2017), 81–104.

43 Gordon D. Fee, "The New Testament and Kenosis Christology," in Evans, *Exploring Kenotic Christology*, 25.

مشاكل خطيرة حين تحاول أن تشرح كيف تكون إنسانيَّة المسيح مماثلة لإنسانيَّتنا.

لماذا؟ أوَّلاً، النزعة الإخلائيَّة تساوي الشخص بالنفس: اتِّخاذ الابن لطبيعة بشريَّة يعني أنَّه يصبح نفسًا بشريَّة.[٤٤] لكنَّ هذا يستلزم أنَّ الابن لم يتَّخذ نفسًا بشريَّة مستقلَّة، خلافًا للتعريف الخلقيدونيِّ، وبالتالي فنفسه البشريَّة على ما يبدو مختلفة عنَّا. ثانيًا، تضع النزعة الإخلائيَّة «ملكات/قدرات الإرادة والعقل» في الشخص، وبالتالي تستلزم إرادة إلهيَّة وعقلاً إلهيًّا واحدًا في المسيح. هذا يعني، أنَّه لا يوجد في المسيح إرادة أو عقل بشريٌّ متمايز، وهنا يبدو أيضًا أنَّه يختلف عنَّا. ربَّما، يمكن للمرء أن يقول إنَّ الابن لديه إرادة واحدة ذات وجهين، لكنَّ هذا ليس نفس الشيء حين تكون هناك إرادتان مختلفتان.[٤٥] ولكن إذا كان الابن لا يتصرَّف ويفكِّر وينمو في المعرفة ويعبِّر عن المشاعر البشريَّة كإنسان (الأمر الذي يبدو أنَّه يتطلَّب نفسًا وإرادة وعقلاً بشريًّا متمايزًا)، فمن الصعب أن نتخيَّل كيف يكون يسوع مثلنا، والأهمُّ من ذلك، كيف سيطيع نيابةً عنَّا كفادينا.

عند هذه النقطة، غالبًا ما تفترض الآراء الإخلائيَّة نوعًا من «الازدواجيَّة» في المسيح، على غرار الكريستولوجيا الكلاسيكيَّة، ولكن بدون أسسها الميتافيزيقيَّة. على سبيل المثال، عندما يتعلَّق الأمر بالوعي، تتحدَّث FKC عن الوعي الإلهيِّ والإنسانيِّ أو المعرفة اللاشعوريَّة الإلهيَّة «تحت» معرفة الإنسان الواعية. يذكر مورلاند وكريغ ذلك بهذه الطريقة:

> على الرغم من أنَّ الكلمة يمتلك كلَّ المعرفة عن العالم من ميكانيكا الكمِّ إلى ميكانيكا السيارات، فلا يوجد سبب للاعتقاد بأنَّ

44 Moreland and Craig, *Philosophical Foundations*, 610.

45 Crisp makes this point in *Divinity and Humanity*, 57–61.

يسوع الناصريَّ كان قادرًا على الإجابة عن أسئلة حول مثل هذه الموضوعات، إذ أخلى نفسه للغاية وانحنى متنازلاً ليلبس طبيعتنا وحالتنا الإنسانيَّة.[٤٦]

أو «فقط تلك الجوانب الشخصيَّة التي تتوائم مع الخبرة الإنسانيَّة النموذجيَّة هي التي سَمَحَ الابنُ أن تكون جزءًا من وعي اليقظة لدى المسيح.»[٤٧] يمكن لهذا التفسير أن ينجح فقط إن تمسَّكت وجهات النظر الإخلائيَّة بوجود إرادتين وعقلين في المسيح. لكنَّ المشكلة أنَّهم لا يفعلون ذلك: فهم يجادلون بأنَّ هناك نفسًا/عقلاً إلهيًّا واحدًا في المسيح. بل أكثر من ذلك، في ضوء وجهة نظرهم، كيف يمكن لعقلٍ إلهيٍّ أن يحتوي مستويات مختلفة من الوعي والمعرفة؟ خلاصة القول هي أنَّ التعريف الإخلائيَّ لكلمة «شخص» يواجه صعوبة في تفسير كيف أنَّ طبيعة المسيح البشريَّة تشبه طبيعتنا، على الأقلِّ من حيث المعرفة.

هذه المشكلة نفسها صحيحة أيضًا فيما يتعلَّق بإرادة المسيح. تتحدَّث الآراء الإخلائيَّة عن إرادة إلهيَّة وأخرى إنسانيَّة في المسيح، ومع ذلك فإنَّ نظرتهم إلى الشخص تسمح بإرادة إلهيَّة واحدة فقط. يجادل مورلاند وكريغ بأنَّ يسوع كان يمتلك «وعيًا إنسانيًّا نموذجيًّا».[٤٨] كان على يسوع أن «يكافح الخوف والضعف والتجربة من أجل مواءمة إرادته مع إرادة أبيه السماوي.»[٤٩] في الواقع، «كانت إرادة الكلمة بحكم التجسُّد هي إرادة الإنسان يسوع الناصريِّ».[٥٠] المعنى الضمنيُّ لهذا الرأي هو أنَّه «في تجربته الواعية، نرى يسوع قد تعرَّض للتجربة الحقيقيَّة، على الرغم من

46 Moreland and Craig, *Philosophical Foundations*, 612.

47 Moreland and Craig, *Philosophical Foundations*, 611.

48 Moreland and Craig, *Philosophical Foundations*, 611.

49 Moreland and Craig, *Philosophical Foundations*, 611.

50 Moreland and Craig, *Philosophical Foundations*, 611.

كونه، في الواقع، مُنزَّهًا.» (أي غير قادر على ارتكاب الخطيَّة).[٥١]

ظاهريًّا، يبدو أنَّ هذا يفترض نوعًا من «ازدواجيَّة» الإرادة. لكنَّ المشكلة هي أنَّه من وجهة نظرهم، فإنَّ شخص المسيح لديه إرادة واحدة فقط. كيف إذًا يمكن للابن الإلهيِّ (الذي لديه إرادة إلهيَّة واحدة) أن يتَّخذ الخيارات البشريَّة ويقاوم الإغراء في بشريَّته بدون إرادة بشريَّة متمايزة؟ كيف يطيع الابن كإنسان؟ بتأكيدها على وجود مشيئتين، يمكن للمسيحيَّة الكلاسيكيَّة أن تفهم بشكلٍ أفضل كيف يستطيع الابن أن يعيش حياة بشريَّة كاملة وأن يمارس إرادته كإنسان.

إنَّ النزعة الإخلائيَّة تدَّعي أنَّها يمكن أن تفسِّر إنسانيَّة المسيح الكاملة بشكل أفضل من النظرة الكلاسيكيَّة، إلاَّ أنَّها في الواقع تقوِّضها. في الحقيقة، نعود هنا مرَّة أخرى إلى الكلمات الشهيرة لغريغوريوس النزينزيِّ التي تمثِّل ما دافعت عنه الكنيسة الأولى: «ما لا يُقتنى لا يُشفى.» إذا لم يتَّخذ الابن طبيعة بشريَّة مثل طبيعتنا (جسد ونفس بشريَّان)، فمن الصعب أن نرى كيف يمكن للمسيح أن يكون وسيطًا لنا ويطيع نيابةً عنَّا كإنسانٍ من أجل خلاصنا. لا يمكن للمسيح أن يقدِّم طاعةً لله نيابةً عن الإنسان إلاَّ إذا كان يمتلك إرادة ونفسًا وعقلاً بشريًّا متمايزًا. إنَّنا بحاجة إلى المسيح الذي تشبه إنسانيَّتُه إنسانيَّتَنا في كلِّ شيء ما عدا الخطيَّة.[٥٢]

إنَّ الصياغة الكريستولوجيَّة ليست سهلة، لكنَّها أسمى دعوة لدينا كمسيحيِّين. لا يوجد شيء أعظم من أن يكون لنا فكرٌ صحيحٌ من جهة

51 Moreland and Craig, *Philosophical Foundations*, 612.

٥٢ هناك مقتضيات أخرى كذلك. إذا كان العقل مكانه الشخص ولم يكن هناك عقلٌ بشريٌّ متمايز، فكيف يمكن للابن أن ينمو في المعرفة؟ ماذا عن موت المسيح؟ إذا كانت نفسه البشريَّة هي شخص الابن، فعند الموت، عندما يوضع جسده في القبر، منفصلاً عن نفسه الإلهيَّة، فهل يُنقَض الاتِّحاد الشخصانيُّ/الأقنوميُّ؟ على النقيض من ذلك، تصرُّ الكريستولوجيا الكلاسيكيَّة على أنَّه حتَّى في موت المسيح يستمرُّ التجسُّد قائمًا إذ يستمرُّ الابن في العيش في الطبيعة الإلهيَّة والنفس البشريَّة. أيضًا، يبدو أنَّ المنطق الإخلائيَّ يشير إلى أنَّ إقتناء الابن للجسم البشريِّ يؤدِّي إلى قيود دائمة وتغيير دائم في الترتيب (taxis) والمجريات الثالوثيَّة. كلُّ هذه التبعات تمثِّل إشكاليَّات.

ربِّنا يسوع المسيح. وتتطلَّب هذه المهمَّة أن نمعن التفكير فيما يعلِّم به الكتاب المقدَّس جنبًا إلى جنب مع التأمُّلات التاريخيَّة واللاهوتيَّة. فهناك العديد من المزالق التي يجب تجنُّبها.

بفضل قيام الكنيسة بالتفقُّه الكريستولوجيِّ، كانت هناك صياغة كريستولوجيَّة متَّسقة حتَّى السنوات الأخيرة. لا شكَّ أنَّ ما لدينا من علمٍ لاهوتيٍّ عن المسيح لم يكتمل أبدًا، ومع ذلك يجب على المرء إن اقترح صيغًا «مستحدثة» أن يفعل ذلك بتهيُّبٍ شديدٍ، خاصَّةً في ضوء الموافقة الكاثوليكيَّة على هذه المسألة. إنَّ المقترحات «المستحدثة» مأثورة، ولكن يجب دائمًا اختبارها من قِبَل الكتاب المقدَّس وحكمة الماضي. تزعم الآراء الإخلاقيَّة أنَّها «أفضل» من وجهة النظر «القديمة»، لكنَّ هذا الاستنتاج غير صحيح. فما زالت النظرة «القديمة» أفضل، والمطلوب أن يتمَّ التعبير عنها باهتمام اليوم. في الفصل التالي، أقدِّم ملخَّصًا لاهوتيًّا للكريستولوجيا الكلاسيكيَّة من خلال تفصيل هويَّة يسوع باعتباره الله الابن المتجسِّد.

الجزء الثالث

الخلاصة اللاهوتيَّة

الهويَّة الأرثوذكسيَّة

لربِّنا يسوع المسيح

٨

يسوع كونه اللّٰه الابن المتجسِّد

لقد غطَّينا الكثير من المناطق، والسؤال الذي طرحناه وأجبنا عنه في هذا الكتاب هو: من هو يسوع؟ والجواب من واقع الكتاب المقدَّس وإقرارات إيمان الكنيسة هو أنَّ يسوع الناصريَّ هو الله الابن المتجسِّد. في هذا الفصل، نحتاج الآن إلى تجميع القطع معًا. للقيام بذلك، سأقوم بتفصيل عشر عبارات تحاول التقاط من هو يسوع من الكتاب المقدَّس والأرثوذكسيا المُعترِفة؛ وهي تمثِّل الحقائق التي يحتاج المسيحيُّون إلى تأكيدها وتوضيحها وإعلانها اليوم. أقوم بتجميع بعض هذه النقاط معًا للتأكيد على حقائق محدَّدة، إلاَّ أنَّ العشرة جميعها ضروريَّة لفهم من هو يسوع في الكتاب المقدَّس وكم أنَّ حقَّ التجسُّد هو حقٌّ مجيد.

الابن الالهيُّ

١. إنَّ شخص أو ذات التجسُّد هو الابن السرمديُّ الإلهيُّ.

٢. بصفته الابن الإلهيَّ، الأقنوم الثاني من ثالوث الله، فهو صورة الآب وتطابقه وكلمته، وبالتالي فهو الله الكامل.

٣. بصفته الابن الإلهيَّ، فقد كان دائمًا في علاقة مُرتَّبة سرمديًّا مع الآب والروح، وهي ما تمَّ الكشف عنها الآن بشكل مجيد في التجسُّد.

من هو يسوع؟ يوحنَّا، إلى جانب الكتاب المقدَّس بأكمله، واضح بهذا الشأن: يسوع هو «الكلمة المتجسِّد» (يوحنَّا ١: ١٤). لكن بالتصريح بأنَّ الكلمة هو من صار إنسانًا، يذكِّرنا يوحنَّا بحقيقتين مهمَّتين. أوَّلاً، شخص أو ذات التجسُّد هو الكلمة/الابن، وليس الطبيعة الإلهيَّة. ثانيًا، إنَّ شخص التجسُّد هو أزليٌّ، إلهيٌّ، وفي علاقة مرتَّبة أزلاً مع الآب (والروح): كان «عِنْدَ اللهِ» (باليونانيَّة: pros ton theon)، و«كَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ.» (باليونانيَّة: theos ēn ho Logos)، ممَّا يؤكِّد العلاقات الثالوثيَّة بين الأشخاص داخل الله (يوحنَّا ١: ١).

إنَّ يسوع إذًا هو الابن الإلهيُّ الذي تشارَك أزلاً الطبيعة الإلهيَّة الواحدة غير المنقسمة مرتبطًا بالآب والروح، في المحبَّة الكاملة والشركة، وهو الذي صار إنسانًا بإضافة طبيعة بشريَّة إليه (فيلبِّي ٢: ٦-٨). ويسوع، باعتباره الابن، ليس مخلوقًا؛ بل إنَّ الابن هو الأقنوم الثاني من الله الثالوث، الذي بواسطته خُلِقَت كلُّ الأشياء وما زالت قائمة به إلى الآن (كولوسي ١: ١٥-١٧؛ العبرانيِّين ١: ١-٣). هذا الابن هو الآن الابن المتجسِّد، لكي بعمله يصبح فادينا المجيد، وربَّنا، ورأس الخليقة الجديدة.

إنَّ الأدلَّة الكتابيَّة على ألوهيَّة الابن الكاملة وفيرة جدًّا، كما ناقشنا

في الفصول ٢-٤. فمنذ الصفحات الافتتاحيَّة للعهد الجديد، يُعرَّف يسوع على أنَّه يهوه: الشخص الذي يؤسِّس الحكم الإلهيَّ بتدشين ملكوت الله من خلال عهدٍ جديدٍ تحقيقًا لوعود العهد القديم؛ وبهذا هو يفعل ما لا يستطيع أن يفعله إلاَّ الله (إشعياء ٩: ٦-٧؛ ١١: ١-١٠؛ إرميا ٣١: ٣١-٣٤؛ حزقيال ٣٤). أيضًا، بصحبة الآب والروح، يشترك الابن بشكل كامل ومتساوٍ في الاسم الإلهيِّ الواحد، والطبيعة الإلهيَّة الواحدة (متَّى ٢٨: ١٨-٢٠؛ يوحنَّا ٨: ٥٨؛ فيلبِّي ٢: ٩-١١؛ كولوسي ٢: ٩). ويُعرَّف الابن على أنَّه الله (باليونانَّة: theos؛ يوحنَّا ١: ١، ١٨؛ ٢٠: ٢٨؛ رومية ٩: ٥؛ تيطس ٢: ١٣؛ العبرانيِّين ١: ٨؛ بطرس الثانية ١: ١) لأنَّه هو صورة الآب الدقيقة وتطابقه (كولوسي ١: ١٥؛ العبرانيِّين ١: ٣). وبصفته الابن، فهو يشترك بشكل لا ينفصم مع الآب والروح في الحكم الإلهيِّ، ويتلقَّى العبادة الإلهيَّة (المزامير ١١٠: ١؛ متَّى ١: ٢١؛ أفسس ١: ٢٢؛ فيلبِّي ٢: ٩-١١؛ كولوسي ١: ١٥-٢٠؛ العبرانيِّين ١: ١-٣؛ الرؤيا ٥: ١١-١٢). هذا هو السبب في أنَّ يسوع لديه السلطان أن يغفر الخطيَّة (مرقس ٢: ٣-١٢)، وليقول إنَّ كلَّ الكتاب المقدَّس قد تحقَّق فيه (متَّى ٥: ١٧-١٩؛ ١١: ١٣)، وأن يعترف بأنَّه من الآب كابن ولكنَّه أيضًا مساوٍ للآب كالله الابن (متَّى ١١: ٢٥-٢٧؛ يوحنَّا ٥: ١٦-٣٠؛ ١٠: ١٤-٣٠؛ ١٤: ٩-١٣).

لتفسير كلِّ ما يعلِّم به الكتاب المقدَّس عن يسوع وعلاقته بالآب والروح، تميِّز الكنيسة بين شخص أو ذات التجسُّد وبين الطبيعة (أو الطبائع) التي يعيش فيها الشخص. التمييز بين الشخص والطبيعة هو تمييز لاهوتيٌّ ضروريٌّ لتفسير أطروحة الكتاب المقدَّس عن الإله الواحد الثالوث. لشرح جميع المعطيات الكتابيَّة، تميِّز الكنيسة بين الآب والابن والروح دون فصلهم إلى ثلاثة آلهة. وبدلاً من ذلك، يؤكِّد اللاهوت المسيحيُّ أنَّ هناك ثلاثة أشخاص إلهيِّين متمايزين يشتركون تمامًا في الطبيعة الإلهيَّة الواحدة غير المنقسمة، وأنَّ الطبيعة الإلهيَّة البسيطة الواحدة موجودة بالكامل في كلٍّ من الأقانيم الثلاثة بحيث يكون كلٌّ

شخص هو الله بشكل كامل ومتساوٍ.

إذًا، «الطبيعة» (باليونانيَّة: ousia؛ باللاتينيَّة: essentia, substantia)، تشير إلى ماهيَّة الكائن. إنَّ الطبيعة الإلهيَّة هي ماهيَّة الله في جوهره الواحد غير المنقسم، والتي نَصِفُها، من واقع الكتاب المقدَّس و«منطق التحليل»،[1] بالارتباط مع صفات الله وكمالاته. كذلك، الطبيعة البشريَّة هي ما يشكِّل الإنسانيَّة؛ أي مركَّب الجسد والنفس مع القدرات والملكات المصاحبة، مثل الإرادة والعقل والعواطف. أمَّا «الشخص» (باليونانيَّة: hypostasis؛ باللاتينيَّة: persona, subsistentia)، فهو ذات الطبيعة، وهو موجودٌ/حالٌّ/عائشٌ في الطبيعة ويعمل من خلالها. الأشخاص هم «ذوات متصرِّفة»؛ أمَّا الطبيعة فليست كذلك. إذًا في التجسُّد، فإنَّ الابن (الشخص)، الذي يعيش أزلاً في الطبيعة الإلهيَّة الواحدة مع الآب والروح، تصرَّف ليتَّخذ طبيعة بشريَّة (يوحنَّا ١: ١٤؛ فيلبِّي ٢: ٦-٨) وهو الآن قادر على التصرُّف من خلال كلتا الطبيعتين.

إنَّ التمييز بين الشخص والطبيعة هو حتميَّة يقتضيها الكتاب المقدَّس، ولكن لا يتفق الجميع على فحوى كلِّ مفهوم. في الواقع، ترجع الاختلافات الجوهريَّة في الصياغات الكريستولوجيَّة إلى الاختلافات المتعلِّقة بهذا التمييز، وهي نقطة تمَّت مناقشتها في الفصل السابع فيما يتعلَّق بالنزعة الإخلائيَّة. اليوم، يعرِّف الكثيرون الشخص على أنَّه «مركز متمايز للمعرفة والإرادة والحبِّ والتصرُّف»،[2] ولكن، كما لوحظ، فإنَّ وجهة النظر هذه تخلق مشاكل أكثر ممَّا تحلُّها. فنظرًا لأهميَّة هذا التمييز في علم اللاهوت، من الضروريِّ التفكير فيه أكثر: يجب شرح وجهة

1 Richard A. Muller, *Dictionary of Latin and Greek Theological Terms: Drawn Principally from Protestant Scholastic Theology* (Grand Rapids, MI: Baker, 1985), 94.

2 William Hasker, *Metaphysics and the Tri-Personal God*, Oxford Studies in Analytic Theology (Oxford: Oxford University Press, 2013), 19–25.

النظـر الكلاسـيكيَّة عـن «الشـخص» ثـمَّ تطبيقهـا علـى العلاقـات الثالوثيَّـة والكريسـتولوجيا.

وجهة نظر كلاسيكيَّة عن الـ«الشخص»

إنَّ الشـخص (١) متمايـز أنطولوجيًّـا [وجوديًّـا] عـن الطبيعـة؛ (٢) هـو الـذات أو «الأنـا» فـي الطبيعـة، باعتبـار أنَّ الطبيعـة تشـكِّل سـمات وقـدرات الشـيء (علـى سـبيل المثـال: الإرادة، العقـل)؛ و(٣) ليـس هـو النفـس.

مـن المحتمـل أنَّ التعريـف الأكثـر تأثيـرًا لكلمـة «شـخص» هـو الـذي يطرحـه بوثيـوس Boethius: «جوهـرٌ فـرديٌّ ذو طبيعـة عقلانيَّـة.»[٣] وإذ تـمَّ تطويـر التعريـف بمـرور الوقـت، فقـد تـمَّ فهـم «الجوهـر الفـرديِّ» علـى أنَّـه «الـذات» أو «الأنـا» القائمـة فـي الطبيعـة،[٤] والتـي تتصـرَّف مـن خـلال «طبيعـة عقلانيَّـة» (والتـي تشـمل قـدرات الإرادة، والعقـل، ومـا إلـى ذلـك). وفـي حالـة تطبيـق ذلـك علـى الكريسـتولوجيا، تكـون «الطبيعـة العقلانيَّـة» للبشـريَّة هـي مركَّـب الجسـد والـروح الـذي يقتنيـه الابـن، وبهـذا الاقتنـاء، فإنَّ الابـن (الشـخص) هـو إنسـان كامـل وقـادر علـى العمـل فيهـا ومـن خلالهـا.[٥]

ومـع ذلـك، عنـد تعريـف «الشـخص»، يجـب أن نميِّـز أيضًـا بيـن الأشـخاص الإلهيِّيـن والبشـريِّين. بالنظـر إلـى التمييـز بيـن الخالـق والمخلـوق،

---

٣ مُقتَبَس في:

Gilles Emery, "The Dignity of Being a Substance: Person, Subsistence, and Nature," *Nova et Vetera* 9, no. 4 (2011): 994.

4 Emery, "Dignity of Being a Substance," 995.

٥ بخصوص التمييز بين الشخص والطبيعة والعلاقة بينهما، انظر:

Herman Bavinck, *Sin and Salvation in Christ*, vol. 3 of *Reformed Dogmatics*, ed. John Bolt, trans. John Vriend (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2006), 306.

إذ يكتـب أنَّ الشـخص هـو «مالـك الطبيعـة وحائزهـا وسـيِّدها، وإكمـال وجودهـا، والمحافـظ علـى وجودهـا ومُحـدِّده، والـذات التـي تعيـش وتفكِّـر وتريـد وتتصـرَّف مـن خـلال الطبيعـة بـكل محتواهـا الوفيـر، والتـي مـن خلالهـا تصبـح الطبيعـة قائمـة بذاتهـا وليسـت مصادِفـة لكيـان آخـر».

فـإنَّ الأشـخاص الإلهيِّيـن هـم القالـب الأصلـيُّ بينمـا البشـر هـم النُسَـخ، والعلاقـة بينهمـا تخضـع للتشـابه، لكنهـا ليسـت مطلقـة. فالأشـخاص الإلهيُّـون والبشـريُّون متشـابهون ولكنَّهـم ليسـوا متطابقيـن أبـدًا. إذًا، مـا هـو الشـخص الإلهـيُّ؟

حتَّى نبني على تعريفنا الأوَّليِّ للشخص، فإنَّ الشخص الإلهيَّ هو «علاقة حيَّة عائشة»[6] في الطبيعة الإلهيَّة الواحدة غير القابلة للتجزئة، على عكس الأشخاص البشريِّين، الذين يعيشون كلٌّ في طبيعته الخاصَّة فقط. ولكن إذا كانت الطبيعة الإلهيَّة موجودة بالكامل في كلِّ شخصٍ إلهيٍّ، فكيف يتمُّ تمييز الأشخاص الإلهيِّين؟ لا يتمُّ تمييز الأشخاص بصفات إلهيَّة لأنَّ كلَّ شخص يشترك في الطبيعة الإلهيَّة بشكلٍ تامٍّ وكامل. بدلاً من ذلك، يتمُّ تمييز الأشخاص عن طريق علاقاتهم الشخصيَّة الأزليَّة القارَّة Immanent [أي الثابتة] (داخليًّا ad intra) المعروفة عن طريق الإعلان بسبب أعمال الله في الخلق والفداء (خارجيًّا ad extra). أو إن قلنا ذلك بطريقة أخرى، يتمايز الأشخاص الإلهيُّون بـ «نسق عَيْشِهم» الشخصيِّ في الطبيعة الإلهيَّة، ذلك النسق الذي يختلف لدى كلِّ شخص عن الأشخاص الآخرين وغير قابل للتَشَارُك معه[7] (أي الانبثاقات الإلهيَّة). لذلك يتمايز الآب بعلاقة الوالديَّة؛ والابن بالمولوديَّة؛ أو البنوَّة السرمديَّة؛ والروح بالنَفْث، أو الانبثاق السرمديِّ، من الآب والابن. كلُّ شخص/أقنوم إلهيٍّ هو الله، يمتلك كلَّ ما هو للطبيعة الإلهيَّة ولكنه يتمايز بنسق عَيشِه الشخصيِّ/الأقنوميِّ.[8]

من ناحيَةٍ أخرى، فإنَّ الأشخاص من البشر لا يعيشون علاقات من نفس الطبيعة. بالأحرى، كلُّ إنسان محدود، يعيش في طبيعته

6 Thomas Aquinas, *Summa Theologica* (repr., Notre Dame, IN: Christian Classics, 1981), 1:205 (40.2.1).

7 John Calvin, *Institutes of the Christian Religion*, ed. John T. McNeill, trans. Ford Lewis Battles (Philadelphia: Westminster, 1960), 1.13.6.

8 Emery, "Dignity of Being a Substance," 997–1001; cf. Gilles Emery, *The Trinitarian Theology of St. Thomas Aquinas* (Oxford: Oxford University Press, 2007), 51–150.

الملموسة. لا يوجد إنسان يعيش فيما هو أكثر من طبيعته الخاصَّة، ولا يوجد شخص يشترك في نفس الطبيعة مع شخص بشريٍّ آخر. كما أنَّ البشر الأفراد يُعرَّفون من خلال مبدأ العَيش (أي من خلال الشخص أو الذات القائمة في الطبيعة) ومبدأ التمييز (أي من خلال الطبيعة البشريَّة الملموسة). فكلُّ طبيعةٍ بشريةٍ ملموسة هي النوع نفسه من الطبيعة؛ ولكنَّها ليست نفس «المثال الحادث Instance». ومع ذلك، فإنَّ الإنسان يشبه الأشخاص الإلهيِّين لأنَّه يعيش ويعمل من خلال الطبيعة.[٩] وفي المسيح، يوجد تشابه كافٍ منذ أن اتَّخذ الابن الإلهيُّ طبيعة بشريَّة بدون شخص بشريٍّ (لا شخصانيًّا anhypostasia، بعكس التعليم النسطوريِّ)، فهو قادر على «شخصنة» (enhypostasia) طبيعته البشريَّة وأن يكون إنسانًا كاملاً على الرغم من أنَّ شخصه هو الابن الإلهيُّ.

لماذا تعتبر هذه المناقشة مهمَّة بالنسبة للكريستولوجيا ولفهم التجسُّد؟ إنَّ الفهم الصحيح للتمييز بين الشخص والطبيعة هو أمر حاسم لفهمٍ منطقيٍّ للطرح الكتابيِّ بأنَّ يسوع هو الله الابن المتجسِّد. فالشخص الإلهيُّ (الابن) الموجود في الطبيعة الإلهيَّة لم يصبح شخصًا بشريًّا، بل اتَّخذ طبيعة بشريَّة بحيث يكون الابن نفسه هو الذات التي تستمرُّ في العيش في الطبيعة الإلهيَّة كإله والآن في طبيعة بشريَّة كإنسان. ومن خلال الطبيعة الإلهيَّة، يستمرُّ الابن في التصرُّف كإله. ومن خلال طبيعته البشريَّة، فإنَّ الابن السرمديَّ «يوطِّن نفسه داخل الوعي البشريِّ وفي اللغة البشريَّة. إنَّه ‹الأنا› الإلهيَّة لرجل يعيش حياة بشريَّة حقيقيَّة».[١٠] لهذا السبب يمكن أن يقف يسوع وجهًا لوجه مع القادة اليهود ويعلن أنَّه الله: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ» (يوحنَّا ٨: ٥٨). يمكنه أن يفعل ذلك لأنَّ الابن الإلهيَّ، الأقنوم الثاني في

9 Emery, "Dignity of Being a Substance," 997–1001.

10 Jean Galot, *Who Is Christ? A Theology of the Incarnation* (Chicago: Franciscan Herald, 1981), 322.

الثالوث، هو الذي يقول ذلك. إنَّه، باعتباره الابن، هو مَن اتَّخذ طبيعة بشريَّة، وهو الذي يتكلَّم من خلال الأحبال الصوتيَّة البشريَّة ويعلن أنَّه الله.

الأشخاص/الأقانيم الثالوثيُّون وعلاقاتهم

لكي نفكِّر بشكلٍ صحيح في التجسُّد، يجب أن نفكِّر أيضًا في علاقة الابن بالآب والروح. فالكريستولوجيا تتأسَّس على الله الثالوث؛ ولا يمكننا أن نفهم ماهيَّة يسوع بمعزل عن فهم العلاقات الأزليَّة لدى الأشخاص الإلهيِّين. يتحدَّث هِرمان بافِنك عن العلاقة العضويَّة بين وجود الله الثالوثيِّ وتجسُّد الابن، فيقول: «يكمن أساس التجسُّد وافتراضه المُسبَّق في كيان الله الثالوثيِّ. فليس هناك مكان في إطار الربوبيَّة أو وحدة الوجود لتجسُّد الله».[11] في الواقع، سيسمح لنا التفكير من خلال العلاقات الثالوثيَّة لدى الأقانيم/الأشخاص بالتعمُّق أكثر في لاهوت التجسُّد والإجابة عن ثلاثة أسئلة على وجه التحديد: لماذا تجسَّدَ الابن وحده؟ ما هي علاقة الابن المتجسِّد بالآب؟ كيف يرتبط الابن المتجسِّد بالروح؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، دعونا أوَّلاً نفكِّر في العلاقات بين الأشخاص الثالوثيِّين. من خلال الوحي الإلهيِّ وأفعال الله في التاريخ، نتعلَّم كيف يرتبط الأشخاص الإلهيُّون بعضهم ببعضٍ أزلاً وحتمًا وفقًا لـ «نسق عيشهم» الشخصيِّ/الأقنوميِّ في الطبيعة الإلهيَّة. على الرغم من أنَّ الله لم يعطنا إعلانًا شاملاً عن نفسه، فإنَّنا نتوقَّع استمرارًا بين العلاقات الأقنوميَّة الداخليَّة (الانبثاقات الإلهيَّة) وأعمال الله الخارجيَّة (الإرساليَّات الإلهيَّة) بينما تجري في التاريخ الافتدائيِّ (أو ما يعرف بتدبير الفداء).

وكما لاحظنا، يتميَّز الآب والابن والروح بعلاقاتهم السرمديَّة القارَّة

11 Bavinck, *Sin and Salvation in Christ*, 274.

بين الأشخاص، والتي ينتج عنها «ترتيب» محدَّد (باليونانيَّة: taxis)، وهذا الترتيب مُعلَن في أعمال الله الخارجيَّة، بما في ذلك التجسُّد.[١٢] فالآب هو الأوَّل، وله والديَّة بسبب علاقته بالابن، وهو الذي يبادر ويرسل. والابن لديه مولوديَّة وهو مولود سرمدًا من الآب. والروح له نَفْث وينبثق سرمديًّا من الآب والابن. وفي أعمال الله، يعمل الأشخاص الثلاثة بشكل لا ينفصم من خلال الطبيعة الإلهيَّة الواحدة. ومع ذلك، يتصرَّف كلُّ شخص بشكل متمايز، بمجريات محدَّدة تنتهي على الأقانيم وفقًا لعلاقاتهم الأقنوميَّة المُرتَّبة أزلاً، أو نَسق العَيْش في الطبيعة الإلهيَّة. والنتيجة: كلُّ عملٍ خارجيٍّ من الله هو عمل واحد وغير منقسم (باللاتينيَّة: opera Trinitatis ad extra sunt indivisa)، بَيْد أنَّ الآب يبدأ ويعمل من خلال الابن، والابن يعمل من الآب، والروح يعمل من الآب والابن. مع وجود هذا اللاهوت الثالوثيِّ الأساسيِّ، يمكن أن نعود الآن إلى الأسئلة الثلاثة ونكتشف كيف تظهر علاقات الله الثالوثيَّة في التجسُّد.

أوَّلاً، لماذا تجسَّدَ الابن وحده؟ إنَّ ما يمايز الابن بشكلٍ سرمديٍّ وحتميٍّ هو أنَّه ابن الآب، والذي باعتباره ابنًا وكلمة وصورة، فهو الإعلان الكامل عن الآب، الذي يعمل من خلاله الآب، وهو القالب الأصليُّ لخِلقتنا البشريَّة كصورةٍ لله. على هذا النحو، من المناسب إذًا أن يصير هو وحده إنسانًا. ومن خلال اقتناء الطبيعة البشريَّة المخلوقة والعمل من خلالها، فإنَّ الابن يفدي شعبه ويستردُّه ويمجِّده حتى نستعيد صورتنا الخلقية وبنوَّتنا. وهكذا، بالنظر إلى هويَّة الابن مرتبطًا بالآب والروح، فمن المناسب أن يصير الابن المتجسِّد الطائع ويفعل إرادة الآب، كما فعل دائمًا، ولكنَّه يفعل ذلك الآن كإنسانٍ بالروح.[١٣] وبهذه الطريقة،

12 Gilles Emery, *Trinity, Church, and the Human Person: Thomistic Essays* (Naples, FL: Sapientia, 2007), 115–53.

13 Dominic Legge, *The Trinitarian Christology of St. Thomas Aquinas* (Oxford: Oxford University Press, 2017), 61–102.

يكـون التجسُّـد هـو نتـاج ماهيَّـة الله الثالـوث. التقـط سـكوت سـوين Scott Swain هـذه النقطـة جيِّـدًا حيـن قـال:

> إنَّ قصَّـة يسـوع، كمـا تتكشَّـف فـي علاقتـه البنويَّـة مـع أبيـه بقـوَّة الـروح، تمثِّـل ببسـاطة وجـود الله الثالوثـيِّ فـي حيِّـز التنفيـذ الزمنـيِّ، المُعلَـن ذاتيًّـا، والمنقـول ذاتيًّـا، لإصـراره الأبـديِّ أن يصبـح إلهنـا.[١٤]

ثانيًـا، مـا علاقـة الابـن المتجسِّـد بأبيـه؟ يرتبـط الابـن المتجسِّـد بأبيـه فـي علاقـة إلهيَّـة بنويَّـة كمـا فعـل منـذ الأزل، ولكـن الآن أيضًـا فـي طاعـةٍ إراديَّـة لأبيـه مـن أجـل خلاصنـا. فـي الواقـع، بسـبب التجسُّـد، يسـتطيع الابـن أن يعيـش ويعمـل مـن خـلال كلتـا الطبيعتيـن، ومـع ذلـك فـإنَّ عملـه يكـون دائمًـا مـن الآب بالـروح. وبصفتـه ابنًـا للآب، فهـو الشـخص الـذي مـن خلالـه خلـق الآب كلَّ الأشـياء، وهـو الـذي يسـتمرُّ فـي الاعتنـاء وحمـل كلِّ الأشـياء والسـيطرة عليهـا حتَّـى فـي تجسُّـده. بيْـد أنَّ الابـن نفسـه لـم يتصـرَّف أبـدًا بشـكلٍ مسـتقلٍّ عـن الآب، وكابـن، فـي بشـريَّته، يسـتمرُّ فـي العيـش فـي اعتمـادٍ كامـل علـى الآب ولكـن الآن فـي حـدود طبيعتـه البشـريَّة: إذ «يعتمـد يسـوع علـى الآب فـي حياتـه ([يوحنَّـا] ٥: ١٦)، وقوَّتـه (٥: ١٩)، ومعرفتـه (٨: ١٦)، ورسـالته (٧: ١٦)، وإرسـاليَّته (٧: ٢٨)، وتوجيهـه (١٤: ٣١)، وسـلطانه (١٧: ٢)، ومجـده (١٧: ٢٤) ومحبَّتـه (١٠: ١٧)».[١٥]

بصفتـه الابـن، كان بإمكانـه فقـط أن يفعل مـا رأى أباه يفعلـه (يوحنَّا ٥: ١٩) وبصفتـه الابـن المتجسِّـد، كان يسـوع إنسـانًا تحـت سـلطة الآب. لكـنَّ علاقتـه بأبيـه لـم تكـن مسـتحدثة. فلطالمـا كان الابـن مـن الآب. بالنظـر إلـى هـذه العلاقـة الإلهيَّة-البنويَّـة، فـإنَّ نصوصًـا مثـل يوحنَّـا ١٤: ٢٨ (راجـع كورنثـوس

14 Scott R. Swain, *The God of the Gospel: Robert Jenson's Trinitarian Theology*, Strategic Initiatives in Evangelical Theology (Downers Grove, IL: IVP Academic, 2013), 190.

15 Andreas J. Kostenberger and Scott R. Swain, *Father, Son and Spirit: The Trinity in John's Gospel*, New Studies in Biblical Theology 24 (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2008), 118.

الأولى ١٥: ٢٧-٢٨) تصبح منطقيَّة لأنَّها تتكلَّم عن الأولويَّة الأقنوميَّة للآب. فالآب هو الأوَّل في ترتيب («taxis») الحياة الثالوثيَّة، لكنَّه ليس متفوِّقًا من الناحية الأنطولوجيَّة [الوجوديَّة]. والآب هو «مصدر اللاهوت» (باللاتينيَّة: fons divinitatis) من حيث الانبثاقات الإلهيَّة، لكن ليس من حيث امتلاك المزيد من الألوهة. فكلٌّ من الأشخاص الثلاثة هو الله بالكامل، ومع ذلك فهم متمايزون وفقًا لعلاقاتهم الأقنوميَّة المُرتَّبة.

في الواقع، إنَّ طاعة الابن المتجسِّد ليست انتهاكًا لألوهيَّته، بل هي التعبير الحقيقيُّ عن علاقته البنويَّة السرمديَّة بالآب: «إنَّ طاعة الابن لتكليف الآب لا تضرُّ بسلطة الابن في التصرُّف، بل بالأحرى تثبتها. إنَّه ربُّ الكلِّ المتسلِّط -حتَّى في موته- كابنٍ مطيعٍ للآب».[16]

ثالثًا، ما علاقة الابن المتجسِّد بالروح؟ يرتبط الابن المتجسِّد بالأقانيم الإلهيِّين الآخرين كما كان مرتبطًا بهم منذ الأزل: من الآب وبواسطة الروح. لكنَّه الآن يرتبط بهم أيضًا في ضوء التجسُّد وعمله الخلاصيِّ. في التجسُّد، يتصرَّف الله كواحد، غير أنَّ الابن وحده هو الذي يتَّخذ طبيعة بشريَّة ويصبح حاضرًا في تلك الطبيعة بنسقٍ وجودٍ جديد. ومع ذلك، فقد فعل ذلك من الآب وبواسطة الروح، وكابنٍ أرسَلَ الروح أيضًا وقبلَ الروح في طبيعته البشريَّة. يجسِّد دومينيك لِج Dominic Legge هذه الحقيقة جيِّدًا حين يقول:

> عندما يتَّحد الكلمة أقنوميًّا/شخصيًّا بالطبيعة البشريَّة للمسيح، فإنَّ ذلك الكلمة ينفخ أو يتفجَّر بالحبِّ؛ أي أنَّ الكلمة يمنح الروح القدس لتلك الطبيعة البشريَّة في عطية النعمة الساكنة، التي تتفتَّح بالحكمة والمحبَّة، حتَّى يعرف المسيح الله ويحبُّه تمامًا بهذه الطبيعة ووفقًا للنسق البشريِّ المناسب ... تتَّحد طبيعة المسيح

16 Kostenberger and Swain, *Father, Son and Spirit*, 122.

البشريَّة أقنوميًّا/شخصيًّا بالابن وحده، لكنَّها تمتلئ في الوقت نفسه بحضور الروح القدس لأنَّ الابن والروح لا يفترقان أبدًا: إنَّ الروح القدس هو روح الابن. إنَّ الله يعمل في تدبير النعمة كما هو في ذاته؛ كثالوث أقانيم ينبثق فيه الروح من الابن.[١٧]

إنَّ العلاقات الثالوثيَّة، وتحديدًا علاقة الابن بالروح، تفسِّر على أفضل وجه «المواهب والنِعَم» التي أظهرها الابن المتجسِّد. فمنذ بداية الحَبَل به، يعمل الروح القدس ويقدِّس الطبيعة البشريَّة للمسيح. في الواقع، لقد أُعطيَ المسيحُ الروحَ بلا كيل أو قياس (يوحنَّا ٣: ٣٤)، وهذا هو ما يفسِّر كيف أنَّه يعيش حياته كآدم الأخير (رومية ٥: ١٨-٢١؛ العبرانيِّين ٢: ٥-١٨) نيابةً عنَّا ضامنًا فداءنا (لوقا ١: ٣٥؛ ٢: ٥٢؛ يوحنَّا ٣: ٣٤؛ أعمال الرسل ١٠: ٣٨). فالابن في بشريَّته قد وُهِب الروح القدس الذي سكن فيه ومكَّنه من تنفيذ عمله لأجلنا. بالروح يتعلَّم الطاعة، وبالتالي يؤهِّله الروح تمامًا لتمثيلنا كرأس عهدنا الجديد وللموت من أجلنا كبديل عنَّا (العبرانيِّين ٥: ٨-١٠؛ راجع رومية ٣: ٢١-٢٦). بالروح قام وتمجَّد، وأصبح أوَّل إنسان في الخليقة الجديدة وعربونًا مُمثِّلاً لتمجيدنا (كورنثوس الاولى ١٥: ٤٥-٤٩).

مع ذلك، من المهمِّ أيضًا أن نلاحظ أنَّه على الرغم من أنَّ «النِعَم» التي نُقِلَت إلى طبيعة المسيح البشريَّة لم تتعدَّ حدود تلك الطبيعة وتجعلها فوق-بشريَّة، فإنَّ امتلاك المسيح للروح كان أعظم من أيِّ إنسانٍ سابقٍ له ممَّن زوَّدهم الروح بالقوَّة. كان الروح لدى يسوع بلا كيل أو قياس، وكانت طبيعته البشريَّة موهوبة بالروح ومُمكَّنة إلى أقصى حدٍّ. وبصفته الابن، كان مرتبطًا بالروح أزلاً، وحتَّى في بشريَّته، اختبر الابن الروح وامتلكه بشكلٍ كامل ومستمرٍّ «وفقًا لقدرة الطبيعة البشريَّة الكاملة

17 Legge, *Trinitarian Christology*, 152–53.

على الاتِّحاد بالله».[١٨] وشمل ذلك ملء المعرفة الاستعلانيَّة، لكن بشكلٍ يتناسب مع عقله البشريِّ وموهبة الروح، بحيث أنَّ الابن كان يريد ويعمل كإنسانٍ في محبَّةٍ تامَّة وطاعة كاملة لمشيئة أبيه بالروح (متَّى ٢٦: ٣٦-٤٢؛ يوحنَّا ١٠: ١٤-١٨؛ العبرانيِّين ١٠: ٥-١٠).

تعلِّمنا هذه الحقائق الثلاثة الأوَّليَّة أنَّه لكي نعرف من هو يسوع، يجب علينا أوَّلاً أن ندرك أنَّ أقنوم التجسُّد هو الابن الثالوثيُّ. ولكي يكون لدينا فكر صحيح من جهته، يجب أن نفكِّر في العلاقات الثالوثيَّة الأبديَّة؛ وإلاَّ فلن نفهم أبدًا حقيقة أنَّ هذا الابن هو الذي صار جسدًا (يوحنَّا ١: ١، ١٤) ليفدي شعبه من خطاياهم (متَّى ١: ٢١).

التجسُّد

٤. التجسُّد هو فعل إضافةٍ وليس انتقاصًا.

٥. كان الحبَل من عذراء هو الوسيلة المجيدة التي تمَّ بها التجسُّد.

٦. إنَّ الطبيعة البشريَّة التي يتَّخذها الابن الإلهيُّ هي طبيعة بشريَّة بالكامل، غير ساقطة، وبلا خطيَّة.

تركِّز العبارات الثلاثة التالية على طبيعة التجسُّد، أي كيف صار الكلمة جسدًا (يوحنَّا ١: ١٤) وماذا حدث عندما فعل ذلك. لقد عاش الابن في الطبيعة الإلهيَّة منذ الأزل مرتبطًا بالآب والروح. والآن، نتيجةً للتجسُّد، أضاف الابن، بدون تغييرٍ أو فقدانٍ لألوهيَّته، طبيعةً ثانية، أي طبيعة بشريَّة تتكوَّن من جسد ونفس بشريَّين (فيلبِّي ٢: ٦-٨). ونتيجةً لذلك، أضاف الابن بُعدًا بشريًّا إلى حياته الإلهيَّة الأقنوميَّة وأصبح حاضرًا لنا في نسقِ وجودٍ جديد بصفته الابن المتجسِّد. ومع ذلك، فإنَّ بقاء الابن

18 Legge, *Trinitarian Christology*, 168.

وعمله في كلتا الطبيعتين يتَّفق مع سلامتهما وكمالهما، دون أن يكون أيٌّ من الطبيعتين متعارضة مع الأخرى. بالنظر إلى التجسُّد، يكون الابن قادرًا على التصرُّف وفقًا لطبيعتيه وإحداث تأثيرات مناسبة لكلِّ طبيعةٍ وبالتالي تحقيق خلاصنا بصفته الابن الإلهيَّ الذي يطيع نيابةً عنَّا في حياته وموته كممثِّل للعهد وبديل لنا.

كيف حدث التجسُّد؟ حدث ذلك من خلال حَبَل العذراء، وتلك هي الوسيلة السياديَّة والفعَّالة التي اتَّخذ الابن من خلالها طبيعة بشريَّة (متَّى ١: ١٨-٢٥؛ لوقا ١: ٢٦-٣٨). كان عمل التجسُّد ثالوثيًّا: أرسل الآبُ الابنَ، وانتهى التجسُّد على الابن، وعمل الروح على مريم لتقديس مساهمتها وخلق طبيعةٍ بشريَّة للابن. كان التجسُّد خارقًا للطبيعة تمامًا، كما كان تحقيقًا لتوقُّعات العهد القديم، ومظهرًا مجيدًا لمبادرة الله السياديَّة بالنعمة لفداء شعبه.

فيما يتعلَّق بالطبيعة البشريَّة التي اقتناها الابن، من الأفضل أن نقول إنَّها كانت غير ساقطة وبلا خطيَّة. إذ يمتلك جسدُ المسيح ونفسُه جميعَ القدرات البشريَّة الأصليَّة، ممَّا يمكِّن الابن من اختبار حياة بشريَّة كاملة. لكنَّ إنسانيَّة المسيح لم تسقط، وبالتالي لم تتلطَّخ بانتقال الخطيَّة الوراثيِّ أو ارتكاب التعدِّي. على مدى القرنين الماضيين، رفض البعض وجهة نظر الأغلبيَّة زاعمين أنَّ المسيح اتَّخذ طبيعة بشريَّة ساقطة لكنَّها بقيت بلا خطيَّة.[١٩] الدافع وراء هذا الرأي إيجابيٌّ: ما لم يتَّخذ الابن حالتنا الساقطة، فلا يمكنه حقًّا أن يفدينا. لكنَّ هذه الفكرة تمثِّل إشكاليَّة

19 Edward Irving, *The Orthodox and Catholic Doctrine of Our Lord's Human Nature, Set Forth in Four Parts* (London: Baldwin & Cradock, 1830); Karl Barth, *Church Dogmatics*, vol. 1, *The Doctrine of the Word of God*, part 2, ed. Geoffrey W. Bromiley and T. F. Torrance, trans. G. T. Thomson and Harold Knight (Edinburgh: T&T Clark, 1956), 153; T. F. Torrance, *Incarnation: The Person and Life of Christ* (Downers Grove, IL: IVP Academic, 2008), 61–62.

لأربعة أسباب على الأقلّ.[٢٠]

أوّلاً، يفتقر التجسُّد الساقط إلى الدعم الكتابيّ. إنَّ تعبيرات مثل «صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ.» (فيلبّي ٢: ٧)، «وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ» (فيلبّي ٢: ٨)، و«فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ» (رومية ٨: ٣) تشير إلى طبيعتنا البشريَّة المشتركة، لا إلى طبيعتنا البشريَّة الفاسدة الساقطة. إنَّ موضوع التجسُّد دائمًا هو الإنسانيَّة، وليس الخطيَّة. لقد جاء المسيح ليمثِّل إنسانيَّة جديدة. لدينا بالفعل ممثِّل عن البشريَّة الساقطة: آدم الأوَّل، الذي أخطأنا جميعًا بتعدِّيه ووقعنا تحت طائلة الموت (رومية ٥: ١٢). في الواقع، إنَّ التناقض بين آدم الأول والمسيح باعتباره آدم الأخير يصير منطقيًّا فقط إذا لم يشترك المسيح في الطبيعة الآدميَّة الفاسدة. إذ ليس يسوع «في ومن آدم» كما نحن، وبالتالي فهو لم يسقط.

ثانيًا، يبدو أنَّ وجهة نظر «الطبيعة البشريَّة الساقطة» تعني أنَّ الفساد حتميٌّ للبشريَّة. إنَّ القول بأنَّه ما لم يسقط المسيح فإنَّه لا يمكن أن يكون إنسانًا تمامًا مثلنا، يعني أنَّ كونك إنسانًا يستلزم أن تسقط. لا شكَّ أنَّ جميع البشر الآن قد سقطوا ويعيشون في عالم غير طبيعيٍّ وملعون، لكنَّ هذا يمثِّل انحرافًا عن نيَّة الله الأصليَّة في خلقِنا، والتي كان من شأنها أن توصِّلنا إلى التمجيد. إنَّ السقوط ليس حتميًّا بالنسبة لنا، وشكرًا لله أنَّ المسيح كان إنسانًا كاملاً ولكنَّه بلا خطيَّة وغير ساقط. فعلى هذا النحو، يمكن أن يصير المسيح آدم الأخير، رأس الخليقة الجديدة (كورنثوس الثانية ٥: ١٧)، وفي إنسانيَّته يمكن أن يفدينا ضامنًا النموذج المثاليَّ لإنسانيَّتنا الممجَّدة (كورنثوس الأولى ١٥: ٣٥-٥٨).

ثالثًا، في حالة المسيح، يتطلَّب التجسُّد الساقط أن نفرِّق بين

20 Kelly M. Kapic, "The Son's Assumption of a Human Nature: A Call for Clarity," *International Journal of Systematic Theology* 3, no. 2 (2001): 154–66.

«الساقط» و«الشرير»، ولكن من الصعب تسويغ ذلك كتابيًّا ولاهوتيًّا. ففي الكتاب المقدَّس، الطبيعة الساقطة هي نتيجةُ خطيَّةٍ ضدَّ الله، ممَّا يضعنا في حالةِ ذنبٍ ميتافيزيقيَّة وقضائيَّة تحت قصاصٍ من الله (التكوين ٢: ١٧؛ رومية ٥: ١٢-٢١؛ ٦: ٢٣؛ أفسس ٢: ١-٣). لكنَّ المسيح لم يوجد «في آدم» مثلنا. لقد جاء كآدم الأخير ورأس الخليقة الجديدة ليفدينا ويمجِّدنا.

رابعًا، يهدِّد التجسُّد الساقط بفصل الطبيعة البشريَّة للمسيح عن شخصه. يجب أن نؤكِّد أنَّ الابن السرمديَّ لم يسقط، ولكن كيف نفصل الشخص عن الطبيعة البشريَّة التي اتَّخذها؟ ألا يعني هذا انفصالاً نسطوريًّا بين الشخص والطبيعة بحيث تكون إنسانيَّة المسيح ذاتًا مستقلَّة، وتتصرَّف بشكل مستقلٍّ عن الابن؟

لهذه الأسباب، من الأفضل التأكيد على أنَّ طبيعة المسيح البشريَّة كانت غير ساقطة وبلا خطيَّة. لم يكن ميلنا الفطريُّ نحو التمرُّد على الله جزءًا من تركيبة يسوع البشريَّة. لا شكَّ أنَّ يسوع كان إنسانًا كاملاً وعانى من آثار العيش في عالم ساقط، لكنَّه لم يشارك في ذنب أو إرث خطيَّة آدم التي انتقلت إلى الجنس البشريِّ. في الواقع، لم يرتكب يسوع خطيَّة ولم يكن ذلك ممكنًا (متَّى ٣: ١٥؛ يوحنَّا ٨: ٤٦؛ العبرانيِّين ٤: ١٥؛ ٧: ٢٦؛ بطرس الأولى ١: ١٩). وعلى الرغم من أنَّه تعرَّض للتجربة مثلنا، فإنَّه أطاع أباه تمامًا، حتَّى الموت، كوسيط عهدنا، وبالتالي تمَّم خلاصنا باعتباره الإنسان يسوع المسيح (تيموثاوس الأولى ٢: ٥؛ العبرانيِّين ٥: ٥-١٠).

لكنَّ السؤال الذي يطرح نفسَه: إذا كان يسوع لا يستطيع أن يخطئ (أي أنَّه كان منزَّهًا Impeccable)، فهل كانت إغراءات تجربته حقيقيَّة؟ على الرغم من أنَّ يسوع لم يخطئ، ألم ينبغِ أن يمتلك القدرة على فعل ذلك حتَّى يكون مثلنا؟ كيف كانت طاعته طاعة بشريَّة حقيقيَّة إن

كان منزَّهًا؟ هناك ثلاث نقاط مفيدة للإجابة عن هذا السؤال المهمِّ. أوَّلاً، لقد جُرِّب يسوع حقًّا ولكن «بلا خطيَّة» (العبرانيِّين ٤: ١٥).

بصفته الابن المطيع، واجه يسوع التجارب والإغراءات والآلام من أجلنا منذ بداية خدمته حتَّى موته على الصليب (لوقا ٤: ١-١٣؛ ٢٢: ٣٩-٤٦). لكنَّ هذا لا يعني أنَّ إغراءاته كانت مطابقة لإغراءاتنا من جميع النواحي. لماذا؟ على الرغم من أنَّ يسوعَ إنسان كامل، فإنَّه أيضًا الابن الإلهيُّ، وتعكس تجاربه هذه الحقيقة. على سبيل المثال، تعرَّض يسوع لإغراء تحويل الحجارة إلى خبز (وليس هذا شيئًا قد نُجرَّب به نحن)، أي أن يستخدم قوَّته الإلهيَّة، بدلاً من أن يطيع إرادة أبيه بتقديم طاعة بشريَّة نيابيَّة باعتباره آدم الأخير (العبرانيِّين ٢: ٥-١٨؛ ٥، ٨-١٠؛ راجع رومية ٥: ١٢-٢١). وأيضًا، بعكس ما نحن عليه، لم يتعرَّض يسوع للتجربة بأيِّ شيء في داخل نفسه. لم ينجذب إلى رغبات خاطئة تتعارض مع قواعد الله الخَلْقيَّة والأخلاقيَّة لأنَّه لم تكن فيه خطيَّة، ولا حتَّى استعداد للخطيَّة، بالنظر إلى عمل الروح القدس المُقدِّس. بل بالأحرى، جُرِّب يسوع بضعف الإنسان العاديِّ الخالي من الخطيَّة ومن دعم القوى الخارجيَّة. يمكن أن يتعرَّض للتجربة من خلال الجوع، من خلال الخوف من الألم، وكما يلاحظ دونالد ماكليود، من خلال «العواطف المقدَّسة والمشاعر والأشواق المتأجِّجة التي كان عليه أن يخمدها في ظلِّ مسار عمله».[21] من بين هذه الرغبات كانت الشركة الكاملة مع أبيه بالروح. في جثسيمانيِّ، كان يسوع منسحقًا تحت وطأة ما كان بصدد أن يجتازه، لكنَّه «لم يكن مدعوًّا لإماتة شهوته؛ بل دُعيَ أن يثبط أقدس طموح يمكن للإنسان أن يطمح إليه. ما أراده وما وجَّهه أبوه إليه كانا متعارضين. ومن

21 Donald Macleod, *The Person of Christ*, Contours of Christian Theology (Downers Grove, IL: Inter-Varsity Press, 1998), 226.

هنا توسَّل ‹بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ› (العبرانيِّين ٥: ٧)».[٢٢] في الواقع، يمكننا القول إنَّ تجارب يسوع لم تكن حقيقيَّة فحسب، بل كانت أكثر واقعيَّة ممَّا نتخيَّله أو نختبره، لأنَّه لم يخضع أبدًا للتجربة كما نفعل نحن. لقد أطاع إرادة أبيه بثبات وبفرح وبتكلفة باهظة من أجل خلاصنا.

ثانيًا، ينبغي أن يكون يسوع منزَّهًا لأنَّه الابن الإلهيُّ الذي اتَّخذ طبيعةً بشريَّة، وعلى هذا النحو، طبيعته البشريَّة لم تكن موجودة أبدًا بمعزل عن هذا الاتِّحاد. إنَّ يسوع إذًا ليس مجرَّد آدم آخر (مكوَّن من شخص وطبيعة)؛ بل إنَّه آدم الأخير، رأس الخليقة الجديدة، الابن السرمديُّ المتجسِّد. وكابن، من المستحيل عليه أن يخطئ وأن يستسلم للتجربة لأنَّ الله لا يقدر أن يخطئ. كما يلاحظ ماكليود عن حقٍّ: «إذا أخطأ المسيح، أخطأ الله. بهذا المستوى، فإنَّ خلوَّ المسيح من العيوب هو مطلق. فهو لا يعتمد على موهبة الروح الفريدة التي له، ولا على حتميَّة إتمام غرض الله الافتدائيِّ، بل على حقيقة أنَّه هو مَن هو».[٢٣] يشير بافِنك إلى نفس النقطة قائلاً:

> إنَّه ابن الله الكلمة الذي كان في البدء عند الله وكان هو الله. إنَّه واحد مع الآب وينفِّذ دائمًا إرادة أبيه وعمله. بالنسبة لأولئك الذين يعترفون بالمسيح هذا، فإنَّ احتماليَّة أن يخطئ ويسقط هو أمر لا يمكن تصوُّره.[٢٤]

في الواقع، هذه هي الحقيقة التي تضمن لنا أنَّ خطَّة الله المجيدة لا يمكن أن تفشل، وهي تفسِّر سبب كون آدم الأخير أعظم بكثير من الأوَّل.

---

22 Macleod, *Person of Christ*, 226.

23 Macleod, *Person of Christ*, 229–30.

24 Bavinck, *Sin and Salvation in Christ*, 314.

لقد أظهرت الكنيسة المعنى اللاهوتيَّ لهذا المنطق من خلال توظيف مفاهيم «عدم التَشَخصُن anhypostasia» و«التَشَخصُن enhypostasia»، ما تمَّت مناقشته في الفصل السادس. وبناءً على التمييز بين الشخص والطبيعة، وتأكيدًا على أنَّ طبيعة المسيح البشريَّة تتكوَّن من جسد ونفس بشريَّين، علَّمَنا مبدأ «عدم التَشَخصُن» أنَّ الابن اتَّخذ الطبيعة البشريَّة «بدون شخصٍ بشريٍّ» أو «أنا» بشريَّة. الطبيعة البشريَّة للمسيح إذًا لم يكن لها عَيشٌ بشريٌّ مستقلٌّ سوى «في شخص enhypostasia» الابن، الذي اتَّخذها واتَّحدت به. إنَّ الابن الإلهيَّ هو الذات الوحيدة في المسيح، وهي ذاتٌ واعية بنفسها وقائمة بنفسها. والابن الثالوثيُّ، الذي يمتلك الطبيعة الإلهيَّة أزلاً ويتشاركها مع الآب والروح، اتَّخذ طبيعة بشريَّة. وهو الآن يعيش ويحيا ويعمل إلى الأبد في كلتا الطبيعتين، ومن ثمَّ يأتي السبب النهائيُّ الذي يجعل يسوع منزَّهًا.

ثالثًا، على الرغم من أنَّ يسوع منزَّه، بسبب شخصه الإلهيِّ، فلا يزال يتعيَّن علينا أن نشرح كيف لا تزال إغراءاته حقيقيَّة. جزء من التفسير هو تحديد طبيعة الحريَّة الإنسانيَّة بشكل صحيح. غالبًا ما يفترض العديد من الذين يرفضون تنزيه المسيح أنَّه لكي يتعرَّض المسيح للتجربة حقًّا، يجب أن يتمتَّع دائمًا «بالقدرة على فعل الأمر الآخر»، أي الخطيَّة. لكنَّ هذا يفترض وجهة نظر ليبرتاريَّة عن الحريَّة،[٢٥] وهي وجهة نظر إشكاليَّة لأسباب عديدة.[٢٦] بدلاً من ذلك، إذا تبنَّى المرء وجهة نظر توافقيَّة عن

٢٥ الليبرتاريَّة Libertarianism؛ هو مفهوم يُعرِّف الحريَّة في إطار حريَّة الاختيار بين نقيضين دون أيِّ مؤثِّر أو قيد خارجيٍّ أو داخليٍّ؛ (المُترجِم).

٢٦ للاطِّلاع على دفاعٍ عن النظرة التوافقيَّة، انظر:

John S. Feinberg, *No One Like Him*: *The Doctrine of God*, Foundations of Evangelical Theology (Wheaton, IL: Crossway, 2001), 625–775; John M. Frame, *The Doctrine of God*, Theology of Lordship (Phillipsburg, NJ: P&R, 2002), 119–59.

الحريَّـة،[٢٧] حينهـا يمكـن للمـرء أن يفهـم كيـف يقـاوم يسـوع الإغـراء بحريَّـة لأنَّه يختار دائمًا وفقًا لرغباته وإرادته غير الساقطة والخالية من الخطيَّة.

عـلاوةً على ذلـك، يجـب أن نتذكَّـر أنَّـه على الرغـم مـن أنَّ المسـيح كان غيـر سـاقط ومنزَّهًـا، فـإنَّ الابـن، كممثِّـل للعهـد، كان عليـه أن يقـدِّم طاعـة بشـريَّة عنَّـا. لـم يغيِّـر عمـل الابـن، الـذي عملـه فـي طبيعتـه البشـريَّة ومـن خلالهـا، مـن سـلامةَ هـذه الطبيعـة وكمالهـا؛ لقـد عـاش وتصـرَّف وواجـه كلَّ إغـراء كإنسـان حقيقـيٍّ ليفديَنـا. وكمـا يذكِّرنـا الكتـاب المقـدَّس بشـكل رائـع، أنَّـه ليـس لهـذا السـبب فحسـب اسـتطاع يسـوع أن يضمـن خلاصنـا الأبـديَّ، بـل هكـذا أصبـح أيضًـا مخلِّصنـا الرحيـم والأميـن الراثـي لضعفاتنـا (العبرانيِّيـن ٢: ١٨؛ ٤: ١٤-١٦).

فـي هـذه المرحلـة، مـن الضـروريِّ أيضًـا التأكيـد علـى عمـل الـروح علـى الطبيعـة البشـريَّة للمسـيح. فيسـوع منـزَّه لأنَّـه الابـن السـرمديُّ الـذي يعيـش ويعمـل فـي كلتـا الطبيعتيـن، ولكـن أيضًـا بسـبب اعتمـاده علـى الـروح العامل فيـه، ولهـذا لـم يخطـئ يسـوع. منـذ الحَبَـل بيسـوع، قـدَّس الـروحُ القـدسُ الابـنَ فـي بشـريَّته، أعطـاه الموهبـة الروحيَّـة، ويسـوع طـوال حياتـه أطـاع نيابـةً عنَّـا كإنسـانٍ بالـروح. كلُّ هـذا يسـتلزم أنَّ تجـارب يسـوع كانـت حقيقيَّـة رغـم أنَّـه كان منزَّهًـا. وباعتبـاره الشـخص الـذي لا يخطـئ ولا يسـتطيع أن يخطـئ، كان لا يـزال عليـه أن يختـار التنـازل عـن حقوقـه وامتيازاتـه مـن أجلنـا (العبرانيِّيـن ١٢: ٢-٣). كان عليـه أن يختـار الذهـاب إلـى الصليـب رغـم أنَّـه يعـرف التكلفـة. ولكـن بفعلـه هـذا، تمَّـم إرادة الآب تمامًـا بالـروح، وضمـن فداءنـا، وأصبـح فـي بشـريَّته نموذجًـا مثاليًّـا لبشـريَّتنا الممجَّـدة (كورنثـوس الأولـى ١٥: ٤٥-٤٩).

٢٧ التوافقيَّـة Compatibilism؛ هـو الاعتقـاد بـأنَّ حريَّـة الإرادة والحتميَّـة (سـلطان الله) متوافقتـان بشـكل متبـادل وأنَّـه مـن الممكـن الإيمـان بكليهمـا دون أن يكـون هـذا تناقضًـا منطقيًّـا؛ (المُتَرجِـم).

الطبيعتان

٧. في التجسُّد، اتَّخذ الابن السرمديُّ نمطًا جديدًا من الوجود كإنسان. يعيش الابن الإلهيُّ الآن ويعمل في طبيعتين دون المساس بسلامة وكمال أيٍّ منهما أو الخلط بينهما أو مزجهما في هجين إلهيٍّ-بشريٍّ. إذًا، فإنَّ عمل الابن في طبيعته البشريَّة لا يطمس حدود تلك الطبيعة: فالابن يعيش حقًّا ويختبر العالم ويتصرَّف كإنسان.

٨. بالنظر إلى الأولويَّة الأنطولوجيَّة لدى الله الابن، لم يقتصر الابن في التجسُّد على التصرُّف من خلال طبيعته البشريَّة وحدها، إذ استمرَّ في العمل من خلال طبيعته الإلهيَّة، كما فعل منذ الأزل.

تساعدنا العبارتان التاليتان على التأمُّل في عمل الابن الإلهيِّ في كلتا الطبيعتين. فباتِّخاذ طبيعة بشريَّة، يصير الابن الإلهيُّ حاضرًا بشكل مرئيٍّ في نسقٍ جديد من الوجود كإنسان. وفي طبيعته البشريَّة ومن خلالها، يعيش الابن ويعمل ضمن القدرات الطبيعيَّة الجسديَّة والعقليَّة والإراديَّة والنفسيَّة لطبيعةٍ بشريَّة غير ساقطة وبلا خطيَّة. وكابن، اختبر عجائب الحياة البشريَّة ونقاط ضعفها. لقد نما في الحكمة والقامة الجسديَّة (لوقا ٢: ٥٢)، واختبر البكاء والفرح، وعانى الموت واختبر القيامة المجيدة من أجل شعبه ومن أجل خلاصهم (يوحنَّا ١١: ٣٣، ٣٥؛ ١٩: ٣٠؛ كورنثوس الأولى ١٥: ٣-٤).

ومع ذلك، فإنَّ الابن نفسه الذي يختبر هذه الأشياء كإنسان، يستمرُّ أيضًا في العيش والتصرُّف كالله الابن مُرتبطًا بالآب والروح كما فعل منذ الأزل. يتأتَّى التعليم بهذه الحقيقة من تأكيد الكتاب المقدَّس أنَّ الابن المتجسِّد يستمرُّ في الاعتناء بالكون (كولوسي ١: ١٦-١٧؛ العبرانيِّين ١: ٣)، حتَّى مع استمراره في أداء الأعمال الإلهيَّة الأخرى طوال حياته وخدمته.

فـي المسـيح، هنـاك طبيعتـان تظـلاَّن متمايزتيـن وتحتفظـان بصفاتهمـا الخاصَّـة وسـلامتهما وكمالهمـا، ومـع ذلـك فـإنَّ الابـن قـادر علـى التصـرُّف مـن خـلال كلتـا الطبيعتيـن. فالابـن إذًا ليـس مقيَّـدًا تمامًـا بطبيعتـه البشـريَّة؛ فإنَّـه قـادر أيضًـا علـى التصـرُّف «متجـاوزًا» (extra) طبيعتـه البشـريَّة فـي طبيعتـه الإلهيَّـة، كمـا فعـل دائمًـا. والابـن، الـذي يتصـرَّف دائمًـا بشـكل لا ينفصـل مـن الآب بالـروح، يسـتمرُّ فـي القيـام بذلـك، ولكـن الآن، نتيجـة للتجسُّـد، يعمـل أيضًـا كإنسـان بالحـقِّ، باعتبـاره الابـن المطيـع نيابـةً عنَّـا ومـن أجـل خلاصنـا. فـي التجسُّـد، لا تتضـاءل ألوهيَّـة الابـن الكاملـة أو إنسـانيَّته.

لفهـم عمـل المسـيح المزدوج، وظَّـف اللاهـوت مفاهيم مثل «التَشَـخصُن enhypostasia»، و«تشـارُك الخـواصِّ communicatio idiomatum»، و«التجـاوُز»، كمـا ناقشـنا فـي الفصـل السـادس. دعونـا نعلِّـق بإيجـاز علـى هـذه الحقائـق المتشـابكة بينمـا نتأمَّـل فـي عمـل الابـن الإلهـيِّ فـي التجسُّـد.

الاتِّحاد الشخصانيُّ (الأقنوميُّ) وعامليَّة المسيح المزدوجة

فـي التجسُّـد، «شـخصن» الابـن الإلهـيُّ الطبيعـة البشـريَّة التـي خُلِقَـت لـه بالعمـل الثالوثـيِّ. لـم يصبـح الابـن شـخصًا بشـريًّا ولـم يحـلَّ محلَّـه، ولكنَّـه اتَّخـذ فـي هويَّتـه الميتافيزيقيَّـة مركَّبًـا مـن جسـد ونفـس بشـريَّين «بـدون شـخصٍ (بشـريٍّ)» (anhypostasia). وهكـذا، عندمـا يتكلَّـم يسـوع ويفكِّـر ويشـاء ويعمـل، فإنَّـه يفعـل ذلـك باعتبـاره الابـن السـرمديَّ مـن خـلال كلتـا الطبيعتيـن.

بالتطبيـق علـى ألوهيَّـة المسـيح، فـإنَّ «التَشَـخصُن» يسـتلزم أنَّ الابـن الإلهـيَّ لا يتوقَّـف أبـدًا عـن ممارسـة صلاحيَّاتـه الإلهيَّـة بالارتبـاط بـالآب والـروح. علـى سـبيل المثـال، يسـتمرُّ الابـن، حتَّـى بعـد التجسُّـد، فـي «[حمـل الكـون] بِكَلِمَـةِ قُدْرَتِـهِ» (العبرانيِّيـن ١: ٣)، لأنَّ «فِيـهِ يَقُـومُ الْـكُلُّ» (كولوسـي

١: ١٧). على عكس الأشكال المختلفة من الفكر الإخلائيِّ، لم يتخلَّ الابن عن بعض الصفات الإلهيَّة أو ممارستها عندما اتَّخذ طبيعة بشريَّة. بل إنَّ كمالات الطبيعة الإلهيَّة لا يمكن أن تتغيَّر، وشخص الابن المتجسِّد يستمرُّ في العيش والعمل من خلال الطبيعة الإلهيَّة.

بالتطبيق على إنسانيَّة المسيح، يستلزم «التَشَخصُن» أن يكون الابن الإلهيُّ حاضرًا الآن بشكل مرئيٍّ في الطبيعة البشريَّة التي اتَّخذها. إنَّ الابن لا يعيش من قِبَل الطبيعة البشريَّة إذ هو الله الابن. بل هو يعيش في الطبيعة البشريَّة التي اتَّخذها. وعلى هذا النحو، يعيش الابن ويعمل كإنسان دون تغيير في كمال وسلامة طبيعته البشريَّة. لهذا السبب، يختبر الابن الحياة كإنسان: ينمو في جسده، ويكتسب الحكمة، ويضحك، ويبكي، ويتألَّم، ويحمل خطايانا، ويموت، ويقوم من أجلنا. وبطاعته يضمن فداءنا الأبديَّ كرأس عهدنا، بالذات لأنَّ من أطاع نيابةً عنَّا في الحياة والموت هو الابن الإلهيُّ.

تشارُك الخواصِّ وعامِليَّة المسيح المزدوجة

إلى جانب التأكيد على وحدة شخص المسيح (التَشَخصُن)، من الضروريِّ أيضًا التأكيد على أنَّ الطبيعتين تظلاَّن متمايزتين وتحتفظان بسلامتهما وكمالهما، وبهذا نحافظ على التمييز بين الخالق والمخلوق حتَّى في الاتِّحاد الشخصانيِّ (الأقنوميِّ) بين ألوهيَّة المسيح وإنسانيَّته. استخدم علم اللاهوت مفهوم تشارُك الخواصِّ («communicatio idiomatum») لشرح هذه العلاقة. وعلى الرغم من أنَّ اللاهوتيِّين لديهم مفاهيم مختلفة عن ذلك التشارُك، فهم يتَّفقون عادةً على نقطتين: (١) احتفظت كلُّ طبيعة بسماتها الخاصَّة، و(٢) يمكن أن تُنسَب سمات كلِّ طبيعة إلى الابن لأنَّه شخصُ كلتا الطبيعتين. إنَّ مفهوم التشارُك

هـو أمـر حيـويٌّ لفهـم المعطيـات الكتابيَّـة المتناقضـة ظاهريًّـا، وهـو يسـاعد علـى التأمُّـل فـي عامِليَّـة المسـيح المزدوجـة.

علـى سـبيل المثـال، يعلِّـم الكتـاب المقـدَّس بالوجـود الأزلـيِّ ليسـوع وكذلـك يعلِّـم عـن ميـلاده الزمنـيِّ. كمـا يعلِّـم أيضًـا عن قـدرة يسـوع المطلقة وكذلـك عـن إصابتـه بالتعـب. مـن خـلال توظيـف مفهـوم التشـارُك، يمكننـا القـول إنَّ الوضـع الأوَّل فـي كلتـا الحالتيـن ينطبـق علـى الابـن فـي ألوهيَّتـه، بينمـا ينطبـق الوضـع الثانـي علـى الابـن فـي بشـريَّته.

أو لنتأمَّـل فـي معرفـة المسـيح. إذ لا يعلِّمنـا الكتـاب المقـدَّس أنَّ يسـوع نمـا فـي الحكمـة فحسـب (لوقـا ٢: ٥٢)، بـل قـال يسـوع أيضًـا إنَّـه لـم يعـرف توقيـت النهايـة (متَّـى ٢٤: ٣٦). ولكـن إذا كان يسـوع هـو الابـن الإلهـيُّ، فكيـف لـم يعـرف متـى سـتأتي النهايـة؟ إنَّ مفهـوم التشـارُك مفيـد فـي الإجابـة عـن هـذا السـؤال. فالابـن يعرف فـي ألوهيَّته كلَّ الأشـياء وفقًـا للعلاقـات الأقنوميَّة المُرتَّبـة أزلاً داخـل الله، إلاَّ أنَّ الابـن مـن خـلال طبيعتـه البشـريَّة شـهد نمـوًّا فـي المعرفـة كإنسـان ضمـن حـدود تلـك الطبيعـة. فـي بشـريَّته، اكتسـب الابـن المعرفـة كمـا يكتسـبها البشـر: عـن طريـق الإعـلان العـامِّ والخـاصِّ. وحقيقـةً، فيمـا يتعلَّـق بحالـة المسـيح فـي هـذه النقطـة، مـن الأهميَّـة بمـكان التأكيـد علـى تركيـز الكتـاب المقـدَّس علـى عمـل الـروح فـي طبيعـة المسـيح البشـريَّة. فالـروح هـو الـذي يخلـق الطبيعـة البشـريَّة للمسـيح ويقدِّسـها ويملأهـا بنعمـة لا تقـاس (يوحنَّـا ٣: ٣٤). ولا شـكَّ أنَّ عمـل الـروح لا يتعـدَّى حـدود تلـك الطبيعـة، ومـع ذلـك، كمـا يلاحـظ ماكليـود، فـإنَّ قـدرة يسـوع علـى المعرفـة الاسـتعلانيَّة بالـروح تختلـف عـن الإنسـان العـاديِّ، نظـرًا لكونـه بـلا خطيَّـة ولعلاقتـه الفريـدة بـالآب والـروح. كمـا يقتـرح ماكليـود: «كان عقـل [يسـوع] منسـجمًا تمامًـا مـع كلِّ مـا هـو إلهـيٌّ،»[٢٨] وهـو «تحـادَث مـع الله

28 Macleod, *Person of Christ*, 167.

كابن، وكان يفكِّر كابنٍ له. قد نقول حتَّى إنَّه عاش في عالمٍ فكريٍّ من الإعلان الخالص بحيث أنَّ الله كشف نفسه ليس فقط لتفكيره ولكن **في** تفكيره بشكلٍ يفوق قدرتنا على الاستيعاب أو التصوُّر».[٢٩] ومع ذلك، فإنَّ الابن، الذي يعمل ويعرِف كإنسان، يعمل في حدود قدراته البشريَّة، بما في ذلك عقله البشريِّ وإرادته، وبالتالي نما حقًّا في المعرفة كإنسان.

هل يستلزم ذلك أنَّ يسوع كان يجهل يومًا شيئًا كان يجب أن يعرفه؟ هل يمكننا أن نلجأ إلى معرفة يسوع البشريَّة لنجادل بأنَّ معرفته كانت مجرَّد فهمٍ في إطار القرن الأوَّل، وبالتالي فإنَّه ارتكب أخطاءً ما؟ لا، لسببين على الأقلِّ. أوَّلاً، بصفته وسيطًا، لم يكن يسوع «يجهل أبدًا أيَّ شيءٍ يجب أن يعرفه».[٣٠] كإنسان، نما يسوع في المعرفة، ولكن بصفته وسيطًا، عرف كلَّ ما يحتاج إلى معرفته، وعاش وعمل بالروح في طاعةٍ لمشيئة أبيه. ثانيًا، بصفته وسيطًا، كان على يسوع «أن يقوم بوظيفة الوسيط ضمن حدود الجسد البشريِّ، لذلك كان عليه أن ينجز هذا ضمن حدود العقل البشريِّ».[٣١] ومع ذلك، لا يشير أيٌّ من هذا إلى قابليَّة الخطأ في وظيفته كوسيط. بل كلُّ ما ينطوي عليه ذلك هو أنَّ الابن المتجسِّد، مرتبطًا بالأشخاص الإلهيِّين وفي إرساليَّته الإلهيَّة لفدائنا، كان يعرف ما يحتاج إلى معرفته وتحدَّث بسلطة إلهيَّة باعتباره الابن لأنَّ كلَّ ما قاله كان من الآب ومن قِبَل الروح، وهكذا تكون أفعاله وأقواله هي أيضًا أفعال الله وأقواله.

أو لتتأمَّل في موت المسيح (لوقا ٢٣: ٤٦؛ كورنثوس الأولى ١٥: ٣). فمن خلال تطبيق مبدأ التشارُك، يمكننا أن نقول إنَّ الابن مات بطبيعته البشريَّة، ممَّا أدَّى إلى انفصال نفسه البشريَّة عن جسده. في الموت،

29 Macleod, *Person of Christ*, 167; emphasis original.

30 Macleod, *Person of Christ*, 168.

31 Macleod, *Person of Christ*, 169.

لـم ينقطـع الابـن عـن الوجـود، بـل اسـتمرَّ فـي العيـش فـي الطبيعـة الإلهيَّـة وفـي نفسـه البشـريَّة؛ لـم ينفصـم الاتِّحـاد الشـخصانيُّ (الأقنوميُّ) حتَّـى فـي المـوت. ولكـن كإنسـان، اختبـر الابـن المـوت حتَّـى يشـترى الكنيسـة «بِدَمِـهِ» (أعمـال الرسـل ٢٠: ٢٨). ليـس لـدى الله دمـاء يسـفكها. ولكـن مـا ينطبـق على طبيعـة المسـيح البشـريَّة ينطبـق أيضًـا على الابـن الإلهـيِّ.

أو لنتأمَّـل فـي مسـألة عصمـة الله مـن الألـم المتعلِّقـة بمـوت المسـيح. مـرَّة أخـرى، فـإنَّ مبـدأ التشـارُك يسـاعدنا على التفكيـر فـي هـذه المشـكلة. لقـد تألَّـم المسـيح علـى الصليـب، لكـنَّ هـذا لا يقـوِّض عصمـة الألوهـة مـن الألـم. كمـا قـال كيرلـس السـكندريُّ ذات مـرَّة: «تألَّـمَ المعصـوم مـن الألـم».[٣٢] لمـاذا؟ أوَّلاً، تألَّـمَ شـخص الابـن كإنسـان مـن خـلال الطبيعـة البشـريَّة التـي اتَّخذهـا، وليـس مـن خـلال الطبيعـة الإلهيَّة. ثانيًـا، تألَّـمَ الابن، لا الآب ولا الـروح. إذ يعمـل جميـع الأشـخاص الثلاثـة بشـكل لا ينفصـل، ومـع ذلـك تنتهـي أفعـال محـدَّدة علـى كلِّ شـخص وفقًـا لنسـق عيشـه الداخلـيِّ فـي الطبيعـة الإلهيَّـة. فـي حالـة التجسُّـد، فـإنَّ الابـن فقـط، وليـس الآب أو الـروح، هـو مـن يتَّخـذ طبيعـة بشـريَّة وفـي هـذه الطبيعـة يتألَّـم ويمـوت. ومـع ذلـك، فمـن الصحيـح أيضًـا أنَّـه قبـل التجسُّـد، كمـا يشـير تومـاس ويناندي Thomas Weinandy، فـإنَّ «الله، المعصـوم مـن الألـم، لـم يختبـر ويعـرف المعانـاة والمـوت كإنسـان بطريقـة إنسـانيَّة.»[٣٣] ولكـن الآن يمكـن للابـن أن يختبـر الحيـاة البشـريَّة والألـم والمـوت كإنسـان. وبمجـد عظيـم، لـم يتغيَّـر الابـن بصيرورتـه إنسـانًا لأنَّـه كان دائمًـا موجـودًا فـي مـلء الحيـاة الإلهيَّـة. ولكـن الآن، فـي بشـريَّته، يتألَّـم الابـن الإلهـيُّ ويمـوت كتعبيـر عـن اختيـاره السـياديِّ لإطاعـة إرادة الآب لتحقيـق خلاصنـا الأبـديِّ.

---

٣٢ مُقتَبَس في:
Thomas G. Weinandy, *Does God Suffer?* (Notre Dame, IN: University of Notre Dame Press, 2000), 202.

33 Weinandy, *Does God Suffer?*, 206.

إنَّ استخدام مبدَأَي التشارُك والتَشَخصُن يساعد في فهم عامِليَّة المسيح المزدوجة. غالبًا ما يتَّهم النقَّاد الكريستولوجيا الكلاسيكيَّة بعزو صفات متناقضة لنفس الشخص، لكنَّ هذين المفهومين اللاهوتيَّين يذكِّراننا أنَّ هذا غير صحيح. فنحن لا نعزو صفات متناقضة لنفس الشخص بنفس الطريقة بالضبط. فالابن حقًّا كليُّ القدرة، كليُّ المعرفة، كليُّ الوجود، وأبديٌّ لأنَّ ما ينطبق على الطبيعة الإلهيَّة ينطبق على الابن (الشخص)، الذي يعيش في الطبيعة الإلهيَّة. والابن، مع ذلك، يعيش أيضًا في الطبيعة البشريَّة. لذلك يجب أن نكرِّر عزو الصفات للابن، وهذه المرَّة وفقًا لطبيعته البشريَّة. الابن إذًا، ضعيف، غير عارف، ومُعيَّن مكانيًّا وزمنيًّا لأن ما ينطبق على الطبيعة البشريَّة ينطبق على الابن الذي يعيش في تلك الطبيعة. لا شكَّ أنَّنا نخرج بالكثير ممَّا لا نستطيع إدراكه فيما يتعلَّق بالميتافيزيقا الكريستولوجيَّة، ومع ذلك لا يوجد تناقضٌ منطقيٌّ. فكلُّ ما نملكه هو السجود والتعجُّب من مثل هذا الفادي المجيد الذي فيه كلُّ ما نحتاجه. ومع ذلك، هناك حاجة إلى استكمال جزءٍ آخر في مناقشتنا لعمل المسيح المزدوج باعتباره الابن المتجسِّد.

«التجاوُز» وعامِليَّة المسيح المزدوجة

نتيجةً للتجسُّد، يعمل الابن الإلهيُّ من خلال طبيعتين دون المساس بسلامة وكمال أيٍّ منهما. في طبيعته البشريَّة، يقتصر الابن على قدرات الطبيعة البشريَّة الخالية من الخطيَّة بموهبة وقوَّة الروح القدس. لكنَّ الابن أيضًا يستمرُّ في العيش والعمل «متجاوزًا» (extra) طبيعته البشريَّة بحسب كمالات الطبيعة الإلهيَّة.

لقد تمَّ توظيف مفهوم «التجاوُز» لاستنباط منطق من وراء هذا التفكير. فبما أنَّ الخالق له أولويَّة أنطولوجيَّة [وجوديَّة] على أيِّ شيءٍ

مخلـوق، فـإنَّ الابـن الإلهـيَّ لـه أولويَّـة أنطولوجيَّـة علـى طبيعتـه البشـريَّة، وبالتالـي يسـتمرُّ فـي التمتُّـع بحيـاة إلهيَّـة «خارجهـا». علـى عكـس الصـورة السـاخرة الشـائعة، فـإنَّ «التجـاوز» لا ينتقـص مـن إنسـانيَّة المسـيح؛ بـل يحفظهـا. فمنـذ الحَبَـل بـه فصاعـدًا، وضـع الابـن نفسـه بواسـطة اتِّخـاذ طبيعـة بشـريَّة بحدودهـا وعيـش نمـطٍ جديـدٍ مـن الوجود كإنسـان. ومـع ذلك، لـم يتغيَّـر الابـن فيمـا يتعلَّـق بألوهيَّتـه، وعلاقاتـه الثالوثيَّـة، وعامِليَّتـه. لقـد اسـتمرَّ الابـن فـي التصـرُّف كمـا كان يتصـرَّف دائمًـا، أي «خـارج» واقـع الحيـاة البشـريَّة، ومـع ذلـك فهـو الآن قـادر أيضًـا علـى التصـرُّف مـن خـلال طبيعتـه البشـريَّة. فـي الواقـع، عندمـا يقتـرن مبـدأ «التجـاوز» مـع مبـدأ «الإخفـاء»، فإنَّنـا نكتسـب فهمًـا أوضـح «لإخـلاء» المسـيح: لقـد جلـب التجسُّـد إخفـاءً حقيقيًّـا ولكـن دون تنـازلٍ عـن العظمـة الإلهيَّـة للابـن السـرمديِّ. أي أنَّ الابـن صـار واحـدًا معنـا بطريقـة جديـدة ليفدينـا، بينمـا بقـي أيضًـا علـى مـا كان عليـه دائمًـا منـذ الأزل.

بالنظـر إلـى الفـروق بيـن الخالـق والمخلـوق وبيـن الشـخص والطبيعـة، فليـس مـن التناقـض التأكيـد علـى أنَّ الابـن يعمـل فـي نفـس الوقـت مـن خـلال كلتـا الطبيعتيـن لإنجـاز أعمـال تتَّفـق مـع كلِّ طبيعـة. لا يتعـارض عمـل الابـن فـي كلتـا الطبيعتيـن، علـى الرغـم مـن صعوبـة تصـوُّر ذلـك. فنحـن كبشـر نعيـش فـي الطبيعـة البشـريَّة. نحـن لسـنا أشـخاصًا إلهيِّيـن، ولسـنا نعيـش فـي طبيعتيـن مختلفتيـن. ولـذا، فـإنَّ تصـوُّر كيفيَّـة قيـام شـخصٍ مـا بـأداء أفعالـه وفقًـا للطبيعتيـن يتجـاوز فهمنـا، ولكنَّـه صحيـح بشـكل رائـع. ومفاهيـم مثـل «التَشَـخصُن» و«التجـاوز» و«التشـارُك» تسـاعدنا فـي فهـم أطروحـة الكتـاب المقـدَّس المهيبـة عـن ربِّنـا يسـوع المسـيح.

رأس عهد جديد

٩. من خلال اتِّخاذ طبيعة بشريَّة، أصبح الابن الإلهيُّ أوَّل إنسان في الخليقة الجديدة، مؤهَّلاً تمامًا ليكون وسيطنا العظيم ورأسًا جديدًا للعهد.

عندما تجسَّد الابن، أصبح ربُّنا يسوع المسيح أوَّلَ إنسانٍ من الخليقة الجديدة، وسيطنا العظيم ورأس العهد الجديد. وبصفته هذا الرجل، فهو ينقض ويبطل عمل آدم الأوَّل ويمضي قدمًا باعتباره آدم الأخير، رائدنا العظيم وبطلنا (باليونانيَّة: archēgon، العبرانيِّين ٢: ١٠). وبسبب التجسُّد، يصبح الله الابن مؤهَّلاً تمامًا لتلبية كلِّ احتياجاتنا، وخاصَّةً حاجتنا إلى مغفرة الخطيَّة (إرميا ٣١: ٣٤؛ العبرانيِّين ٧: ٢٢-٢٨؛ ٩: ١٥ - ١٠: ١٨). ووفقًا لقصَّة الكتاب المقدَّس، فإنَّ الابن المتجسِّد وحده هو القادر على التوسُّط في المصالحة بين الله إله الخلق والعهد وبين البشر بتقديم نفسه كذبيحة خالية من الخطيَّة وكافية وبديلة بحيث يفدي الله شعبه كإنسان (تيموثاوس الأولى ٢: ٥-٦؛ العبرانيِّين ٥-١٠). وبصفته الابن الإلهيَّ، فإنَّ المسيح وحده هو مَن يُرضي دينونة الله على البشريَّة الخاطئة ومطالبات الله بالطاعة الكاملة (رومية ٥: ١٢-٢١). وبصفته الابن المتجسِّد، فإنَّ المسيح وحده يتطابق معنا على أنَّه ممثِّلنا وبديلنا (العبرانيِّين ٥: ١). إنَّ رجاءنا الخلاصيَّ في دفع ثمن خطايانا واستردادنا الكامل كحاملي صورة الله وأبناء-كهنة لا يتحقَّق إلاَّ من خلال ربِّنا يسوع المسيح (رومية ٣: ٢١-٢٦؛ العبرانيِّين ٢: ٥-١٨). كما يوضِّح جيمس باكر J. I. Packer قائلاً:

بدون التجسُّد لن يكون هناك إله-إنسان، ولولا الله-الإنسان لما كانت هناك وساطة، ولا إعلان عن الفداء ... لقد كان تجسُّد الابن بالتالي جزءًا لا يتجزَّأ من خطَّة الله للخلاص، ويجب أن يُنظَر إلى

مجـد شـخص المسـيح الفريـد علـى أنَّـه جانـب مـن جوانـب مجـد الإنجيـل نفسـه.[٣٤]

الربُّ والمخلِّص

١٠. إنَّ يسـوع المسـيح، الله الابـن المتجسِّـد، هـو الـربُّ والمخلِّـص الفريـد والوحيـد، وبالتالـي يطلـب أن نهديـه حياتنـا كلَّهـا فـي إيمـان ومحبَّـة وطاعـة لـه.[٣٥]

إنَّ يسـوع يسـمو فـي مكانـةٍ لـه بمفـرده. بالنظـر إلـى مـن هـو الله الثالـوث فـي كلِّ مجـده، وقيُّوميَّتـه، وكمالـه الأخلاقـيِّ، وبالنظـر لماهيَّـة الخطيَّـة أمـام الله، فـلا عجـب أنَّـه لا يوجـد خـلاص بعيـدًا عـن تجسُّـد الابـن الإلهـيِّ وكلِّ مـا عملـه مـن أجلنـا (يوحنَّـا ١٤: ٦؛ أعمـال الرسـل ٤: ١١).

لهـذا السـبب، لا يكفـي أن نذكـر مـن هـو يسـوع بشـكل صحيـح وفقًـا للكتـاب المقـدَّس وقوانيـن وإقـرارات إيمـان الكنيسـة، وإن كان هـذا مهمًّـا جـدًّا. لكـن بالنظـر إلـى هويَّـة يسـوع، يجـب أيضًـا أن نُقـاد إلـى عبادتـه، والإيمـان بـه وحـده، والمنـاداة بـه، والخضـوع لـه بفـرح ورغبـة فـي سـيادته فـي كلِّ مجـال مـن مجـالات حياتنـا. فـي يسـوع، نـرى ربَّ المجـد، الـذي تجسَّـد ليصبـح فادينـا الكافـي بالكامـل. ومـن خـلال تشـاركه طبيعتنـا البشـريَّة، أصبـح الابـن الإلهـيُّ قـادرًا الآن علـى القيـام بعمـل لا يمكننـا القيـام بـه أبـدًا. فـي تجسُّـده وعملـه علـى الصليـب، نـرى قـرار الله الثالـوث أن يأخـذ علـى

34 J. I. Packer, "The Glory of the Person of Christ," in *The Glory of Christ*, ed. John H. Armstrong (Wheaton, IL: Crossway, 2002), 54.

٣٥ بعض الأجزاء في هذا القسم تمَّ إدراجها من:
Stephen J. Wellum, "Christological Reflections in Light of Scripture's Covenants," *Southern Baptist Journal of Theology* 16, no. 2 (2012): 79–107; Wellum, "*Solus Christus*: What the Reformers Taught and Why It Still Matters," *Southern Baptist Journal of Theology* 19, no. 4 (2015): 79–107. Used by permission of *The Southern Baptist Journal of Theology*.

نفسه ذنبنا وخطيَّتنا حتَّى تُنقَض وتُبطَل الآثار الرهيبة للخطيَّة وتُستَوفَى مطالباته الأخلاقيَّة بالكامل. في المسيح وحده، نرى الله الثالوث بينما يعود بهذا العالم إلى جادَّة الصواب بالمصادقة على عهدٍ جديدٍ بدمه. في يسوع المسيح، نرى الابن المطيع تمامًا بينما يأخذ زمام المبادرة للوفاء بوعوده العهديَّة من خلال اتِّخاذ طبيعتنا البشريَّة، وإخفاء مجده، وتحقيق خلاصنا الأبديِّ.

إنَّ مخلِّصنا وفادينا فريد من نوعه في هويَّته وفيما يفعله، كليهما. في الواقع، لأنَّ الخطيَّة تجعلنا في ورطة يائسة للغاية، فإنَّ الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يخلِّصنا هو ابن الله الغالي. فقط عندما يتجسَّد الابن يمكن لربِّنا أن يمثِّلنا، ويدفع ثمن خطايانا، ويقف مكاننا. وحده يسوع يستطيع أن يلبِّي مطالبات الله البارَّة ضدَّنا لأنَّه واحد مع الله باعتباره الله الابن. وحده يسوع يمكنه أن يفعل ذلك من أجلنا لأنَّه إنسان حقًّا ويمكنه أن يمثِّلنا. إنَّ التمثيل يتطلَّب التماهي والتطابق، وبكلِّ هذه الطرق يكون ربُّنا مناسبًا تمامًا لتتميم كلِّ ما نحتاجه. بدون التجسُّد وعمل المسيح الكامل الطائع، لا يوجد خلاص لنا. وردًّا على كلمات غوتهولد لِسِنغ (انظر صفحة ٢٥)، فإنَّ يسوع هو شخصيَّة تاريخيَّة لها أهميَّة كونيَّة مطلقة بالنسبة لنا، وبمعزل عن الإيمان الخلاصيِّ به وبه وحده، فإنَّنا نقف تحت دينونة الله وإدانته.

ولكن لكي نقدِّر هذه الحقيقة، يجب التأكيد على نقطة حرجة أخرى. كثيرًا ما يُقال إنَّ المسيحيَّة هي دين الخطاة: إنَّنا لا نفهم ونعرف ونعبد يسوع بشكلٍ صحيح إلاَّ إذا توصَّلنا أوَّلاً، بنعمة الله، لأن نرى أنَّنا ضالُّون ومدانون أمام الله. إنَّنا لن نعانق يسوع الكتاب المقدَّس بفرحٍ غامر كربِّنا ومخلِّصنا ما لم نرَ أوَّلاً حاجتنا الأعظم كبشرٍ إلى أن نكون مبرَّرين أمام الله القدُّوس الثالوث.

هـذا شـيء لا تفهمـه ثقافتنـا العلمانيَّـة وثقافـة مـا بعـد الحداثـة، بالنظـر إلـى رفضهـا للألَّهـوت المسـيحيِّ وتبنِّـي أيديولوجيَّـات خاطئـة. لكـن تذكَّـر ذلـك جيِّـدًا: لكـي نفهـم يسـوع الكتـاب المقـدَّس بشـكلٍ صحيـح، ونتعـرَّف عليـه بشـكلٍ صحيـح، ونضـع كلَّ ثقتنـا بـه شـخصيًّا، يجـب علينـا أيضًـا أن نعـرف شـيئًا عـن ذنبنـا أمـام الله ولمـاذا نحتـاج إلـى فـادٍ كهـذا. لأنَّـه لا يمكننـا حتَّـى أن نقـدِّر الفـادي الإلـه المتجسِّـد ونبتهـج فيـه إلـى أن نعـرف أنَّنـا هالكـون تحـت حكـم المـوت ومُدانـون أمـام الله. فقـط عندمـا نـدرك أنَّـه لا يمكننـا إنقـاذ أنفسـنا، حينهـا نـرى بوضـوح أنَّـه هـو الفـادي الـذي نحتاجـه. وبالنسـبة للأشـخاص الذيـن يتوصَّلـون بنعمـة الله لأن يـروا حاجتهـم إليـه، فـإنَّ يسـوع الكتـاب المقـدَّس هـو أكثـر مـن مجـرَّد عقيـدة ننطق بهـا. إنَّـه الـربُّ والمخلِّص الوحيـد الـذي علينـا اعتناقـه، ومحبَّتـه، وعبادتـه، وطاعتـه.

٩

استعادة مركزيَّـة المسيح

مـن هـو يسـوع بالنسـبة لنـا؟ ولمـاذا هـو شـخصٌ مهـمٌّ؟ لمـاذا يعتـرف كلٌّ مـن الكتـاب المقـدَّس والكنيسـة بـأنَّ المسـيح فريـد ومنقطـع النظيـر وأنَّـه الـربُّ والمخلِّـص الوحيـد؟ سـعى هـذا الكتـاب للإجابـة عـن بعـض هـذه الأسـئلة مـن الكتـاب المقـدَّس والأرثوذكسـيا المُعترِفـة للكنيسـة. وفـي ضـوء مـا يعلِّـم بـه الكتـاب المقـدَّس، ننهـي هـذا الكتـاب حيـث بدأنـا: ليسـت هنـاك حاجـة أكبـر للكنيسـة اليـوم مـن حاجتهـا إلـى الفكـر السـليم مـن جهـة يسـوع كتابيًّـا ولاهوتيًّـا. تعتمـد حيـاة الكنيسـة وصحَّتهـا علـى الكريسـتولوجيا الصحيحـة، المتجـذِّرة والمتأصِّلـة فـي لاهـوتٍ أساسـيٍّ دقيـق؛ لكنَّهـا يجـب ألاَّ تكـون كريسـتولوجيا نعتـرف بهـا فحسـب، بـل يجـب أن تقودنـا إلـى الإيمـان،

والثقة، والاتِّكال على ربِّنا يسوع وإلى حياةٍ كاملة نعيشها في العبادة والتسبيح والطاعة لله الثالوث.

يجب أن يكون سبب ذلك واضحًا إذا فهمنا ما يعلِّم به الكتاب المقدَّس فيما يتعلَّق بإلهنا الثالوث في وجه الابن المتجسِّد. فبالنظر إلى أنَّ يسوع هو الابن الإلهيُّ، «الْكَلِمَةُ [السرمديُّ الذي] صَارَ جَسَدًا» (راجع يوحنَّا ١: ١، ١٤)، ففيه وحده تكون الحياة، الحياة الأبديَّة (يوحنَّا ١٧: ٣). يذكِّرنا الكتاب المقدَّس مرارًا وتكرارًا أنَّه في المسيح وحده، تتحقَّق كلُّ مقاصد الله السياديَّة (العبرانيِّين ١: ١-٣). كما يذكِّرنا بولس بشكلٍ جميل، أنَّه في المسيح وحده، تتمثَّل خطَّة الله الأبديَّة في جعل «كُلَّ شَيْءٍ»، «مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ»، تحت رئاسة المسيح (أفسس ١: ٩-١٠)، الأمر الذي بدأ بالفعل في مجيئه الأوَّل، والذي سيُتمَّم في عودته. إنَّ يسوع، الابن الإلهيَّ المتجسِّد، هو محور خطَّة الله الأبديَّة وعمل الخليقة الجديدة. في الواقع، كما يذكِّرنا بولس مرَّة أخرى في أنشودته الكريستولوجيَّة الشهيرة، ليس الابن السرمديُّ هو الذي من خلاله خَلَقَ الآب كلَّ شيءٍ فحسب، بل إنَّ غرض الخليقة أيضًا هو في النهاية «لَهُ» (كولوسي ١: ١٦).

بالنظر إلى مركزيَّة المسيح في الكتاب المقدَّس واللاهوت، فليس من المستغرَب أنَّ إساءة فهم هويَّته هو أمر خطير للغاية. في الواقع، كما يذكِّرنا جيريمي جاكسون Jeremy Jackson عن حقٍّ، ففي صميم كلِّ أشكال البدع أو الفهم الخاطئ عن الإنجيل واللاهوت المسيحيِّ، يكمُنُ تشويهٌ أو إنكارٌ للمسيح.[1] من نواحٍ عديدة، تعتبر الكريستولوجيا التي يؤمن بها الفرد اختبارًا لحالة لاهوته كلِّه. فكلَّما شذَّت المفاهيم الكريستولوجيَّة

1 Jeremy C. Jackson, *No Other Foundation: The Church through Twenty Centuries* (Westchester, IL: Crossway, 1980), 31–42.

التي نمتلكها، خاصَّةً فيما يتعلَّق بهويَّة الابن الفريدة والحصريَّة وعمله الكامل، كلَّما كان لاهوتنا خاطئًا في مجالات أخرى. إذ أنَّ «الأفكار لها عواقب»، وأهمُّ «فكرة» يجب إصابتها بدقَّة هي تحديد هويَّة يسوع إزاءً لله الثالوث. فهناك العديد من المعتقدات التي تميِّز المسيحيَّة عن الرؤى الكونيَّة الأخرى، ولكن لا توجد معتقدات مركزيَّة بأهميَّة شخصيَّة يسوع.

إنَّ التفكير في كلِّ ما يقوله الكتاب المقدَّس عن يسوع والمصارعة الفكريَّة مع الكنيسة بينما سعت إلى الاعتراف بالمسيح بأمانة ليست مهمَّة سهلة، لكنَّها ضروريَّة للغاية، خاصَّةً إذا كنَّا بصدد اقتناء فكرٍ صحيح من جهة الله والإنجيل والإيمان المسيحيِّ بأكمله. كما أنَّ دراسة الكريستولوجيا ليست مقصورة على علماء اللاهوت الأكاديميِّين. بل إنَّه امتياز ومسؤوليَّة ومجدٌ مخوَّلٌ به كلُّ مسيحيٍّ. إذ تتعلَّق الحياة المسيحيَّة والخدمة المسيحيَّة بمعرفة الله بالحقِّ، والإيمان بكلمة الله وطاعتها في حياتنا، واليقظة من أجل حقِّ الإنجيل، ونحن نفعل ذلك «هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ» (كورنثوس الثانية ١٠: ٥).

لكن على الرغم من أنَّ الكتاب المقدَّس واللاهوت يذكِّرانا بمركزيَّة المسيح في كلِّ شيء، فإنَّ الكنيسة الإنجيليَّة، للأسف، معرَّضة لخطر إهمال هذه الحقيقة. وأسبابُ مشروعيَّةِ هذا القلق موجودة في تقرير State of Theology لعام ٢٠١٨ الذي يكشف عن نقصٍ خطير في المعرفة الكتابيَّة-اللاهوتيَّة وفي نقاوتها وأمانتها.[٢] ولكن توجد أسباب أخرى لمشروعيَّة هذا القلق في النقاش الذي يدور على وسائل التواصل الاجتماعيِّ حول أيَّةِ قضيَّةٍ تبدو حديثة. إذ يبدو الإنجيليُّون أكثر استعدادًا «للتعارُك» و«الانقسام» حول القضايا الثانويَّة التي ينطوي عليها الإنجيل

2 *The State of Theology*, Ligonier, accessed May 7, 2020, http://thestateoftheology.com.

بـدلاً مـن الوقـوف بإخـلاص مـع الحقائـق التـي تعتبـر مركزيَّـة فـي الإنجيـل، أي حقائـق الكريسـتولوجيا واللاهـوت الأساسـيِّ، كمـا يتَّضـح مـن اسـتطلاع الـرأي الـذي قامـت بـه State of Theology.

هدفـي فـي كتابـة هـذا الكتـاب هـو إعـادة الكنيسـة إلـى مـا هـو مركـزيٌّ: مجـد المسـيح. آمـل أن يسـاعد هـذا الكتـاب فـي تجهيـز الكنيسـة للتعـرُّف بشـكلٍ أفضـل علـى المعطيـات الكتابيَّة الأساسـيَّة المتعلِّقـة بالمسـيح واعتراف الكنيسـة اللاهوتـيِّ بـه. وصلاتـي هـي أنَّـه مـن خـلال قضـاء الوقـت فـي التفكير فـي مجـد ربِّنـا يسـوع المسـيح وعظمتـه، فـإنَّ قـرَّاء هـذا الكتـاب سـينقادون، ولـو بقـدرٍ بسـيط، إلـى بهجـة متجـدِّدة فـي معرفـة المسـيح والمنـاداة بـه وحـده (كولوسـي ١: ٢٨). فـي الواقـع، توجـد الكنيسـة فـي المقـام الأوَّل لكـي تعـرف وتعلـن مجـد الله الثالـوث فـي وجـه المسـيح، والابتعـاد عـن هـذا المركـز سـيقود الكنيسـة بعيـدًا عـن حياتهـا وصحَّتهـا.

إنَّ سـفر الرؤيـا ٤-٥ يمثِّـل إحـدى الـرؤى التـي تتوِّج الكتـاب المقـدَّس. إنَّها رؤيـا أخَّـاذة يُـرى فيهـا الله الثالـوث فـي كلِّ مجده وقداسـته وسـلطته وسـيادته واكتفائـه الذاتـيِّ. فـي هـذه الرؤيـا، يتـمُّ تذكيرنـا بمـا هـو جوهـريٌّ ومهـمٌّ حقًّـا: الـربُّ علـى عرشـه والحمـل المذبـوح. يحتـاج المسـيحيُّون فـي كلِّ جيـل إلـى هـذه الرؤيـا لتجديدهـم. نحتـاج إلـى تذكيرنـا بمَـن هـو مركـزيٌّ، ومَـن يسـتحقُّ، ومَـن تجـب طاعتـه، ومـن هـو رجاؤنـا الوحيـد وخلاصنـا. وكنتيجـةٍ للتفكيـر فـي مجـدِ ربِّنـا يسـوع فـي الكتـاب المقـدَّس واللاهـوت، فلنعتـرِف مـع الجيـوش الملائكيَّـة:

«لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخَرُوفِ
الْبَرَكَةُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ
إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ!»
(الرؤيا ٥: ١٣)

قائمة المصطلحات[1]

خارجيًّا ad extra. في لاهوت التثليث، يشير هذا المصطلح اللاتينيُّ إلى أعمال الله الثالوث «خارج» (extra) نفسه في الخلق والعناية والإعلان والفداء والدينونة. في هذه الأعمال الإلهيَّة، يعمل الأشخاص الثلاثة، الآب والابن والروح القدس، بشكل لا ينفصل كإله واحد، ولكن بشكل متمايز وفقًا لعلاقاتهم الأقنوميَّة داخل الثالوث.

داخليًّا ad intra. في لاهوت التثليث، يشير هذا المصطلح اللاتينيُّ إلى حياة الله «في الداخل» (intra) قبل أعماله الخارجيَّة وفي إطار العلاقات الأقنوميَّة الأزليَّة والضروريَّة للآب والابن والروح القدس. كلُّ أقنوم من الأقانيم الثلاثة هو الله بالكامل، ويشترك بشكلٍ كاملٍ ومتساوٍ في الطبيعة الإلهيَّة الواحدة غير المنقسمة، ومع ذلك يتمُّ تمييزهم وفقًا لعلاقاتهم الأقنوميَّة داخل الثالوث: الوالديَّة (الآب)، والمولوديَّة السرمديَّة (الابن)، والانبثاق السرمديُّ (الروح) .

١ رتِّبت هذه القائمة أبجديًّا وفقًا للترتيب الأصليِّ في اللغة الإنجليزيَّة؛ (المُترجِم).

بدعـة التبنِّـي Adoptionism. بدعـة لـدى الكنيسـة الباكـرة أنكـرت ألوهيَّـة المسـيح. هنـاك اختلافـات فـي وجهـة النظـر، ولكـن بشـكلٍ عـامٍّ، تُعلِّـم البدعـة أنَّ يسـوع كان مجـرَّد رجـلٍ جـاء عليـه «المسـيح» (قـوَّة الله وحضـوره) عنـد معموديَّتـه. مـن خـلال هـذا العمـل وبسـبب حياتـه وموتـه وقيامتـه، «تُبُنِّـيَ» يسـوع فـي الوقـت المعيَّـن كابـن لله ومُنِـح قـوى فريـدة. لكـنَّ يسـوع ليـس الابـن السـرمديَّ لله، الـذي اتَّخـذ فـي الوقـت المعيَّـن طبيعـةً بشـريَّة وهـو الآن إلـه كامـل وإنسـان كامـل.

التَشَـخصُن وعـدم التَشَـخصُن anhypostasia and enhypostasia. فـي الكريسـتولوجيا، تشـير هـذه المصطلحـات اليونانيَّـة إلـى طبيعـة الاتِّحـاد الأقنومـيِّ. فـي التجسُّـد، اتَّخـذ الابـن السـرمديُّ، الـذي يشـترك فـي الطبيعـة الإلهيَّـة مـع الآب والـروح، طبيعـةً بشـريَّة (جسـدًا و«نفسًـا عاقلـة»، بـكلِّ مـا يسـتتبعه هـذا مـن قـدرات ومَلَـكات مثـل العقـل والإرادة والعواطـف) وأصبـح هـو ذات طبيعتيـه الإلهيَّـة والبشـريَّة. يؤكِّـد «عـدم التَشَـخصُن» أنَّ الابـن الإلهـيَّ اتَّخـذ طبيعـة بشـريَّة «بـدون» (-an) شـخص أو ذات بشـريَّة (hypostasis)، فـي حيـن أنَّ «التَشَـخصُن» يذكِّرنـا أنَّ طبيعـة المسـيح البشـريَّة لا تخلـو أبـدًا مـن شـخصٍ لأنَّهـا تعيـش «فـي» (-en) شـخص (hypostasis) الابـن الإلهـيِّ. فالابـن السـرمديُّ لله هـو شـخص أو ذات كلتـا الطبيعتيـن.

الأبوليناريَّـة Apollinarianism. بدعـة لـدى الكنيسـة الباكـرة، مرتبطـة بأبوليناريـوس (حوالـي ٣١٠-٣٩٠)، وقـد فرَّطـت فـي إنسـانيَّة المسـيح الكاملـة فـي التجسُّـد. علَّـم أبوليناريـوس أنَّ الطبيعـة البشـريَّة تتكـوَّن من ثلاثـة أجزاء: جسـد بشـريٌّ ونفـس وروح (أو «عقـل»، باليونانيَّـة: nous). وفـي التجسُّـد، حـلَّ الابـن الإلهـيُّ محـلَّ الـروح البشـريَّة (أو «العقـل»، باليونانيَّـة nous) واتَّخـذ فقـط جسـمًا بشـريًّا، ممَّـا نتـج عنـه طبيعـة بشـريَّة غيـر مكتملـة، ممَّـا جعلهـا مختلفـة عـن طبيعتنـا. تـمَّ حرمانـه مـن قبـل الكنيسـة فـي مجمعَـي

القسطنطينيَّة (٣٨١) وخلقيدونية (٤٥١).

الأريوسية Arianism. بدعة لدى الكنيسة الباكرة، مرتبطة بأريوس (حوالي ٢٥٦-٣٣٦)، تنكر أزليَّة المسيح وألوهيَّته. بحسب لاهوت التثليث، الأريوسيَّة هي مذهب توحيديٌّ، لأنَّها تنظر إلى الابن على أنَّه أوَّل وأعظم كائن مخلوق من خلاله خلقَ اللهُ العالم، لكنَّ الابن ليس من نفس طبيعة الآب. تمَّ رفض هذا الرأي من قبل الكنيسة في مجمع نيقية (٣٢٥) وفي المجامع المسكونيَّة اللاحقة، بما في ذلك خلقيدونية (٤٥١). أكَّدت الكنيسة أنَّ الابن هو الله وبالتالي من «نفس الطبيعة» (homoousios) كالآب.

التعريف الخلقيدونيُّ Chalcedonian Definition. بيان الكنيسة النهائيُّ من مجمع خلقيدونية (٤٥١) حول هويَّة المسيح. وهو يؤكِّد أنَّ يسوع هو الابن الأزليُّ الإلهيُّ ارتباطًا بالآب والروح، والذي بإضافة الطبيعة البشريَّة (من جسدٍ بشريٍّ و«نفسٍ عاقلة») لذاته فهو الآن وإلى الأبد الله الابن المتجسِّد. إنَّ إقرار إيمان خلقيدونية هو أنَّ يسوع هو شخص واحد (الابن الإلهيُّ) يعيش الآن في طبيعتين، وبالتالي فهو إله كامل وإنسان كامل. رفضَ التعريفُ الخلقيدونيُّ أيضًا جميعَ البدع السابقة لدى الكنيسة فيما يتعلَّق بمن هو يسوع، اشتمالاً على الأريوسيَّة، والأبوليناريَّة، والنسطوريَّة، وبدعة الطبيعة الواحدة.

كريستولوجيا فوقيَّة مقابل كريستولوجيا دونيَّة Christology from Above Versus Christology from Below. تشير هذه التعبيرات إلى مناهج مختلفة اتَّخذها الناس في صياغة الكريستولوجيا أو تحديد هويَّة يسوع. بالنسبة للبعض، تشير كلمة «فوقيَّة» إلى صوغ الكريستولوجيا بدءًا بألوهيَّة المسيح، بينما «الدونيَّة» تبدأ بإنسانيَّته. من الأفضل، مع ذلك، التفكير في «الفوقيَّة» كإشارة إلى صوغ الكريستولوجيا بالبدء

بالسلطة الكاملة للكتاب المقدَّس ولاهوته وما يعلِّم به، بينما «الدونيَّة» هي كريستولوجيا ضمن حدود المنهج التاريخيِّ النقديِّ.

تشارُك الخواصِّ communicatio idiomatum. تُعلِّم هذه العبارة اللاتينيَّة أنَّ كلَّ ما يمكن أن يقال عن طبيعة المسيح الإلهيَّة والبشريَّة يمكن أن يقال عن شخص الابن. على سبيل المثال، يمكن أن يقول يسوع: «قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ» (يوحنَّا ٨: ٥٨)، ممَّا يعني أنَّه الابن الإلهيُّ الأزليُّ؛ وهكذا، فإنَّ كلَّ ما ينطبق على طبيعته الإلهيَّة ينطبق على شخصه. في نفس الوقت، يمكن أن يقول يسوع: «أَنَا عَطْشَانٌ» (يوحنَّا ١٩: ٢٨)، ممَّا يشير إلى بشريَّته؛ وهكذا، فإنَّ كلَّ ما ينطبق على طبيعته البشريَّة ينطبق على شخصه. بهذه الطريقة، في المسيح، يتمُّ الحفاظ على التمييز بين الخالق والمخلوق، بينما أدَّى التجسُّد الحقيقيُّ إلى أن يكون الابن (الشخص) ذاتًا لكلٍّ من الطبيعتين، عائشًا وعاملاً من خلال كلتا الطبيعتين.

القول بالمشيئتين في مقابل القول بالمشيئة الواحدة Dyothelitism versus Monothelitism. تؤكِّد الكريستولوجيا الأرثوذكسيَّة الكلاسيكيَّة أنَّه نتيجةً للتجسُّد، فإنَّ للمسيح إرادتين/مشيئتين (باليونانيَّة: dyo، «اثنان»؛ thelēma، «إرادة/مشيئة»)، إرادة إلهيَّة وأخرى إنسانيَّة تقع كلٌّ منهما في كلِّ طبيعة على حدة. تمَّ تأكيد هذا الرأي في مجمع القسطنطينيَّة الثالث (٦٨٠-٦٨١)، الذي رفض أيضًا القول بالمشيئة الواحدة (باليونانيَّة: monos، «واحد»؛ thelēma، «إرادة/مشيئة»)، والتي هي وجهة نظر تحدِّد موقع الإرادة في شخص الابن. رفضت الكنيسة القول بالمشيئة الواحدة لأنَّها تنطوي على إرادات/مشيئات في الثالوث وتنكر أيضًا الإرادة الإنسانيَّة في المسيح.

التجاوُز [الكالفينيُّ] extra [Calvinisticum], the. التعليم القائل بأنَّ

يسوع في التجسُّد لم يحتفظ بصفاته الإلهيَّة فحسب، بل استمرَّ أيضًا في ممارستها باعتباره الابن الثالوثيَّ. بالنظر إلى أنَّ الابن يعيش الآن في طبيعتين، فإنَّه لا يزال قادرًا على أن يعيش حياة إلهيَّة «متجاوزًا» (extra) طبيعته البشريَّة. بعبارة أخرى، لا تُقيِّد الطبيعةُ البشريَّةُ للمسيح حياتَه الإلهيَّة. خلال عصر الإصلاح، ارتبطت وجهة النظر هذه بجون كالفِن من قبل اللوثريِّين، لكنَّها ببساطة حقيقةٌ علَّمتها الكريستولوجيا الأرثوذكسيَّة الكلاسيكيَّة عبر العصور.

التنزيه في مقابل عدم التنزيه (إمكانيَّة الخطأ) Impeccability versus Peccability. تشير هذه المصطلحات إلى مسألة ما إذا كان ممكنًا للابن المتجسِّد أن يخطئ، مع التأكيد أيضًا أنَّ يسوع لم يخطئ في الواقع. يؤكِّد التنزيه (باللاتينيَّة: -in، «ليس»؛ peccare، «ليخطئ») أنَّ يسوع لا يمكن أن يخطئ، بسبب اتِّحاد طبيعته الإلهيَّة والبشريَّة في شخص الابن. ولأنَّ الابن هو الله في علاقة سرمديَّة مع الآب والروح، فهو مع ذلك عندما يتصرَّف في طبيعته البشريَّة ومن خلال طبيعته البشريَّة، فإنَّه، أي الابن، لا يستطيع أن يخطئ. يؤكِّد مبدأ عدم التنزيه أنَّ يسوع كان يستطيع أن يخطئ لكنَّه لم يخطئ في الواقع.

قراءة الكتاب المقدَّس من داخل النصِّ في مقابل قراءته من خارج النصِّ Intratextual versus Extratextual Reading Of Scripture. ترتبط هذه التعبيرات بمقاربات مختلفة عن المسيح، أي صوغ الكريستولوجيا الفوقيَّة والدونيَّة. على هذا النحو، يشير المصطلحان إلى طريقة المرء في الاقتراب من الكتاب المقدَّس واستخلاص النتائج الكريستولوجيَّة. يشير مصطلح «من داخل النصِّ» إلى الاقتراب من الكتاب المقدَّس وفقًا لادِّعاءاته وسلطته وتعليمه ولاهوته، وبالتالي البدء من فوق. بالمقابل، يشير مصطلح «من خارج النصِّ» إلى الاقتراب من

الكتاب المقدَّس في ضوء بعض الآراء «الخارجيَّة» (extra) والتي تُحسَب أنَّها أكثر موثوقيَّةً وسلطةً من الكتاب المقدَّس والتي من خلالها يتمُّ تفسير الكتاب المقدَّس، وبالتالي البدء من أسفل. تتبع الكريستولوجيا الأرثوذكسيَّة الكلاسيكيَّة نهجًا من داخل النصِّ، بينما تتبع عمليات إعادة البناء التاريخيَّة المختلفة عن يسوع التاريخيِّ نهجًا من خارج النصِّ.

النزعة الإخلائيَّة | الكريستولوجيا الإخلائيَّة Kenoticism | Kenotic Christology. غالبًا ما يرتبط هذا الرأي باللاهوت الألمانيِّ والإنجليزيِّ في القرن التاسع عشر، ويجادل بأنَّه في التجسُّد، قام الابن الإلهيُّ إمَّا مؤقَّتًا أو دائمًا بتجريد نفسه من صفاته غير الذاتيَّة التي لا تتوافق مع حياة الإنسان، مثل الوجود الكليِّ والقدرة المطلقة والمعرفة المطلقة. اللفظ «Kenotic» مشتق من الكلمة اليونانيَّة kenoō بمعنى «يخلي/يفرغ» الواردة في فيلبِّي ٢: ٧. تمَّ رفض هذا الرأي من قبل الكريستولوجيا الأرثوذكسيَّة الكلاسيكيَّة لأنَّه لا يقوِّض ألوهيَّة الابن فحسب، ولكن أيضًا يثير الكثير من المشكلات من جهة عقيدة الثالوث الأقدس والتعاليم الكتابيَّة بشأن تجسُّد ابن الله.

الشكلانيَّة Modalism. بدعة لدى الكنيسة الباكرة تؤكِّد وحدانيَّة الله ولكنَّها تنكر أنَّ الأشخاص الإلهيِّين، الآب والابن والروح القدس، هم أشخاص متمايزون يشتركون في نفس الطبيعة الإلهيَّة غير المنقسمة. هذا الرأي يصرُّ على أنَّ ألفاظ: الآب والابن والروح القدس، هي ثلاثة «أسماء» أو «أنساق modes» لنفس الشخص ولكنَّها ليست مصطلحات تشير إلى ثلاثة أقانيم إلهيِّين متمايزين. الشكلانيَّة هي أحد أشكال المونارخيانيَّة Monarchianism التي تؤكِّد بحقٍّ وحدانيَّة الله (باليونانيَّة: monos، «واحد»؛ archos، «الحاكم، المصدر») لكنَّها تنكر المساواة والتمايز بين الأشخاص الإلهيِّين.

بدعة الطبيعة الواحدة | الأوطاخيَّة Monophysitism | Eutychianis
بدعة لدى الكنيسة الباكرة تنكر أنَّ للمسيح طبيعتين متمايزتين -طبيعة إلهيَّة وأخرى بشريَّة- متَّحدتين في شخص الابن. وهي مرتبطة بأوطيخا [أو أوطاخي] (٣٨٠-٤٥٦)، وقد أدينت في مجمع خلقيدونية (٤٥١). تعلِّم بدعة الطبيعة الواحدة (باليونانيَّة: monos، «واحد»؛ physis، «طبيعة») أنَّه نتيجةً للتجسُّد، تمَّ ابتلاع الطبيعة البشريَّة للمسيح وامتصاصها ودمجها في طبيعته الإلهيَّة، بحيث تغيَّرت كلتا الطبيعتين إلى طبيعة جديدة واحدة؛ ونوع الطبيعة الثالثة ليس إلهيًّا ولا بشريًّا بالكامل.

الطبيعة | الجوهر Nature | Gk. ousia | Lat. essentia, substantia.
في علم اللاهوت، تشير «الطبيعة» إلى ماهيَّة الشيء. فيما يتعلَّق بالله، فإنَّ الطبيعة الإلهيَّة هي ماهيَّة الله، وتوصف غالبًا من حيث سماته وصفاته، التي هي كلُّها ذاتيَّة بالنسبة له. وهكذا، فإنَّ طبيعة الله بسيطة، لانهائيَّة، سرمديَّة، غير ماديَّة، كليَّة القدرة، كليَّة العلم، كليَّة الوجود، وما إلى ذلك؛ وهي بالضرورة كذلك. فيما يتعلَّق بالبشر، فإنَّ الطبيعة البشريَّة هي ما يصفه البشر غالبًا بمصطلح «مركَّب الجسد والروح» مع القدرات المرتبطة بذلك، مثل الإرادة والعقل والعواطف.

النسطوريَّة Nestorianism. بدعة لدى الكنيسة الباكرة تؤكِّد أنَّ للمسيح شخصين ولا تفسِّر وحدانيَّة شخص المسيح. وهي مرتبطة بنسطور (حوالي ٣٨٦-٤٥١)، وقد تمَّت إدانتها في مجمع أفسس (٤٣١). تنظر النسطوريَّة إلى إنسانيَّة المسيح كما لو كانت إنسانًا أو ذاتًا مستقلَّة، ممَّا يفتح الباب لبدعة التبنِّي. على عكس النسطوريَّة، يصرُّ الكتاب المقدَّس على أنَّ طبيعة المسيح البشريَّة ليست شخصًا بشريًّا مستقلاً بل هي شخص واحد، الابن الإلهيُّ، الذي يعمل كذات موحَّدة الآن في طبيعتين.

قانـون إيمـان نيقيـة Nicene Creed. هـو اعتـراف الكنيسـة بـالله الثالـوث مـع الاعتـراف بألوهيَّـة الابـن، ربَّنـا يسـوع المسـيح. قانـون إيمـان نيقيـة هـو تجميـع لأوَّل مجمعيـن للكنيسـة، نيقيـة (٣٢٥) والقسـطنطينيَّة (٣٨١). يرفـض قانـون الإيمـان النيقيـويُّ الأريوسـيَّةَ ويؤكِّـد أنَّ الابـن «مولـود مـن الآب» (مولوديَّـة سـرمديَّة) ومـن «نفـس الطبيعـة» (homoousios) كالآب، وبالتالـي هـو الله بالكامـل. ويؤكِّـد أيضًـا أنَّ الـروح القـدس هـو «الـربُّ واهـب الحيـاة»، وهـو شـخص إلهـيٌّ متمايـز بجانـب الآب والابـن.

شـخص | أقنـوم Person | Gk. hypostasis | Lat. persona, subsistentia. فـي قرينـة الـكلام عـن الثالـوث، ينطبـق هـذا المصطلـح على الآب والابـن والـروح القـدس، الذيـن يتشـاركون فـي نفـس الجوهـر غيـر المنقسـم ومـع ذلـك يتمايـزون بعلاقاتهـم، أو أنسـاق العَيـش فـي الطبيعـة الإلهيَّـة. يتمايـز الآب بــ «الوالديَّـة»، ويتمايـز الابـن بــ «المولوديَّـة» وهـو مـن الآب، والـروح القـدس يتمايـز بــ «الانبثـاق» وينبثـق سـرمدًا مـن الآب والابـن. وفـي قرينـة الـكلام عـن الكريسـتولوجيا، فـإنَّ الابـن هـو الأقنـوم الثانـي فـي اللاهـوت، الـذي اتَّخـذ طبيعـة بشـريَّة عنـد التجسُّـد. والشـخص هـو ذات الطبيعـة، وفـي حالـة المسـيح، فـإنَّ شـخص الابـن هـو الـذات القائمـة فـي كلتـا الطبيعتيـن.

مسـاعي البحـث عـن يسـوع التاريخـيِّ Quests for The Historical Jesus. مقاربـة كريسـتولوجيَّة دونيَّـة وداخـل حـدود فكـر التنويـر ومـا بعـد التنويـر. بـدأت فـي عـام ١٧٧٨ وتسـتمرُّ حتَّـى اليـوم. فـي الواقـع، هنـاك ثلاثـة مظاهـر مميَّـزة لهـا. تلـك المسـاعي هـي ملاحقـات بهـدف اكتشـاف مـن كان يسـوع حقًّـا -«يسـوع التاريـخ»- فـي مقابـل يسـوع المُعلَـن فـي الكتـاب المقـدَّس. تفتـرض المسـاعي أنَّ يسـوع الكتـاب المقـدَّس ليـس بالضـرورة هـو يسـوع التاريـخ، لـذا باتِّبـاع الطريقـة التاريخيَّة-النقديَّـة ومـا يسـمَّى بالطبيعانيَّة

المنهجيَّـة Methodological Naturalism، فهـي تسـعى للكشـف عـن يسـوع «الحقيقـيِّ». ومذهـب الطبيعانيَّـة المنهجيَّـة هـو وجهـة النظـر القائلـة بأنَّـه فـي دراسـتنا للتاريـخ، نفتـرض أنَّـه لا مجـال للعامليَّـة الفوقطبيعيَّـة، ونشـرح كلَّ شـيء مـن منظـور العلاقـات «الطبيعيَّـة» بيـن السـبب والنتيجـة.

الترتيـب taxis. فـي اللاهـوت الثالوثـيِّ، يشـير هـذا المصطلـح اليونانـيُّ إلـى العلاقـات الضروريَّـة والأبديـة والثابتـة للأشـخاص، أو «الترتيـب» بيـن الآب والابـن والـروح القـدس. الآب هـو الأوَّل، ولـه والديَّـة بسـبب علاقتـه بالابـن، وهـو الـذي يبـادر ويرسـل. الابـن متمايـز عـن الآب لأنَّـه مـن الآب أزلاً. والـروح ليـس هـو الآب ولا الابـن لأنَّـه منبثـق أزلاً مـن الآب والابـن. فـي أعمـال الله الخارجيَّـة، يتصـرَّف الأشـخاص الثلاثـة بشـكلٍ لا ينفصـم ولكـن بشـكلٍ متمايـز وفقًـا للـ taxis، أو علاقاتهـم «المُرتَّبـة».

لمزيد
من القراءة

Athanasius, *On the Incarnation*. Translated by John Behr. Popular Patristics 44b. Yonkers, NY: St. Vladimir's Seminary Press, 2011.

عمـلٌ كلاسـيكيٌّ مـن العصـر الآبائـيِّ يشـرح بوضـوح مجـد المسـيح وطبيعـة التجسُّـد مـن الكتـاب المقـدَّس.

Bauckham, Richard. *Jesus and the God of Israel*: "*God Crucified*" *and Other Studies on the New Testament's Christology of Divine Identity*. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2008.

عملٌ متقدِّم يتناول النقاشـات الحاليَّة داخل الدراسـات الكتابيَّة واللاهوتيَّة حول هويَّة يسـوع وهو يدافع عن كريسـتولوجيا راقية لهويَّة يسـوع الإلهيَّة.

Letham, Robert. *The Message of the Person of Christ*: *The Word Made Flesh*. The Bible Speaks Today. Downers Grove, IL: IVP Academic, 2013.

كتاب تمهيديٌّ يبحر عبر النصوص الكتابيَّة الرئيسيَّة في العهدين القديم والجديد للكشف عن هويَّة يسوع في الكتاب المقدَّس. يجب قراءته لأولئك الذين يريدون تعلُّم كيفية المناداة بالمسيح من الكتاب المقدَّس والانتقال من النصِّ إلى الصياغة اللاهوتيَّة.

Macleod, Donald. *The Person of Christ*. Contours of Christian Theology. Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1998.

معالجة مفيدة وأكثر تقدُّمًا وكلاسيكيَّة لشخص المسيح تعمل من خلال علم اللاهوت الكتابيِّ والتاريخيِّ والنظاميِّ.

Morgan, Christopher W., and Robert A. Peterson, eds. *The Deity of Christ*. Theology in Community. Wheaton, IL: Crossway, 2011.

كتاب أكثر تقدُّمًا، كتبه ثمانية علماء لاهوت، يشرح ويدافع عن ألوهيَّة المسيح في الكتاب المقدَّس والتاريخ وتطبيقات ذلك في عصرنا الحاليِّ.

Nichols, Stephen J. *For Us and for Our Salvation*: *The Doctrine of Christ in the Early Church*. Wheaton, IL: Crossway, 2007.

عمل تمهيديٌّ ومفيد يغطِّي تطوُّر الكريستولوجيا ومناقشات اللاهوتيِّين الرئيسيِّين الذين ساعدوا في صياغة الأرثوذكسيا في القرون الخمسة الأولى من الكنيسة.

Vos, Geerhardus. *Christology*. Vol. 3 of *Reformed Dogmatics*. Translated and edited by Richard B. Gaffin Jr. Bellingham, WA: Lexham, 2014.

كتاب متوسِّط المستوى مُصمَّم لتغطية المعطيات الكتابيَّة والتاريخيَّة الأساسيَّة المتعلِّقة بمن هو يسوع وطبيعة التجسُّد بواسطة توظيف أسئلة وأجوبة مختلفة.

Wellum, Stephen J. *God the Son Incarnate*: *The Doctrine of Christ*. Foundations of Evangelical Theology. Wheaton, IL: Crossway, 2016.

كتاب متقدِّم يسعى إلى وصف المسيحية الخلقيدونيَّة والدفاع عنها في ضوء القضايا الحالية والتيارات اللاهوتيَّة.

الفهرس العام

الآب
بصفته «مصدر الألوهة»، ١٧٨-١٧٩
متمايز بعلاقة الوالديَّة، ١٧٤
مرتبطًا بالابن، ١٧٧-١٧٨
الوالديَّة، ١٧٧
آبا، ٦٤
إبراهيم، العهد معه، ٥١
الابن
اتَّخذ طبيعة بشريَّة، ١٢٥، ١٨٨-١٩٠
اتَّخذ نفسًا بشريَّة، ١٢٢
ألوهيته، ٨٤، ٨٥، ٨٨، ٩١، ١٠٩، ١٧٠-١٧١
بكر كلِّ خليقة، ٨٤
توالده الأزليُّ، ٧٩ح٨، ١١٠-١١١، ١٧٤
حكمه المعني بالخليقة، ٨٦
ربُّ العناية الإلهيَّة، ٩١
صفاته الإلهيَّة، ١٣٥، ١٤٧
طاعته كإنسان، ١٤٢
طبيعته البشريَّة غير الساقطة، ١٨٣-١٨٤
عاش وتصرَّف في كلتا الطبيعتين، ١٣٧
عدم قابليَّته للتغيُّر؛ ١٣٦-١٣٧
فروقه الأقنوميَّة، ١٠٩-١١٠
كشخص موحَّد في طبيعتين، ١١٦
كعامل نشِط في الخلق، ٩١
متجسِّدًا دون فقدان الألوهيَّة، ١٨١
مُرتبطًا بالآب، ١٧٧-١٧٨
مرتبطًا بالروح، ١٧٨-١٧٩
مولوديَّته، ١٧٤-١٧٥
وارث كلِّ شيء، ٩١

وجوده «خارج» طبيعته البشريَّة، ١٣٥-١٣٦
وحده المتجسِّد، ١٧٧-١٧٨
يشترك في المساواة الكاملة مع الله، ٨٩
انظر أيضًا يسوع المسيح
ابن الإنسان (اللقب)، ٦٧-٦٨، ٧٧
ابن الله (اللقب)، ٦٤-٦٦
الابن المتجسِّد، وظائف كونيَّة، ١٥١
ابن داود الأعظم، ٥٢، ٦٦، ٧٤، ٨١، ٩١
أبوَّة مزدوجة، ٨٠
الأبولیناريَّة، ١١٢-١١٤، ١٢١، ١٣٨، ١٤٨-١٤٩، ٢٠٨، ٢٠٩
أبوليناريوس، ١١٢، ١١٤، ٢٠٨
اتِّحاد أقنومي/شخصانيّ، ١٠٠، ١٢٤-١٢٩، ١٦٥، ١٩٠
أثناسيوس، ١١٢، ١٣٠ح١٢، ٢١٧
الإخفاء krypsis، ٨٩، ١٣٧
إخلاء kenosis، ١٣٧، ١٤٩
آدم
خطيَّته، ٤٥-٤٨
كمثال للمسيَّا، ٤٤-٤٥، ٦٤
انظر أيضًا آدم الأوَّل
آدم الأخير، ٤٦، ٤٧، ٥٠، ٨٠، ٨٣، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ١٣٢، ١٣٧، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٧
آدم الأعظم، ٤٨، ٥٠، ٥٤، ١٨٦
آدم الأوَّل، ٤٦، ٨٣، ٩٢، ١٣٧، ١٨٣، ١٩٧
أرثوذكسيا مؤيِّدة لنيقية، ١٠٢
أريوس، ٧٧ح٥، ٩٨، ١٠٨
الأريوسيَّة، ٨٣، ٨٤، ٩٨-٩٩، ١٠٨-١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٩، ١٥٦، ٢٠٩
إسرائيل، العهد معه، ٥١
إسلَر، كلاوس ١٥٢ح٢٣ و٢٤، ١٦١
الأشخاص البشر، ليسوا علاقات عائشة، ١٧٤-١٧٥
أعمال ad extra، ١١١، ١٣٣، ١٧٤، ٢٠٧
أعمال الثالوث غير مقسمة ad extra sunt indivisa opera Trinitatis، ١٧٧
أقنوم/شخص إلهيٌّ، كعلاقة قائمة (عائشة)، ١٧٤
الانبثاقات الإلهيَّة، ١٠٥ح١٠، ١١١، ١٣٣، ١٥٨، ١٦١، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٩
آنسَلْم، ٣٧
أوطاخي، ١١٦، ٢١٣
أوطاخيَّة،١١٧، ٢١٣
أُوِن، جون، ١٣٢، ١٣٣
«الإيمان الساعي إلى الفهم»، ٣٧، ٨٧، ٩٨
باثريوس، ديميتريوس، ١٤٠
باسيليوس القيصريّ، ١١٢
بافِنك، هِرمان،١٠٣، ١٠٤، ١٢٨، ١٧٦، ١٨٦
باكر، جيمس، ١٩٧
باننبِرغ، وولفهارت، ٣١، ٣٢، ٣٣

بدعة التبنِّي، ٨٠، ١٠٥-١٠٦، ١١٥، ١٢٠، ٢٠٨
بدعة الطبيعة الواحدة (المونوفيزيَّة)، ١١٢، ١١٦-١١٧، ١٢١، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٨، ٢٠٩، ٢١٣
بدعة تألُّم الآب، ١٠٥
براون، هارولد، ١٠٥
البشر، كأبناء-صور، ٤٦
بِليكان، ياروسلاف، ١٥ح١
بوثيوس، ١٠٥ح٨، ١٥٨ح٣٦، ١٧٣
بولتمان، رودولف، ٢٩
بولس من ساموساتا، ١٠٦
بولس، في أثينا، ٣٥، ٤٠
بيلاطس البنطيُّ، ١٠٧
التثليث الاجتماعيُّ، ١٤٠
التجاوُز، ٨٤، ٨٦، ١٣٤-١٣٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٩٠، ٢١٠
ترفضه الكريستولوجيا الإخلائيَّة الأنطولوجيَّة، ١٥٠
ترفضه الكريستولوجيا الإخلائيَّة الوظيفيَّة، ١٥٢
والعامليَّة المزدوجة للمسيح، ١٩٥-١٩٦
التجسد الساقط، ١٨٣، ١٨٤
التجسُّد، ٧٧، ٧٨-٧٩، ٨٨-٩٠، ١٨١-١٨٨
كإضافة، ١٤٧، ١٨١
كانتقاص، ١٤٧، ١٨١
لشخص أو ذات، ١٧١
و«تنحية» الصفات الإلهيَّة، ١٤٧
والتمييز بين الطبيعة والشخص، ١٧٥
والفداء، ١١٠-١١١
ينتهي على الابن وحده، ١٢٧-١٢٨
التداخل المتبادَل perichoresis، ١٢٩، ١٣٠
تشارُك الخواصِّ، ١٢١، ١٢٨-١٣١، ١٣٢، ١٣٧، ١٩٠، ٢١٠
والعامليَّة المزدوجة للمسيح، ١٩١-١٩٥
تشارُك المجريات، ١٣١، ١٣٣
تشارُك المواهب، ١٢٩-١٣١
التعدديَّة الدينيَّة، ٢٥
التعريف الخلقيدونيُّ، ٣٧، ٤٧، ٩٢، ٩٩، ١٠٠-١٠١، ١١٢، ١١٦-١٢٢، ١٢٤، ١٢٨-١٢٩، ٢٠٩
والكريستولوجيا الإخلائيَّة، ١٥٤
التقسيم الثلاثيُّ للإنسان، ١١٣
التقليد، ٣٧
كقاعدة محكومة norma normata، ٣٨
التمييز بين الخالق والمخلوق؛ ٤١، ٩٨، ١١٢، ١٢١، ١٢٩، ١٧٣، ١٩١، ١٩٦، ٢١٠
التمييز بين الذاتيّ والحادث (في الصفات الإلهيَّة)، ١٠٣، ١٠٤، ١٤٨، ١٥١، ١٥٥، ١٥٦
التمييز بين الشخص والطبيعة، ١٠٢-١٠٥، ١٣٨، ١٤٢، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٩٦
التنزيه (عدم القابليَّة للخطأ)، ٢١١
التنوير، ٢٤، ٢٥، ٢٨، ٢٩، ١٤٦، ٢١٤
وإعادة بناء الماضي، ٣١
التوحيديُّون، ١٠٦، ١٠٧، ٢٠٩

توما الأكويني، ١٢٧، ١٣٦ح٢٥
تيلور، تشارلز، ٢٥
الثالوث، ٣٣، ٩٨
العلاقات العائشة داخله، ١٠٢، ١٧٤-١٧٥، ١٧٦-١٨١
مجرياته لا تنفصل عن أقانيمه، ١٥٢
والقول بالمشيئتين، ١٣٩
وهويَّة المسيح، ٤٢-٤٣
ثيوس theos، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ١٧٠، ١٧١
جاكسون، جيريمي ٢٠٢
جستنيان الأوَّل، الإمبراطور، ١٢٧
جسد ونفس، ١١٢-١١٣، ١٧٢-١٧٣
جوهر/طبيعة، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٩، ١١٠، ١١٨، ١١٩، ١٣٣، ١٥١، ١٥٨ح٣٦، ١٧٢، ١٧٣، ٢١٣، ٢١٤
الحبَل العذراويُّ، ٧٩-٨٣، ١٨٣
الحداثة، ٢٤
الحريَّة الليبرتاريَّة، ١٨٧
الحياة ad intra، ١٠٥، ١١١، ١٣٣، ١٧٤، ٢٠٧
الحياة الإلهيَّة داخل الثالوث، ٦٦
خلقيدونية، كريستولوجيا الطبيعتين، ١٣٨
داود، العهد معه، ٥١-٥٤
«الدهر الآتي»، ٦٣
دوامة تفسيريَّة، ٣٨
الدوسيتيَّة، ٧٨ح٧
ديفيدسون، أيفور، ١٢٥
ديويس، جارِت، ١٦١
ذو جوهر واحد homoousios، ٩٨، ١٠٥، ١٠٩، ١١٠، ١١٨، ٢٠٩، ٢١٤
رايت، نيكولاس، ٧١
الربُّ (اللقب)، ٧٧
الربُّ kyrios، ٧٧، ٧٨
الربوبيَّة، ٤١، ١٧٦
الروح القدس، ٨٢
انبثاقه الأزليُّ، ١٧٤، ١٧٧
عامِليَّته في الحبَل العذراوي، ٨١
في مجمع القسطنطينيَّة، ١٠٨-١٠٩
والابن المتجسِّد، ١٣٢-١٣٣، ١٥٢-١٥٣، ١٧٨-١٨٠
الرؤية الكونيَّة، ٢٤-٢٩، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٤٠، ٦٣، ٢٠٣
رؤية توافقيَّة للحريَّة، ١٨٧
ريتشارد بوكام، ٢١٧
السابليَّة، ١٠٦
ساندرز، فردِ؛ ١١٧
ستُوتْ، جون، ٤٩
السقوط، ليس حتميًّا للبشريَّة، ١٨٣
السوسينيانيِّين، ١٠٦
سوين، سكوت، ١٧٨
سيادة الله الربانيَّة وهويَّة المسيح، ٤٥-٤٦

شبكة تفسيريَّة كونيَّة جامعة، ٣٢
شجرة معرفة الخير والشر، ٤٧
شخص/أقنوم، ٧٨، ١٠٠، ١٠٢-١٠٦، ١١٠، ١١١، ١١٩، ١٢٥، ١٧٠، ٢١٤
الرأي الكلاسيكيُّ عنه، ١٧٣-١٧٦
الكريستولوجيا الإخلائيَّة الأنطولوجيَّة عنه، ١٤٩
الكريستولوجيا الإخلائيَّة الوظيفيَّة عنه، ١٥٧-١٦٦
كعلاقة عائشة، ١٤٩
كنفس عاقلة، ١٣٩، ١٤٩، ١٥١، ١٥٣، ١٦٢
hypostasis، ٧٨، ١٠٣، ١١٩، ١٢٠، ١٢٥، ١٧٢، ٢٠٨
شخصانيَّة/تَشَخصُن، ١٢٥، ١٧٥، ١٨٧، ١٩٠، ٢٠٨
شراينر، توماس، ٦٩
الشكلانيَّة/الموداليَّة، ١٠٦، ١٠٨، ٢١٢
شهود يهوه، ١٧، ٧٧ح٥، ٨٤، ١٠٧
«صورة العبد»، ٨٨، ٨٩
«صورة الله»، ٨٨
الصياغة اللاهوتيَّة، كمرتبة ثانية للكريستولوجيا، ٣٧
طاعة العهد، ٤٦-٤٨
الطبيعانيَّة المنهجيَّة، ٢٧، ٢١٤
الطبيعة البشريَّة كجسد ونفس، ١١٢-١١٤، ١٧٢-١٧٣
الطريقة التاريخيَّة النقديَّة، ٣٠، ٢١٤
عبارات «أنا هو»، ٦٩-٧٠
العلاقات المُرتَّبة taxis، ١١١، ١٥٩، ١٦٥، ١٧٧، ١٧٩، ٢١٥
علم اللاهوت الأساسي، ١٧٧
علم اللاهوت التاريخيِّ، ٥، ٧، ١٨، ١٩، ٣٧، ١٠١
علماء اللاهوت الكبادوك، ١١٢، ١٣٠ح١٢،
علمانيَّة، ١٧، ١٩٩
عمانوئيل، ٦٩
عموميَّة الخلاص، ١٢٨
عهد الفداء، ٤٤
العهد القديم، عن يسوع، ٣٩، ٥٢، ٦١، ٦٥، ٧٦، ٨١
العهد الموسويُّ، ٥٢
العهود، ٥١
غانتِن، كولِن، ٣٢، ٣٣
غريغوريوس النزينزي، ١١٢ ١١٤، ١٣٩، ١٦٥
غريغوريوس النيصي، ١١٢
غريلماير، ألويس، ١٢٧
الفلسفة اليونانية، ١٠٠
«في آدم»، ٤٦، ٤٧، ٥١، ١٨٤
«في المسيح»، ١٢٧-١٢٨
فيربيرن، دوانالد، ١١٥
قابليَّة الخطأ (عدم التنزيه)، ١٨٤، ٢١١
قاعدة حاكمة norma normans، ٣٨

قاعدة محكومة norma normata، ٣٨
قانون إيمان نيقية، ٩٩، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٩، ٢١٤
قسطنطين، ١٠٩
قواعد الإيمان، ٣٣
القول بالمشيئة الواحدة، ١٣٨ح٣٠، ١٤٠، ١٤٩، ١٥٤، ١٥٨، ٢١٠
القول بالمشيئتين، ١٣٨-١٤٣، ١٥٠، ١٦٥، ٢١٠
القيُّوميَّة، ٤٥
كارسون، دونالد، ٤١، ٧٥
كالفِن، جون، ١٠٥، ١٣٤ح٢٠، ١٣٦، ١٣٧، ٢١١
الكتاب المقدَّس؛
سلطته، ٣٢-٣٣
عن هويَّة يسوع، ١٧، ٢٣، ٣٣، ٣٤
قراءته من خارج النصِّ، ٢١١
قراءته من داخل النصِّ، ١٧، ٢٣، ٢١١
كأوَّل مرتبة للكريستولوجيا، ٣٧
كقاعدة حاكمة، ٣٨
كرِسب، أولِفر، ١٣٥ح٢٢، ١٥٢، ١٥٥
كريستوتوكوس، ١١٦ح٢٩
كريستولوجيا إخلائية، ١٤٦
الكريستولوجيا الإخلائيَّة الأنطولوجيَّة OKC، ١٤٧-١٥٠
إعادة تعريفها الطبيعة، ١٥٤-١٥٧
الكريستولوجيا الإخلائيَّة الوظيفيَّة FKC، ١٥١-١٥٣
«كريستولوجيا الروح»، ١٥٢
كريستولوجيا الكلمة-الإنسان، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١٤٣
كريستولوجيا الكلمة-الجسد، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١٣٨
كريستولوجيا خلقيدونية، ١٤٢-١٤٣
كريستولوجيا دونيَّة، ٢٥-٢٦، ٣٠-٣٢، ٢٠٩
كريستولوجيا فوقيَّة، ٢٣-٣٨، ٢٠٩
كريستولوجيا، ١٧-١٨،
التأمل فيها عبر تاريخ الكنيسة، ٩٧، ٩٨
كاختبار للاهوت، ٢٠٢
لغتها، ٩٢
مترسِّخةً في علم اللاهوت الأساسيِّ، ٢٠١، ٢٠٣
من الكتاب المقدس، ٢٦
كريغ، وليام لين، ١٥٥، ١٥٨ح٣٥، ١٦٣، ١٦٤
كفارة بدليَّة ١٠٦
الكلمة Logos
أبوليناريوس عنه، ١١٢
نسطور عنه، ١١٤
الكلمة الأبديُّ Logos asarkos، ١٥٦
«الكلمة الصائر جسدًا»، ١٥، ١٧٠، ١٨١، ٢٠١
كلمة الله ٧٥
الكلمة المتجسِّد Logos ensarkos، ١٥٦
كيرلس السكندريُّ، ١١٦، ١٣٥، ١٩٤

لا شخصانيَّة anhypostasia، ١٢٠، ١٢٤-١٢٥، ١٧٥، ١٨٧، ١٩٠، ٢٠٨
اللاهوت النظاميُّ، ٩٨
لِج، دومينيك، ١٧٩-١٨٠
لِسِنغ، غوتهولد، ٢٥، ١٩٩
الله
استحالة تألُّمه، ١٩٣
تثليثه، ١٠٣
تساميه، ٤١، ١٠٨
حضور مجده في العهد القديم، ٨٢
الصفات القابلة للتشارُك، ٨٧ح١٥
صفات غير قابل للتشارُك، ٨٧ح١٥
صفاته؛ ١٠٣، ١٧١
قداسته، ٤٢
قضاؤه وغضبه، ٤٨-٤٩
كثلاثة مراكز متمايزة للوعي، ١٥٠
وحدانيّته؛ ١٠٣
لوقا، عن الحبَل العذراويِّ، ٨٢-٨٣
ليونتيوس الأورشليميُّ، ١٢٥ح١
ليونتيوس البيزنطيُّ، ١٢٥ح١
ما بعد الحداثة، ٢٤، ٢٥، ١٩٩
«ما لا يُقتَنى لا يُشفى»، ١٣٩، ١٦٥
ماكلويد، دونالد، ١٢٠، ١٢١، ١٣٩، ١٤٢، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٢
الماهويَّة، ١٠٤
متَّى، عن الحبَل العذراويِّ، ٨٠-٨١
مجد الشكينة، ٨٣
مجد المسيح، ٩١، ١١٠، ١٢٩، ٢٠٤، ٢١٧
مجمع أفسس (٤٣١)، ١١٤، ٢١٣
مجمع القسطنطينيَّة (٣٨١)، ٩٩ح١، ١٠٢، ١٠٧، ١٠٩، ١١٢، ١٢٣،
مجمع القسطنطينية (الثالث: ٦٨٠-٨١)، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٨، ١٤١، ٢١٠
مجمع القسطنطينيَّة (الثاني: ٥٥٣)، ١٢٠ح٣٤، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٧
مجمع خلقيدونية (٤٥١)، ٩٩، ١١٦، ١١٧، ١٢٧، ٢٠٩، ٢١٣
مجمع نيقية (٣٢٥)، ٣٧، ٩٨، ٩٩ح١، ١٠٢، ١٠٧، ١٠٩، ٢٠٩، ٢١٤
مدرسة الإسكندريَّة اللاهوتيَّة، ١١٣
مدرسة أنطاكية اللاهوتيَّة، ١١٣
المدرسيِّين البروتستانت، ١٢٧
مذهب الاحتوائيَّة panentheism، ٤١
مساعي البحث عن يسوع التاريخيِّ، ٢٨، ٢١٤
اللامسعى (١٩٠٦-١٩٥٣)، ٢٩
المسعى الأوَّل (١٧٧٨–١٩٠٦)، ٢٨
المسعى الثاني (١٩٥٣ حتَّى الآن)، ٢٩
المسعى الثالث (الثمانينيَّات حتَّى الوقت الحاضر)، ٢٩-٣٠
المسيَّا، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٨١، ٩١
«مسيح الإيمان»، ٣٦
المسيحية كديانة الخطاة، ١٩٩-٢٠٠

«مشكلة الغفران»، ٤٩
مشورة الله الكاملة، ٩٨
مُصاب بالهلينستيَّة الحادَّة، عن لاهوت آباء الكنيسة، ١٠٠
مغفرة الخطيَّة، ٥٢، ٦١، ٩٢، ١٩٧
المفردات اللاهوتيَّة الشائعة في نيقية، ١٠٢-١٠٤
مكسيموس المعترف، ١٤١، ١٤٢
الملك الداودي، ٥٢، ٥٩، ٦٣، ٦٥، ٧٤
ملكوت الله، تدشينه، ٤٤، ٤٨، ٥٣، ٥٨، ٦٠، ٦٣، ٨١، ١٧١
«الممسوح/المسيح»، ٥١
المناداة kerygma، ٢٩
المنطق البشريُّ، ٢٤
«المواهب والنِعَم»، ١٣٢، ١٨٠
مورلاند، جيمس، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٣، ١٦٤
مولر، ريتشارد، ١٣١ح١٣، ١٣٤ح٢١
المونارخيانيَّة، ١٠٦
نسطور، ١١٤، ١١٥، ١٦٦، ١٧٥، ٢١٣
النسطوريَّة، ١١٤-١١٦، ١٢٠، ١٢٤، ١٢٧، ٢٠٩، ٢١٣
نَسَق العَيش، ١٧٧، ٢١٤
«نسل المرأة»، ٤٨، ٥٨
نفْس، ١٢١-١٢٢
كأقنوم، ١٤٠، ١٤٩، ١٥١، ١٥٤
انظر أيضًا جسد ونفس،
نوح، العهد معه، ٥١، ٥٢
هارناك، أدولف فون، ١٠٠
الهرطقات، ٧٤ح٢
هوثورن، جيرالد، ١٥٢ح٢٣، ١٥٣، ١٦١
هياكل المعقوليَّة، ٢٤
واطسون، فرانسيس، ٣٠
والدة الإله Theotokos، ١١٦، ١١٩
الوحدانيَّة الإلهيَّة، ١٤٠
وحدة الوجود pantheism، ٤١، ١٧٦
وحيد الجنس monogenēs، ٧٩
وِلز، ديفيد، ٢٥، ٣٤، ٦٢، ١٢٦، ١٥٥
ويليس، ديفيد، ١٣٤ح٢٠
ويناندي، توماس، ١٩٤
يسوع التاريخي. ٢٦، ٢٧، ٣٦، ٢١٤
يسوع المسيح
«أخلى نفسه»، ٨٩
تجربته، ١٨٤
تعاليمه، ٥٩-٦٢
تمجيده، ٨٨-٩٠
تنزيهه (عدم قابليَّه للخطأ)، ١٨٤-١٨٨
تواضعه، ٨٨-٨٩
سيادته الربانيَّة، ٤٥-٤٦، ١٩٧-١٩٨
شهادة صريحة عنه، ٦٤-٧٢
شهادة ضمنيَّة عنه، ٥٨-٦٤

طاعته، ١٨٤، ١٨٨
طبيعتاه، ١٠٥، ١٢٦، ١٢٩، ١٨٨-١٩٠
طبيعته البشريَّة من جسد ونفس، ١٣٨
عبادته، ٦٣
علاقته الفريدة بالآب، ٦٤-٦٥
عمله، ١٥
كالابن الحبيب، ٥٩
كالابن المتجسِّد، ٨٥-٨٦
كالابن المطيع الكامل، ٥٤
كإله كامل، ٥٤، ٨٧-٨٩، ٩١، ٩٨، ١٥١، ١٧٠، ٢٠٨، ٢٠٩
كان له الروح بلا قياس، ١٧٦-١٨٠
كإنسان كامل، ٥٨ ٧٨، ٩١، ١٧٣، ١٨٥، ٢٠٨، ٢٠٩
كبكرٍ؛ ٨٤
كتحقيق للعهد القديم، ٦٩
كصورة الله الحقيقيَّة، ٨٤-٨٥
كليُّ الوجود، ١٣١ح١٤، ١٣٤
كموضوع للإيمان، ٧٠-٧٢
كوسيط، ١١٦، ١٩٦-١٩٧
كيهوه، ٩٠ح١٧
ليس «في آدم»، ١٨٣
متفوقٌ عن الملائكة، ٩١
مجرَّد إنسان، ١٥-١٦
مركزيته، ٢٠١-٢٠٤
مشيئتاه، ١٣٨-١٤٣
معجزاته، ٦٠-٦١
معموديته، ٥٩
موته وقيامته، ٦٢
نفسه البشريَّة، ١١٢-١١٣
نموُّه في الحكمة والمعرفة، ١٣٠، ١٥٨، ١٩٢
الهويَّة، ١٥-١٧
والثالوث؛ ٤٢-٤٤
والسيادة الربانيَّة، ٤٥-٤٦
هويته الذاتيَّة ٥٧-٥٨
وجود الأزليُّ، ١٩١
وحدة شخصه، ١٠٥، ١١٢، ١٢٦
ولادته، ١٩١
يغفر الخطيَّة، ٦٨
انظر أيضًا الابن
اليهوديَّة الرؤيويَّة، ٣٢
يهوه، ٤٥، ٥٢، ٥٣، ٥٨، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٥، ٨١، ٩٠، ١٧١
يوحنَّا الدمشقيُّ، ١٢٧، ١٣٠

صدر أيضًا بالعربيَّة من سلسلة

«دراسات قصيرة في اللاهوت النظاميِّ»:

الثالوث: مُقدِّمة